

الملكية في الكتاب الأخضر

تأليف :

ثروت أنيس الأسيوطي

دكتور في الحقوق (القاهرة)

دكتور في القانون (ميونخ)

دكتور في العلوم (موسكو)

ماستر في فلسفة القانون (نيويورك)

جائزة الدولة في العلوم الاجتماعية (مصر)

الأستاذ بجامعة قاريونس

ارض الله

« قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون » (١) .

« قل لمن ما فى السموات والارض قل لله » (٢) .

« لله ملك السموات والارض (٣) ، « له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى » (٤) .

أما الناس فالله يستخلفهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم (٥) ، ثم هو يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون (٦) .



جاء فى كتاب الله : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم . . . للفقراء المهاجرين . . . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم . . . والذين جاءوا من بعدهم . . . » (٧) .

قال عمر بن الخطاب : « استوعبت هذه الآية المسلمين عامة ، فليس أحد الا له حق » (٨) . ورفض تقسيم أرض السواد وقال : « انا لو قسمناها

١ - سورة المؤمنون ، الآيتان ٨٤ و ٨٥ .

٢ - سورة الأنعام ، الآية ١٢ .

٣ - الآيات كثيرة ، منها : سورة البقرة ، الآيتان ٢٩ و ٢٨٤ . سورة آل عمران ، الآيتان ١٢٩ و ١٨٩ . سورة النساء ، الآية ١٢٦ . سورة المائدة ، الآيات ١٧ و ١٨ و ٤٠ و ١٢٠ . سورة الزمر ، الآية ٤٤ . سورة الشورى ، الآيتان ٤ و ٤٩ . سورة الجاثية ، الآية ٢٧ . سورة الفتح ، الآية ١٤ . سورة النجم ، الآية ٣١ . سورة الحديد ، الآيتان ٢ و ٥ . سورة المنافقون ، الآية ٧ . سورة البروج ، الآية ٩ .

٤ - سورة طه ، الآية ٦ .

٥ - سورة النور ، الآية ٥٥ . الآيات كثيرة ، منها : سورة البقرة ، الآية ٣ . سورة المائدة ، الآية ٨٨ . سورة الانعام ، الآية ١٦٥ . سورة النور ، الآية ٣٣ . سورة فاطر ، الآية ٣٩ . سورة الحديد ، الآية ٧ . سورة الطلاق ، الآية ٧ .

٦ - سورة مريم ، الآية ٤٠ . سورة الزمر ، الآية ٤٤ . سورة الحديد ، الآية ١٠ .

٧ - سورة الحشر ، الآيات ٧ - ١٠ .

٨ - جامع البيان للطبرى ، القاهرة ١٩٥٤ ، مصطفى البابى الحلبي ، ج ٢٨ ، ص ٣٧ أيضا : كتاب الخراج لأبى يوسف ، مخطوط رقم ٣٦١٧ شرق بالمتحف البريطانى ، ص ١٩ ، وطبعة بولاق ١٣٠٢هـ ، ص ١٥ ، وط السلفية الثالثة ، ص ٢٦ - ٢٧ . الاموال لابن سلام - تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة ١٩٦٨ ، مكتبة الكليات الازهرية ، نبذة ١٥٣ ص ٨٤ - ٨٦ .

بين من حضر لن يكون لمن بعدهم شيء » ، و اضاف : « فكيف ممن ي
المسلمين ، فيجدون الارض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء ؟
وقال المفكر الثائر معمر القذافي : « الارض ليست ملكا لأحد
لو جاز امتلاك الارض لما وجد غير الحاضرين نصيبهم فيها ، وان الارض
والمنتفعون بها يتغيرون بمرور الزمن مهنة وقدرة ووجودا » (١٠) .



شغلت الملكية الخاصة لوسائل الانتاج بال المفكرين منذ القدم ،
الصراع حولها في العصر الحديث . دافعت عنها الرأسمالية ، وه
الاشتراكية . شحذ من أجلها أو ضدها كل ما يجود به الفكر
سيوف ودروع .

بيد أن الفكر الانساني تيار متواصل ، تتدافع أمواجه في نهر الز
ما بين مد وجزر ، واقدام واحجام ، لكنه دوما في حالة حركة ، لا يخذ
السكون ابدا . ويجدر قبل دراسة الملكية في الكتاب الاخضر ، ا
بالاتجاهات الكبرى للفكر الانساني منذ عصر صعود الرأسمالية ، حين
الملكية الخاصة محور الصراع الاجتماعي .

ثم ان دراسة الملكية في الكتاب الاخضر تتناول موضوعين اساس
الحل النهائي لعلاقات الانتاج ، واشكال الملكية المترتبة على هذا الحل

٩ - كتاب الخراج لأبي يوسف ، مخطوط رقم ٣٦١٧ شرق بالمتحف البريطاني ، ص ١٨ ، وط بولاق ، ص ١٣ - ١٥ ، وط السلفية الثالثة ، ص ٢٤ - ٢٦ . الاموال
سلام ، نبذة ١٥٠ ص ٨٢ - ٨٣ . المدونة الكبرى لمالك بن أنس ، ط السعادة ، ١٣٢٣ هـ ، بيروت دار صادر ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
١٠ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثاني ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٣١ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

الفصل الاول
التيارات الكبرى للفكر الانسانى
منذ عصر صعود الرأسمالية
١ - أطوار الرأسمالية
والفكر الرأسمالى
المرحلة النضالية : القانون الطبيعى

١ - تحليل ظروف المجتمع

مرت الرأسمالية بأطوار ثلاثة تجمعها مرحلتان متميزتان .
كانت الرأسمالية فى مرحلتها الاولى ، على الاخص خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تناوىء نفوذ الاقطاع وسلطان الملكية ، فاعتنقت الافكار التقدمية ، وخاضت كفاحا مريرا ضد سيطرة نبلاء الاقطاع ، وهيمنة رجال الدين ، لتحرير الانسان من نير الاستعباد . استخدمت الرأسمالية فى ذلك العصر كافة الاسلحة الفكرية ، فى مقدمتها نظريات القانون الطبيعى ونظريات العقد الاجتماعى . كانت الرأسمالية ترفض القانون الملكى الاقطاعى القائم ، فأمنت بوجود قانون آخر أعلى ، يفوق هذا القانون البشرى الدانى .

ولما كان الحكم الملكى يستند الى الحق الالهى (١) ، لجأت الرأسمالية الى العقل يمدّها بسلاح ضد الدين ، وبرزت فى مواجهة القانون الالهى ما تستند اليه من قانون طبيعى . شرع الفكر البورجوازى يهاجم الفكر الدينى ، حتى تنهار ركيزة الملكية وحليفها الاقطاع والكهنة . لذا سادت فى القرن الثامن عشر الفلسفة المادية ، بزعامة ديدرو ودالمبير ، أنشأ أول موسوعة علمية فى العصر الحديث ، ظهرت فى باريس عام ١٧٥١ ، تهدف الى اجراء تفسير مادى للوجود (٢) خلطت الرأسمالية بين الدين ، وبين تزيف الدين على يد الكهنة ، لخدمة الاقطاع والملكية .

١ - تبلورت نظرية الحق الالهى على الأخص على يد الاسقف بوسويه ، السياسة مستقاة من الكتابة المقدسة (بالفرنسية) ، نشر بعد وفاته سنة ١٧٠٩ ، الكتاب الثالث المادة الثانية ، طبعة لييران ، جنيف ١٩٦٧ ، مكتبة دروز ، ص ٦٤ - ٦٦ ، وك١م٦ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ، وك١م٦ ٢ ، ص ١٩٢ - ١٩٤ ، وك١م٦ ٢ الجملة ٥ ، ص ١٩٨ . موعظة حول واجبات الملوك فى ١٦٦٢/٤/٢ ، فى مجموعة الاعمال الخطابية لبوسويه ، اخراج ليبارك (بالفرنسية) ، باريس ١٩٢٦ ، ديكلية دى براور ، ج٤ ، ص ٣٥٦ (٣٦٢) .

٢ - أنظر : ديدرو ودالمبير ، دائرة المعارف (الانسيكلوبيدى) (بالفرنسية) ، طبعة

تواری مفهوم الدین ، وتعاضم سلطان العقل ، وأسس عمانوی نظامه الفلسفی علی أعمدة هذا العقل المستنیر ، القاضی بالمساواة ، بالحرية ، المنادی بتنظیم أعضاء الامة فی جمهورية (٣) .
حتى بلغت الرأسمالية ما تريد وهدمت عقيدة الحق الالهی ، بناء المجتمع علی أساس طبيعته الذاتية . قال لوك ان الناس بادیء فی حالة طبيعية ، ويظلون فیها الى أن يدخلوا بمحض رضاهم فی سياسية (٤) . ان غاية الناس من تكوين المجتمع هی التمتع بملكية سلام وأمان . ای التمتع بالحياة والحرية والمال ، واداة ذلك هی المستتب فی المجتمع (٥) . واضاف روسو : لا يتمتع امرؤ بسلطة طبيعية علی زملائه ، ولا تولد القوة حقوقا علی الاطلاق ، وتبقى الاتفاقات أساسا للسلطة الشرعية بین الناس (٦) . ان المسألة الجوهرية التي العقد الاجتماعي علی حل لها ، هی ایجاد شكل للاجتماع ، يحمي المشتركة شخص كل شريك وأمواله ، بحيث ينضم الفرد الى الكل ، يطیع سوى نفسه ، ويظل حرا مثلما كان من قبل (٧) .

كان هذا تحولا هائلا فی نظرية الدولة ، بفصلها عن علم اللاهوت وربطها بالمجتمع نفسه . هكذا شرعت الرأسمالية خلال مرحلتها النقدية فی تحليل ظروف المجتمع ، لتنفذ عن كاهله حقا الهيا مزعوما ، ارضيا موهوما ، فالعقل البشرى يضع الحق الالهی للملوك موضع والنقد ، ليخلخل النظام الاقطاعی الكهنوتي القابع بین ابراج القلاع الجاثم علی صدور العباد .

٢ - القانون الطبيعي الرأسمالي

اكتشف هذا العقل مفهوم القانون الطبيعي *jus naturale* .

-
- باريس ١٧٥١ ، ج ١ ، حديث المقدمة ، ص ١ عند ص ٢٣ وما بعدها . وانظر فی ديدرو علی الفلسفة : فردريش البيرت لانجى ، تاريخ المادية (بالالمانية) ، ط ١ لايبزج ١٩٢١ ، ط براندشتيتر ، ج ١ ، ص ٣٠٦ وما بعدها . وبالنسبة الى دائرة المعارف جويدو دى روجيرو ، تاريخ الفلسفة (بالايطالية) ، ج ٤ : ٢ : ٢ ، ط ٣ ، ١٩٤٦ ، لاترزا واولاده ، ص ٢١٩ وما بعدها .
- ٣ - أنظر المادتين الاولى والثانية من مشروعه عن السلم الدائم : عمانويل كانط ، السلم الدائم (بالالمانية) ، كونجسبرج ١٧٩٥ ، ط ريكلام عدد ١٥٠١ ، شتوتجا ١٩٥٤ ، ص ٢٤ وما بعدها .
- ٤ - جون لوك ، البحث الثانى عن الحكومة المدنية (١٦٩٠) (بالانجليزية) ، ٢ - ٥ - لوك ، السابق ، ٥ - ٤٥ ، ٩ - ١٢٣ و ١٢٤ ، ١١ - ١٣٤ .
- ٦ - جان جاك روسو ، العقد الاجتماعي (١٧٦٢) (بالفرنسية) ، طبعة جارنييه الكتاب الاول ، الفصل الرابع ، ص ٢٣٩ .
- ٧ - روسو ، السابق ، ك ١ ف ٦ ، ص ٢٤٣ .

قال مؤسس هذا التيار ، الهولندى جروسيوس ، فى كتابه قانون الحرب والسلم (١٦٢٥) ، ان القانون الطبيعى هو مبادئ معينة للعقل السديد تميز بين الخير والشر ، وفقا لانسجام الافعال او تنافرها مع الطبيعة العاقلة الاجتماعية (٨) . ان سلطة الله لا نهائية ، غير أن هناك أفعالا تمرق عنها ولا يملك التعديل فيها ، فلا يمكن أن يمنع اثنين فى اثنين من أن تساوى أربعة ، ولا يقدر أن يغير من طبيعة ما هو شرفى ذاته (٩) .

أرجع جروسيوس ، وبعض تلامذته ، مثل الالمانيين بوفندورف وكريستيان وولف ، القانون الطبيعى الى الطبيعة ذاتها (١٠) . بينما رأى آخرون ، على الاخص الالمانى صمويل راشيل والانجليزى بلاكستون ، ان القانون الطبيعى ينبثق من العناية الالهية (١١) . واتفق الجميع على أن العقل البشرى يستطيع اكتشاف القانون الطبيعى .

كان هذا العقل هو العقل البورجوازى ، اذ كان القانون الطبيعى فى يد الفقه الرأسمالى وكما اوضح روسو ، مجموعة من القواعد التحكيمية يتوصل اليها الباحث سلفا ، قواعد يبتغى أن تسود بين الناس ، ينسبها الى القانون الطبيعى لتكون قادرة على الاقناع (١٢) .

كانت مهمة القانون الطبيعى هى تقديس الملكية الرأسمالية . قال جروسيوس ان الحق هو سلطة potestas ، مثل سلطة السيد على

٨ - هوجو جروسيوس ، قانون الحرب والسلم (باللاتينية) (١٦٢٥) ، الكتاب الاول الفصل الاول ، الفقرة ١٠ - ١ ، طبعة وليم ويويل ، كيمبريدج ١٨٥٣ ، باركر ، ج ١ ، ص ١٠ .

٩ - جروسيوس ، السابق ، ك ١ ف ١ ، الفقرة ١٠ - ٥ ، ص ١٢ .
١٠ - صمويل بوفندورف ، قانون الطبيعة والشعوب (باللاتينية) ، امستيلودامى ١٦٨٨ ، هوجنهويزن ، الكتاب الثانى ، الفصل الثالث ، الفقرتان ١٥ و ٢٤ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ و ص ١٥٨ . كريستيان وولف ، قانون الطبيعة وفقا للمنهج العلمى (١٧٤٠) وقانون الشعوب وفقا للمنهج العلمى (باللاتينية) ، فرانكفورت ولايبزج ١٧٦٤ ، ايرى سوسيتاس فينيثا ، الصفحة الثانية من التمهيد . وراجع فى شأن كريستيان وولف : شتينتسينج ولاندسبيرج ، تاريخ علم القانون الالمانى (بالالمانية) ، ميونخ وبرلين ١٩١٠ ، اولدينبورج ، اعادة طبع ١٩٥٧ ، ج ١ / ٣ ، ص ١٩٨ وما بعدها .

١١ - صمويل راشيل ، قانون الطبيعة والشعوب (باللاتينية) ، كيلونى ١٦٧٦ ، طبعة يواكيم رويمان ، المقالة الاولى الفقرة ١٤ وما يليها (ص ٩ وما بعدها) ، على الاخص الفقرة ٣٣ (ص ٢٩ - ٣٠) . بلاكستون ، تعليقات على قوانين انجلترا (بالانجليزية) اكسفورد ١٧٦٥ ، مطبعة كلارندون ، ج ١ ، المقدمة ، الفقرة ٢ ص ٤٠ - ٤١ .
١٢ - جان جاك روسو ، حديث حول مصدر وأسس عدم المساواة بين البشر (بالفرنسية) (١٧٥٤) ، فى الاعمال الكاملة ، مكتبة بلياد ، باريس ١٩٦٦ ، جاليمار : ج ٣ ص ١٢٥ .

عبيده ، وسلطة المالك على أملاكه (١٣) .

وأضاف بوفندورف أن الحق هو السلطة على الاشخاص
الاشياء (١٤) .

صارت الملكية سلطة . بموجبها يملك السيد العبيد ، يكسب الرأس
الاموال .

ثم ظهر لوك ، ملأ الدنيا ضجيجا ضد استبداد الحكام ، لكن
الملكية محور العقد الاجتماعى (١٥) . بيد انه رأى تحديد الملك
وجهين : الكسب . . والقدر . . ان الفرد يستطيع بالعمل أن يكتسب الملك
وان قدر هذا الملك يتحدد بالحاجة . ما يفوق الحاجة يزيد على حصة
ويكون ملك الغير (١٦) . جَوَز لوك فى هذه الحدود اكتساب أى ملك
حتى الارض : فبقدر ما يستطيع المرء أن يحرق ويبيذ ويزرع . . . ويسكن
لحاجته ، بقدر ما يمتلك من الارض . انه بعمله يجعل هذا المال
الخاص ، ويميزه عما هو مشترك للجميع (١٧) .

ثم أتى الثائر روسو ، أقامها زوابع وزلازل ، من الآمال والأحلام
تساءل : ما سبب عدم المساواة بين البشر ؟

ان الرجل الاول الذى حوَّط أرضا وزعم أنها له ، ووجد أناسا
صدقوه ، هو المؤسس الحقيقى للمجتمع المدنى . كم من جرائم وحرر
واغتيالات وبؤس ورعب ، كان يمكن وقاية الناس منها ، لو أن رجلا
نزع السور الذى اقامه الاول ، وردم الحفرة التى حفرها بطول الحدود
وصاح فى الناس حذارى أن تصدقوا هذا النصاب ، انكم من الهالكين
نسيتم أن الثمار هى للجميع ، والارض ليست لأحد (١٨) .

جَرَّت الملكية كافة الاهوال ، عمد الاثرياء الى استعباد الفقراء ، ثم

-
- ١٣ - جروسيوس ، قانون الحرب والسلم ، ك ١ ف ١ ، الفقرتان ٤ و ٥ ، الطبعة
الانجليزية ، نيويورك ولندن ١٩٦٤ ، اوسيانا بابليكشنز ، ولدى واولاده ، ص ٣٥
١٤ - صمويل بوفندورف ، مبادئ فقه القانون العالمى (١٦٧٢) ، الكتاب الاول
التعريف الثامن ، الطبعة الانجليزية ، نيويورك ولندن ١٩٦٤ ، اوسيانا وولدى
ص ٥٨ . المؤلف نفسه ، قانون الطبيعة والشعوب (١٦٨٨) ، الكتاب الاول الفصل
الاول الفقرة ٢٠ ، الطبعة الانجليزية ، نيويورك ولندن ١٩٦٤ ، اوسيانا وولدى ص ١٩
١٥ - ما سبق ، نبذة ١ .
١٦ - جون لوك ، البحث الثانى عن الحكومة المدنية (١٦٩٠) ، الطبعة الانجليزية
ورلدز كلاسيكس المجلد ٥١١ ، الفصل الخامس ، الفقرات ٣١ و ٤٨ و ٥٠ ، ص ٢٧ و
٤٢ .
١٧ - لوك ، السابق ، ٥ - ٢٩ و ٣٠ (ط جامعة كيمبريدج ١٩٦٣ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨)
١٨ - روسو ، حديث حول مصدر واسس عدم المساواة بين البشر ، الاعمال الكاملة
مكتبة بلياد ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

استخدام هؤلاء العبيد فى اخضاع المزيد من الضحايا ، كالذئاب الجائعة حين تذوق مرة اللحم البشرى تشتهيهِ دواما (١٩) . قال الغنى للفقير : أنت فى حاجة الى ، فأنا غنى وأنت فقير . لنبرم معا اتفاقا . سأسمح لك أن تتشرف بخدمتى ، بشرط أن تعطينى القليل المتبقى لديك ، مقابل الجهد الذى سوف أبذله فى اصدار الاوامر اليك (٢٠) .

ان المساواة المنكسرة ادت الى الفوضى . ان الاغتصاب من قبل الاغنياء ، وقطع الطرق من قبل الفقراء ، كل هذا كتم صوت الشفقة وأغمد سيف العدالة . صار الناس بخلاء ، طموحين ، شريرين . تصارع حق الاقوى وحق المغتصب الاول صراعا ابديا ولد التنافر . . والاغتيال . . والحرب .

انك اذا اخذت اكثر من حاجتك انما تدفع العديد من اخوتك الى المعاناة والهلاك (٢١) . ثم صدرت القوانين الوضعية ، اوجدت عراقيل جديدة فى وجه الضعفاء ، ووفرت قوى جديدة لصالح الاثرياء ، قضت نهائيا على الحرية الطبيعية ، ساد قانون الملكية وعدم المساواة . تحول الاغتصاب الى حق غير قابل للنقض ، أخضعت الانسانية لقلّة من الطموحين حكموا عليها بالذل والرق والفقر (٢٢) أرى شعوبا بائسة تتلوى تحت نير الحديد ، والجنس البشرى تسحقه حفنة من الطغاة ، والجماهير الجائعة يطحنها الجهد والجوع ، بينما الثرى يشرب فى هدوء الدماء والدموع ، وفى كل مكان القوى مسلح ضد الضعيف بالسلطان المفرع للقوانين (٢٣) .

هذه هى أسباب عدم المساواة . . الملكية . . القوانين الوضعية (٢٤) .
ثم ماذا يا روسو بعد هذه الثورة العارمة على الملكية ؟

لا شيء ، أو ليس الكثير . ها هو يقول : ان حق الملكية هو اكثر الحقوق قدسية sacré من بين حقوق المواطنين ، وأهم فى بعض النواحي من الحرية . ان الملكية هى الاساس الحقيقى للمجتمع المدنى ،

-
- ١٩ - حديث عدم المساواة ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ١٧٥ .
٢٠ - روسو ، حديث حول الاقتصاد السياسى (١٧٥٥) ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ص ٢٧٣ .
٢١ - روسو ، حديث عدم المساواة ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ١٧٦ .
٢٢ - روسو ، حديث عدم المساواة ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .
٢٣ - روسو ، فى أن حالة الحرب تنشأ من الحالة الاجتماعية (بالفرنسية) ، الاعمال الكاملة ، بلياد ، ج ٣ ، ص ٦٠٩ .
٢٤ - روسو ، حديث عدم المساواة ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .

لكن هذه الملكية ترد عليها قيود ، تنظم انتقالها بالميراث والعقود (٢٥) .

يا للتضارب والتناقض ... يا للثائر ... الحائر ..

ان اقصى حجم للملكية العامة عند روسو هو المفهوم التقليدى للـ العام *domaine public* ، وغايته توفير مورد للصرف احتياجات الدولة على الاخص دفع رواتب القضاة والموظفين (٢٦) . المفهوم الدارج فى عصره للدولة الحارسة . ان الملكية - رغم تقييدها - زالت اساس العقد الاجتماعى ، شرطه الاول أن يتثبت كل واحد فى الا الهادىء بملكه (٢٧) . ان العقد الاجتماعى لا يؤدى الى تجريد الافراد املاكهم ، بل على العكس الى ضمان حيازتهم الشرعية ، بتحويل الاغت الى حق ، والانتفاع الى ملك . فيد الحائزين يد وديعة على المال العام وحقوقهم تصير جديرة بالاحترام من جميع الناس ، ولكل امرى يتصرف بالكامل فيما ترك له من أموال . هكذا يسترد الملاك ، ما أع بموجب العقد .. (٢٨) ؟ ؟

حتى الارض يجوز تملكها ، ما دامت غير مسكونة ، ولا يستولى على الا بقدر الحاجة الى البقاء ، وتجرى الحيازة عن طريق العمل والزراعة أما الاستيلاء على رقعة كبيرة من الارض ، فهو اغتصاب يقع تحت ط العقاب ، اذ يحرم الآخرين من مكنة الاقامة والغذاء (٢٩) .

انها أحلام البورجوازية الصغيرة ، فى تحديد الملكية الكبيرة .

٤ - الثورة الفرنسية والبورجوازية

كانت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ التجسيد الكامل الظاهر لمفهوم القانون الطبيعى بمضمونه الرأسمالى . اذ جاء فى اعلان حقوق الانسان والمواطنة فى صدر دستور ١٧٩١ ، ان ممثلى الشعب الفرنسى ، المجتمعين فى جص وطنية .. قرروا النص فى اعلان رسمى على حقوق الانسان الطبيعى المقدسة ، غير القابلة للتنازل .. المادة الثانية : ان الغاية من كل تج

-
- ٢٥ - روسو ، حديث حول الاقتصاد السياسى ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .
٢٦ - روسو ، حديث حول الاقتصاد السياسى ، الاعمال الكاملة ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .
٢٧ - روسو ، حديث حول الاقتصاد السياسى ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ -
٢٨ - روسو ، العقد الاجتماعى (١٧٦٢) ، ١ - ٩ و ٢ - ٤ ، الاعمال الكاملة بلياد ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ وص ٣٧٥ .
٢٩ - روسو ، العقد الاجتماعى ، ١ - ٩ ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .

سياسى ، هى حفظ حقوق الانسان الطبيعية وغير القابلة للتقادم . هذه الحقوق هى الحرية ، والملكية ، والامن ، ومقاومة الطغيان . . (٣٠)

تبنت البورجوازية فكرة روسو فى أن الملكية محور العقد الاجتماعى ، لكن أزاحت ما أورده هذا الحالم من قيود على الملكية . كانت الثورة الفرنسية من صنع الطبقة الوسطى المالكة ، الطبقة التجارية البورجوازية ، أعلنت أن الملكية حق مقدس لا يجوز المساس به . وكانت تعنى ملكية الطبقة الرأسمالية وحدها . فالثورة صادرت من جهة أموال الكهنوت والاقطاع ، وضربت من الجهة الاخرى الجناح الشعبى المطالب بالمساواة فى الملكية . كانت الملكية المقدسة الوحيدة فى نظر غالبية الرجال الذين سيطروا على الثورة هى ملكية الطبقة التجارية ، أى ملكيتهم الشخصية صودرت أموال الاقطاع دون أن تعتبر حقا مقدسا ، ثم بيعت الاموال ذاتها للطبقة الرأسمالية فصارت ملكية مقدسة ، وكانت الغاية المبتغاة هى تقرير عدم جواز الرجوع فى هذا البيع وصورته نهائيا (٣١) .

ثم تراءى لنابليون أن يستخدم البورجوازية ركيزة لنفوذه ، ودعامة لنظامه ، لحاجته الى الصناعة الرأسمالية لتمويل فتوحاته العسكرية ، فأعلن أنه حامى حمى حق الملكية (٣٢) . وصدر القانون المدنى سنة ١٨٠٤ يؤكد احتياجات الرأسمالية ، ويقنن المكاسب البورجوازية بعد انتكاس الثورة الفرنسية ، فنص على أن حق الملكية حق مطلق الى اقصى حدود الاطلاق (م ٥٤٤) .

يا للمسكين روسو . . . يا لضياع أحلامه . . .

المرحلة الاستغلالية : الفلسفة الوضعية

٥ - الوضعية الفلسفية

لما حققت الرأسمالية الهدف وسيطرت على مقاليد الحكم ، ودخلت مرحلتها الثانية واصبحت الطبقة الحاكمة ، تغيرت مفاهيمها وتبدلت فلسفاتها ، وبعد أن كانت تبحث عن القانون الطبيعى والعدالة المطلقة ، وتناقش ظروف المجتمع لتحديد من طغيان الحكام ، أمست ولا هم لها سوى

٣٠ - لاجراندى انسيكلوبيدى ، ج ١٣ ، مقالة « الاعلان » ، ص ١٠٧٤ ع ٢ .
٣١ - ليون دوجى ، المطول فى القانون الدستورى (بالفرنسية) ، ط ٣ ، باريس ١٩٣٠
فونتيومان ، ج ٣ ، ص ٦٥٤ وما بعدها .
٣٢ - لوى مادلان ، الامة تحت حكم الامبراطور (بالفرنسية) ، باريس ١٩٤٨ ،
هاشيت ، ص ١٧٣ - ١٧٥ .

الحفاظ على ما هو كائن ، والاعتراف بالامر الواقع ، وتجنب النقائص
وتعمد التجريد ، لاختفاء الحقيقة عن الجماهير الكادحة ، وعرقلة تنامي
الى قوة صاعدة .

لم تعد الرأسمالية تسعى الى تحطيم الاغلال وتحرير الانسان
أن شرعت هذه المرة باسم الثورة في استغلال الضعفاء واستعباد البؤساء
كان يهمها اسدال الستار على حقائق الحياة ، لترتفع في سعة من العيب
ولو تضرع الشعب من الجوع . لذا نادى الوضعية بالنظر الى ما هو
وانصرفت عما يجب أن يكون ، وراحت تهزأ بفكرة القانون الطبيعي ونفاه
من البحث عن العدل المطلق .

بلور الفيلسوف الفرنسي اوجست كومت هذا التيار الوضعي
منتصف القرن التاسع عشر . ذكر قانون المراحل الثلاث للفكر الانساني
حالة اللاهوت او الوهم ، وحالة الميتافيزيقا او التجريد ، ثم الحالة العلمية
او الوضعية . فيها تقتنع النفس الانسانية باستحالة الوصول الى مفاهيم
مطلقة ، فتقلع عن البحث عن أصل نشأة العالم وغاية وجوده ، وعن معرفة
أسباب الظواهر ، وتكرس جهودها لاكتشاف القوانين التي تحكم
الظواهر ، أي العلاقات الثابتة بينها من حيث تتابعها وتشابها ، مستوحاة
في ذلك التفكير المنطقي والملاحظة العلمية (٣٣) .

ومع تحول الرأسمالية الى امبريالية عند نهاية القرن التاسع
وبداية القرن العشرين اشتد التيار الوضعي ولم تنكسر حدته . مد أخطاؤه
الوضعية أذرعها الى سائر فروع العلوم ، من خلال ارنست ماخ وأفيناريوس
في الطبيعة والفلسفة ، وهربيرت سبينسر في علم الاجتماع ، وهنري تين
وتوماس باكل في الادب والتاريخ ، وواطسون والمدرسة السلوكية في علم
النفس ، وجون ديوي في التربية (٣٤) .

فمثلا ، قال سبينسر قرب نهاية القرن الماضي ، ان تشريعات مساكن
الفقراء تدفع الى الكسل ، هذه التشريعات يسميها سبينسر « خطيئة
المشرعين » (٣٥) .

-
- ٣٣ - أوجست كومت ، الفلسفة الوضعية (بالفرنسية) ١٨٣٠ - ١٨٤٢ ، الدرس الاول
٢ ، ٥ .
- ٣٤ - انساكلوبيديا بريطانكا (بالانجليزية) ، ط ١٥ ، ج ١٤ (١٩٧٤) ، ص ٢٧٣
وما بعدها . بولشاي سوفييتسكاي انسيكلوبيديا (بالروسية) ، ط ٢ (١٩٥٥) ، ج ١
ص ٤٧٣ .
- ٣٥ - هربيرت سبينسر ، مجموعة مقالات « المرء ضد الدولة » (١٨٨٤) بالانجليزية
مكتبة ثينكر ، لندن ١٩٥٠ ، على الاخص ص ٥٤ وما بعدها .

ان المجتمع الرأسمالى يقضى على الناس بالفقر ، ثم يقول عن
الفقراء انهم كسالى ، تحظر معونتهم لعدم تشجيعهم على الكسل .

تكشف عبارة سبينسر عن حقد الاغنياء على الفقراء ، كما يحقد المجرم
على الضحية ، لان وجودها يذكره دائما أبدا بجرمه . . ان الصهيونية تكره
شعب فلسطين ، لان بقاء هذا الشعب يذكر العالم اجمع بجريمة اغتصاب
الارض . . . وان الرأسمالية تسخر من ضحاياها الفقراء ، لان شبح الفقر
يقف حادا كالسيف يهدد حاجتها الى الامن .

ثم قذفت الوضعية ، منذ الثلاثينات من هذا القرن ، بموجة عارمة
من الاتجاهات التجريدية ، على يد زعيمها الجديد موريتس شليك ،
صاحب الوضعية المنطقية ، وشريكه رودولف كارناب ، كلاهما بدأ نشاطهما
فى فيينا . كان العالم الغربى فى عصر الامبريالية يحكمه العمالقة من سادة
المال ، فأحاطوا أنفسهم بفلاسفة من الاقزام . ان الوضعية المنطقية تذكرنا
بأسطورة الضفدع الذى راح يناطح البقرة ، فشرع ينفخ فى نفسه حتى فرقع
جسده . . . أعلن الزعماء الجدد للوضعية قدوم فلسفة تسكت كافة الفلسفات
. . . حدثت الفرقة . . . صارت المهمة الجديدة للفلسفة ليست تقييم
العلاقات الاجتماعية من حيث الخير والشر ، والعدل والظلم ، بدعوى أن
التقييم ضرب من الميتافيزيقا ، ولا طائل من ورائه . انحصر دور الفلسفة
فى دراسات لغوية لايضاح معانى الكلمات (٣٦) . فمثلا ، ان كلمة الله تعنى
فى الميثولوجيا آلهة الاوليمب ، وتعنى فى الميتافيزيقا شيئا ما وراء التجربة
هو كائن او روح ، ويتأرجح مفهومها فى اللاهوت بين المعنيين
السابقين (٣٧) .

شرعت الوضعية المنطقية فى اجراء تحليل منطقى للغة العلوم ،
استنادا الى المنطق والرياضيات ، وزعمت أن الحقيقة لا تتوقف على مطابقة
الفكر للواقع ، بل على ترابط المصطلحات فيما بينها ، واعطت المصطلحات
مضامين ذاتية ، تتفق مع النظرة الشخصية لكل باحث . توهم أنصارها
فى سذاجة يحسدون عليها أن تناقضات المجتمع الرأسمالى ترجع الى عدم

٣٦ - موريتس شليك ، التحول فى الفلسفة (١٩٣٠) ، منشور فى مجموعة « الوضعية
المنطقية » ، اخراج ا . ج . آير (بالانجليزية) ، جليكو ايلينوى ١٩٥٩ ، ص ٥٣
وما بعدها . رودولف كارناب ، التغلب على الميتافيزيقا من خلال التحليل المنطقى
للغة (١٩٣٢) المجموعة نفسها ص ٦٠ وما بعدها .
٣٧ - كارناب ، نفس المجموعة ، ص ٦٦ .

استعمال المصطلحات استعمالا دقيقا . اغلقوا عيونهم على الص
الطبقية الطاحنة ، والتفاوت الرهيب فى الدخول ، وسوء توزيع الث
وسائر مظاهر الاستغلال ، مثلما تدفن النعامة رأسها فى الرمال حتى
الخطر المحدق ، والوحش المقبل .

٦ - الوضعية القانونية

أما علم القانون ، فسبق سائر العلوم الى الوضعية ، اعتنقها عل
صدور قانون نابليون ١٨٠٤ . لكن بينما أقطاب الوضعية الفلسفية يعتب
فلسفة عامة ، تصهر بين رحاها كافة مشاكل الانسان ، زاعمين لها ق
جسام ، اذا بفقهاء الوضعية القانونية يبدون كالقنفذ متقوقعين فى تك
القانون ، منعزلين عن مشاكل الحياة ، منصرفين عن كبريات المهام (٨)
ظهرت الوضعية القانونية أول ما ظهرت فى فرنسا ، منذ النصف
من القرن الماضى . كانت الرأسمالية فى فرنسا ، من خلال الثورة الفرن
أسبق من الرأسمالية فى بلاد أخرى للوصول الى الحكم واصدار قوا
بورجوازية . فعجل فقهاؤها باعتراف الوضعية (٣٩) ، وتمثلت الو
الفرنسية فى منهج الشرح على المتون ، لايضاح معانى النص
البورجوازية (٤٠) .

ثم عرفت انجلترا الوضعية القانونية على يد اوستن (١٨٣٢)
وانتشر مذهبه بعد نصف قرن فى انجلترا ، ثم انتقل بعد نصف قرن
الى الولايات المتحدة . فصلت مدرسة اوستن القانون عن الاخلاق ، وحص
جهدا فى تحليل طبيعة القاعدة القانونية ، دون تقييم مضمونها من -

٣٨ - البير بريمو ، التيارات الكبرى فى فلسفة القانون والدولة (بالفرنسية) ، ط
باريس ١٩٦٨ ، بيدون ، ص ٢٥٧ .

٣٩ - ميشيل مياى ، مدخل نقدى الى القانون (بالفرنسية) ، باريس ١٩٧٦
ماسبيرو ، ص ٤٥ .

٤٠ - برودون ، المطول فى حقوق الانتفاع والاستعمال والسكنى والسطح (بالفرنسية)
ج ١ ، ديجون ١٨٢٣ ، دوييه ، ص ١٥ من التمهيد . ترولون ، القانون المدنى مشر
طبقا لتسلسل مواد المجموعة ، البيع (بالفرنسية) ، ج ١ ، ط ٣ ، باريس ١٨٣٧
هانجرى ، ص ٩ من التمهيد . ماركاديه ، الشرح النظرى والعملى للمجموعة المدنى
(بالفرنسية) ، ج ١ (١٨٤١) ، ط ٧ ، باريس ١٨٧٣ ، ديلا موت وابناؤه ، ص
من التمهيد . ديمولومب ، الوسيط فى قانون نابليون (بالفرنسية) ، ج ١ ، ط
(١٨٤٥) ، ط ٣ ، باريس ١٨٦٥ ، دوران وهاشيت ، ص ٧ من التمهيد . لوران
مبادئ القانون المدنى (بالفرنسية) ، ج ١ ، بروكسل وباريس ١٨٦٩ ، بروي
وماريسك ، المقدمة ص ٥ . هيك ، التعليقات النظرية والعملية للمجموعة المدنى
(بالفرنسية) ، ج ١ ، باريس ١٨٩٢ ، كوتيليون ، ص ١٠ - ١١ من التمهيد . أوب
ورو ، الوسيط فى القانون المدنى الفرنسى (بالفرنسية) ، ج ١ ، ط ٦ ، آخر
بارتان ، باريس ١٩٣٦ ، مارشال وبيار ، نبذة ٤١ ص ٢٤٧ .

العدل والظلم ، ودون بحث فى اصلها التاريخى ، او تكهن باحتمالاتها
المقبلة (٤١) .

دخلت الوضعية فقه القانون فى المانيا مع صعود الرأسمالية هناك
عند نهاية القرن السابق . صدر اذ ذاك القانون المدنى الالمانى ١٨٩٦ ، نص
على أن لملك الشئ أن يفعل به ما يحلو له (م ٩٠٣) ، قنن المطلب
الاساسى للرأسمالية فى اطلاق حق الملكية . قال الفقيه لاباند ، نفي الزمان
الذى أعلن قدوم عصر الوضعية ، فى صراحة يشكر عليها أن واجب الفقيه
التسليم بما هو كائن ، وحصص بالتالى مهمة علم القانون لا فى التعبير عن
الصراعات السياسية ، بل فقط فى ايجاد تركيب شامل للوضع القائم ،
وصياغة أفكار جديدة تعكس ملامح السلطة الكائنة (٤٢) . وأوضح يلينيك
أن مهمة علم القانون ليست تتبع قوانين الطبيعة ، بل تفهم قواعد السلوك ،
ليست التجسيم ، بل التجريد (٤٣) . ليست - مثلا - دراسة الظواهر
الطبيعية النفسية التى أدت الى نظام الملكية الفردية ، بل تحليل فكرة
الملكية وتجميع قواعدها فى وحدة قانونية .

وأفرزت فيينا تيارا وضعيا متطرفا ، تجسم فى منهج النظرية البحتة
للقانون ، بزعامة الفقيه كيلسن ، تجنب تقييم القانون من حيث العدل
والظلم ، وتخلص من النزعة الى فحص الظروف الواقعية للحياة ، او الى
ربط القانون بالسياسة (٤٤) . فالعدالة - فى نظره - مفهوم مثالى ،
ومثل أعلى غير عقلانى ، تنطوى على آراء ذاتية ومفاضلات شخصية تختلف

-
- ٤١ - جون اوستن ، محاضرات فى أصول القانون او فلسفة القانون الوضعى (١٨٣٢)
بالانجليزية ، ط ٥ ، اخراج كامبيل ، لندن ١٩٢٩ ، مورى ، ج ١ ، المحاضرة الخامسة
ص ٢١٧ ، وايضا ص ١٧٢ - ١٧٣ . وليم ماركبى ، عناصر القانون ومبادئ الاصول
العامة للقانون (بالانجليزية) ، ط ١ ، ١٨٧١ ، ط ٦ ، اكسفورد ١٩٠٥ ، كلارندون ،
ص ٣ و ٥ . توماس ارسكين هولاند ، عناصر اصول القانون (بالانجليزية) ، ط ١
(١٨٨٠) ، ط ١٣ ، اكسفورد ١٩٢٤ (اعادة طبع ١٩٢٨) ، مطبعة كلارندون ، ص ٦
و ٩ . جون سالموند ، اصول القانون (بالانجليزية) ، ط ٧ ، لندن ١٩٢٤ ، سويت
ومكسويل ، ص ١ - ٢ و ص ٢٠ . جون تشييمان جراى ، طبيعة القانون ومصادره
(بالانجليزية) ، ط ٢ ، نيويورك ١٩٤٨ ، مكميلان ، ص ١ و ٣ و ١٤٤ - ١٤٥ و ١٤٧ .
٤٢ - بول لاباند ، القانون العام للامبراطورية الالمانية ، الطبعة الفرنسية ، باريس
١٩٠٠ ، جيار ، ج ١ ، التمهيد ، ص ٢ - ٤ و ص ٩ - ١١ .
٤٣ - جيورج يلينيك ، النظرية العامة للدولة (بالالمانية) ، ط ٣ ، برلين ١٩٢٢ ،
شبرينجر ، ص ٥٠ - ٥١ .
٤٤ - هانز كيلسن ، النظرية البحتة للقانون (بالالمانية) ، لايبزج وفيينا ١٩٣٤ ،
دويتشكى ، ص ٣ - ٥ من التمهيد و ص ١٧ . كيلسن ، النظرية الشيوعية للقانون
(بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٥ ، ستيفنز ، ص ٨ من التمهيد .

تعطى للمالك ولو من الناحية العملية سلطة اساءة استعمال الشيء .
يستدرك قائله انه يجب الاعتراف مع ذلك بأن الملكية حق مطلق ،
من امرىء لآخر (٤٥) . المهم دراسة القواعد وما بينها من ترابط ،
الخوض فى مبادئ الاخلاق او العلوم السياسية (٤٦) .

٧ - الوضعية العربية

أما العالم العربي ، فقد انتقلت اليه التركة الاستعمارية باستقبال
قانون نابليون العتيق ، رحبت به الطبقات المالكة الحاكمة ،
القوانين العربية على أن الملكية حق مطلق (م ١٠٤٨ مدنى عراقى ١٩٥١
وأنها حق مانع (م ٨٠٢ مدنى مصرى ١٩٤٨ ، م ٨١١ مدنى ليبيا ١٩٥٣
ولم ترد حدود على الملكية الاقطاعية أو الرأسمالية فى القوانين التقليدية
واعتمدت هذه القوانين - كما يقر ابرز واضعيها - أهم مبادئ الفردية
فنصت على حرية التعاقد ، وأقرت حرية التملك (٤٧) .

ومع قانون نابليون انتقلت مدرسة الشرح على المتون . صب الفقهاء
العرب المتفرنسون عصارة جهدهم فى شرح النصوص ، دافعوا عن التقاليد
الفرنسية كما يدافع العبيد عن ملك السادة . تتلمذوا فى مدارس المستعمر
فقال لهم مشيرا الى نصوص قانون نابليون : هاكم الاصنام والانصاف
والالزام ، خروا أمامها ساجدين . ومنذ تلك الحين ، والواحد منهم يعجب
النص . فهو حين يعالج موضوعا من الموضوعات يبدأ بذكر النص . . .
قبل كل شيء . . . هكذا أوصاهم شيخهم الاقدم ديمولومب أمير فقهاء مدرستهم
الشرح على المتون فى القرن التاسع عشر (٤٨) . ثم بعد ذكر النص ، يبدأ
الفقيه العربى المتفرنس بتاريخ النص ، أى مراحل النص فى اللجوء
التحضيرية المختلفة التى أعدت مشروع القانون . ثم بعد ذلك يستخلص
الفقيه التقليدى من النص البورجوازي الافكار القانونية ، والقواعد
التفصيلية ، ليطبقها فى خشوع على وقائع الحياة بطريقة آلية ، كما يقتضيه
الوثنى صيغ الكهنة فى معابد الالهة .

-
- ٤٥ - كيلسن ، ما هى العدالة (بالانجليزية) ، بيركيلى ولوس انجيليس ١٩٦٠
مطبوعة جامعة كاليفورنيا ، ص ٤ . ايضا : الاحكام التقييمية فى علم القانون ، مقالة
فى مجموعة ما هى العدالة ، السابقة ، ص ٢٠٩ (٢٢٨ - ٢٢٩) . القانون والدولة
والعدالة طبقا للنظرية البحثية للقانون ، مقال فى المجموعة نفسها ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦
٤٦ - كيلسن ، النظرية البحثية للقانون ، ط ٢ الفرنسية ، باريس ١٩٦٢ ، دالور
ص ١ - ٢ ، ص ١٠٠ وص ٢٥٥ وما بعدها .
٤٧ - السنهورى فى الوسيط ، ط ٢ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٩٧٣
ج ١ ، ص ١١٠ .
٤٨ - ديمولومب ، الوسيط فى قانون نابليون ، ج ١ (١٨٤٥) ، ط ٣ (١٨٦٥)
ص ٧ من التمهيد .

أما النتائج الاجتماعية الظالمة ، والتناقضات الطبقية الصارخة ، واستئثار القلة بالثروة ، واستغلال حاجة الجماهير ، فلم تكن موضع اعتبار ، ولم تحظ بكبير اهتمام . هي رفس غير قانونى اشار الفقيه الصهيوئى كيلسن باجتنابه (٤٩) ، فاجتنبوه .

٨ - سلطان الملكية

ان النعمة السائدة عند فقهاء الوضعية هى أن الملكية سلطة . هكذا علم مؤسس الفقه الرأسمالى جروسيوس ١٦٢٥ . . الحق سلطة . . الملكية سلطة (٥٠) . أسند هذه الفكرة فى غياب القانون الوضعى ، الى القانون الطبيعى ، ثم اسندتها الوضعية ، بعد صدور القانون الوضعى ، الى هذا القانون الوضعى .

نص قانون نابليون ١٨٠٤ أن الملكية هى حق التمتع والتصرف فى الاشياء بطريقة مطلقة الى اقصى اطلاق (م ٥٤٤) . ويصرح أمير الفقهاء ديمولومب ، ان الملكية تضى على صاحب الشئ « سلطة سيادة وتحكما كاملا *un pouvoir souverain, un despotisme complet* » ، بحيث يكون للمالك الحق فى اساءة استعمال الشئ ، بل فى تركه يتلاشى والخط من كيانه أو حتى اتلافه ، تماما مثلما يكون لصاحب الكتاب الحق فى تمزيقه أو القائه فى النار (٥١) .

ويوضح الفقيه الرأسمالى لوران أن لمالك الارض تركها دون زراعة كما يشاء ، ولصاحب المال أن يلقى بماله فى الطريق أو ينفقه فى العربة والمجون ، فهو السيد المطلق الذى لا راد لارادته (٥٢) .

يناقش الفقه البورجوازى أثر هذه الصبغة المطلقة لحق الملكية على الصالح العام ، فيسلم بأن مصلحة المجتمع تقتضى أن يحسن الافراد استخدام ملكهم بدلا من اساءة استعماله ، وان المبالغة فى سوء الاستعمال تؤدى الى الحجر على السفية أو وضعه تحت الوصاية . . . لكن ديمولومب

٤٩ - هانز كيلسن ، النظرية البحة للقانون (١٩٣٤) ، ص ٣ - ٥ من التمهيد وص ١٧ .

٥٠ - ما سبق ، نبذة ٢ .

٥١ - ديمولومب ، الوسيط فى قانون نابليون ، ج ٩ : المطول فى تمييز الاموال (بالفرنسية) ، ط ٣ ، باريس ١٨٦٦ ، دوران وهاشيت ، ج ١ ، رقم ٥٤٢ - ٥٤٣ ص ٤٥٨ .

٥٢ - لوران ، مبادئ القانون المدنى (بالفرنسية) ، بروكسل وباريس ١٨٦٩ ، برويلان وماريسك ، ط ٤ (١٨٨٧) ، ج ٦ ، نبذة ١٠١ ص ١٣٥ .

لا تكون الملكية حقا مطلقا ، بل ان كل قيد يرد عليها تفوق مضاره مز
اذ لو نصبنا الحكومة قاضيا لاساءة الاستعمال ، لسرعان ما استحالت
للاستعمال ، فتزول حقيقة الملكية وتنطوى راية الحرية (٥٣) .
انها انشودة الحرية للطبقة المالكة ، اما الطبقة المعدمة فلا ح
ولا حرية .

٩ - تتردد نغمة مماثلة عند فقهاء الشريعة العامة المعروفة بالبنديك
المانيا خلال القرن التاسع عشر . سبق لهيجل ، فيلسوف الدولة البرو
أن استخدم سنة ١٨٢١ عبارة نموذجية فى وصف الملكية ، حيث قال
« مجال حرية يعطيه الفرد لنفسه » (٥٤) . وها هو ذا سافينى ،
الفقهاء الالمان ، يعلن سنة ١٨٤٠ أن الملكية « سلطان غير محدود لش
على شىء ، مقصور عليه دون غيره » (٥٥) . وأبرز ما فى مفهوم
أنها سلطان Herrschaft ، عقيدة تتفق مع سلطان الاقطاع
أراضى العباد . فالاقطاع والرأسمالية مصالحهما مشتركة فى اطلاق
الملكية .

ويقول فيندشايد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ان
يستطيع أن يفعل فى ملكه ما يشاء wie er will ، ويضيف
الملكية فى ذاتها لا حدود لها schrankenlos ، فهى ذلك الذى
الذى يجعل ارادة صاحبه هى الحاسمة بالنسبة الى مجموع نوا
الشىء (٥٦) .

تضمن القانون المدنى الالمانى الصادر ١٨٩٦ هذا المبدأ ، فنص
أن لملك الشىء أن يفعل به « ما يحلو له nach Belieben
(م ٩٠٣) .

هكذا استقر سلطان الملكية فى كل من القانونين الفرنسى والالمانى

١٠ - لكن عصر الامبريالية فى القرن العشرين ، بما يحوى من أز
اقتصادية وحروب متكررة ، أجبر كما سنرى الفقه الرأسمالى على اع

-
- ٥٣ - ديمولومب ، ج ٩ : الاموال ، ج ١ ، رقم ٥٤٥ ص ٤٦١ .
٥٤ - هيجل ، اسس فلسفة القانون (بالالمانية) ، برلين ١٨٢١ ، مكتبة نيكولا
نبذة ٤١ ص ٤٧ .
٥٥ - سافينى ، نظام القانون الرومانى المعاصر (بالالمانية) ، برلين ١٨٤٠ ،
وشركاه ، ج ١ ، نبذة ٥٦ ص ٣٦٧ .
٥٦ - فيندشايد ، الوسيط فى قانون البنديكت ، ط ٩ ، اخراج كيب ، فرانكفورت
المالين ١٩٠٦ ، روتن ولونينج ، ج ١ ، نبذة ١٦٧ ص ٨٥٧ - ٨٥٨ فى المتن والهامش

النظر فى مفاهيمه التقليدية . اعتبرت الملكية وظيفة ، ترددت هذه العبارة ايضا فى بعض كتب الفقه العربى المتفرنس . ومع ذلك فقد ظل التشريع والفقه العربيان يقولان ان الملكية سلطة ، وذلك من خلال تعريفهما للحق العينى ، واهم صورة له هى الملكية . فيقول القانون المدنى العراقى لسنة ١٩٥١ ، ان الحق العينى سلطة مباشرة على شىء معين يعطيها القانون لشخص معين (م ٦٧) . ويصرح أبرز واضعى القانون المدنى المصرى لسنة ١٩٤٨ ، بأن الحق العينى سلطة مباشرة للشخص على الشىء (٥٧) .

ما زالت الملكية اذن سلطة لشخص على شىء . . سلطة ، مثلا ، للاقطاعى على الارض . . وللرأسمالى على المصنع . .

أما الترويج بأنها وظيفة ، فكان لمجرد التمويه . .

١١ - جمود الوضعية

لم تعد الرأسمالية ، فى فلسفتها الوضعية ، تناقش الظلم الاجتماعى ، وتنادى بالعدل الطبيعى ، كما كانت تفعل فى مرحلتها النضالية ، بل غدت تسلم بما هو كائن ، وتعمل على صياغته فى نصوص وقواعد ، وتعتمد الى بلورته فى أفكار ومبادئ ، وتشعر فى عملية التنظيم والترتيب ، لتصل الى غاية التركيب والتأليف ، كل ذلك من خلال التجريد ، بالفصل بين النظر والعمل ، أى بين القانون والمجتمع (٥٨) .

اعلنت الرأسمالية أنها خاتمة المطاف ونهاية الطريق ، فالتاريخ الطويل ما الا مراحل تمهيدية لسلطان الرأسمالية . . سلم متصل الدرجات يؤدى الى بيت سوى الحجرات ، ليس من فوقه ولا من بعده طوابق أو ملاحق ، وضع ابدى سرمدى لا يقبل التغيير ، سعت اليه الانسانية لتبلغ به الكمال ، فما على الفكر سوى أن ينحنى فى خشوع وينخرط فى هدوء فى سلك الوضعية .

وما دامت الاوضاع الرأسمالية هى غاية الغايات ، فالتاريخ قد بلغ اذن مداه ، ولم يبق سوى أن يقف ويتجمد لتستقر الاوضاع وتستتب الامور ، ويستمر استغلال الرأسمالية للشعوب .

٥٧ - السنهورى فى الوسيط ، ج ٨ : الملكية ، القاهرة ١٩٦٧ ، دار النهضة العربية ، نبذة ٩٩ ص ١٨٦ - ١٨٧ .
٥٨ - راجع ايضا : كارل بولاك ، الديالكتيكية فى نظرية الدولة (بالامانية) ، ط ٣ ، برلين ١٩٦٣ ، دار الاكاديميا ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

الطور الامبريالى : المذاهب الاجتماعية

١٢ - الامبريالية والمذاهب الاجتماعية

لكن مع بداية القرن العشرين تبددت احلام الاستقرار ، تأرجح
الوضعية على عرشها المنهار .

تحولت الرأسمالية الى امبريالية . فالامبريالية ظاهرة ملازمة
الرأسمالية ، حينما تنتقل من الانتاج الصغير والمنافسة الحرة ، الى
الكبير والاحتكارات المغلقة ، فتشرع الاوليجاركية فى فتح مناطق نفوذ
وتدخل فى اتفاقات احتكارية لتقسيم اراضى العالم (٥٩) .

فجر هذا التحول مذاهب قانونية مختلفة فى كل من اوربا وامريكا
ففى اوربا ، على الاخص فى فرنسا ، تبين أن قانون نابليون العتيق
صدر سنة ١٨٠٤ ، فى عصر كانت فيه الرأسمالية لا تزال محدودة تعمل
اطار المنافسة الحرة ، ولم يعد هذا القانون يناسب احتياجات الرأسمالية
فى طورها الامبريالى . انتعش القانون الطبيعى من جديد . طالب ج
بالعودة الى القانون الطبيعى السرمدى ، بمفهومه البورجوازى ، لت
النقص فى القانون الرأسمالى (٦٠) . فى حين رأى شتاملر أن الق
الطبيعى متغير ، فوضع معايير شكلية نسبية لما اعتبره القان
العادل (٦١) . وطور كل من الفقيهين سالى ولامبير مفهوم القان
الطبيعى فى اتجاه القانون المقارن (٦٢) . وثار دوجى على الافة
التقليدية ، واعلن نظريته عن التضامن الاجتماعى ، محاولا اح
الصراعات التطبيقية (٦٣) . وحاول دابان وليكلير احياء القانون الطبيعى

-
- ٥٩ - ف. لينين ، الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية (١٩١٦) (بالروسية)
المجموعة الكاملة لاعماله ، ط ٥ ، موسكو ١٩٦٢ ، ج ٢٧ ، ص ٢٩٩ (ص ٣٨٥ وما بعدها)
٦٠ - فرانسوا جينى ، منهج التفسير والمصادر فى القانون الخاص الوضعى (بالفرنسية)
ط ٢ ، باريس ١٩١٩ ، ل. ج. د. ج. ، ج ٢ نبذة ١٦٠ ص ٩٣ وما بعدها .
٦١ - رودولف شتاملر ، نظرية القانون العادل (بالالمانية) ، ط ١ (١٩٠٢) ، ط
هالى ١٩٢٦ ، فايزنهاوس ، ص ٩٤ وما بعدها .
٦٢ - سالى ، المدرسة التاريخية والقانون الطبيعى (بالفرنسية) ، المجلة الفصلية
لللقانون المدنى (باريس) ١٩٠٢ ، ص ١١٢ . ادوار لامبير ، وظيفة القانون المقارن
(بالفرنسية) باريس ١٩٠٣ ، جيار وبريير ، ص ٩١٦ وما بعدها .
٦٣ - ليون دوجى ، المطول فى القانون الدستورى (بالفرنسية) ، ط ٣ ، باريس ١٩٠٧
فونتيموان ، ج ١ ، ص ٨٥ - ٨٧ وص ٦٦٣ وما بعدها .

أما فى امريكا ، فتعاقبت فترات تأزم وتقدم ، ودفعات اندحار وازدهار . تغلف المجتمع الأمريكى ، بساتنه من رجال الاعمال ، وسدنته من فلاسفة الذرائع (البراجماتية) (٦٥) ، بغلالة كثيفة من الكآبة حملت العلماء والكتاب على دراسة الواقع المرير . فأوضح فيبيلين مدى بعد الاقتصاد الأمريكى عن سياسة دعه يفعل ، واتجه الكتاب الشباب مثل هاويلز ومارك توين وجارلاند الى تصوير الظروف الاجتماعية وكشف الحقيقة المؤلمة ، ونقد رجال الاعمال ورسم بؤس العمال (٦٦) .

من خلال هذه السحب الداكنة لاحت تدريجيا فى الافق القانونى الاتجاهات المجددة للفقهاء الاجتماعى (كاردوزو ، باوند) (٦٧) . بيد انه كان فقها يجدد فى اطار الوضع السائد ، يسعى الى حقن الرأسمالية بمصل شاف ، ليزيد من قوتها ويطيل فى بقائها . لكن الازمة الاقتصادية الكبرى فى الثلاثينات من هذا القرن ، هزت المجتمع الأمريكى بعنف ، فسقط ما يحجب الحقيقة من نقب ، وشرع الفقهاء يتحدث عن « السراب » ، أى عن

٦٤ - جان دابان ، النظرية العامة للقانون (بالفرنسية) ، باريس ١٩٦٩ ، دالوز ، نبذة ١٨٦ ص ٢١٥ وما بعدهما . جاك ليكلير ، دروس فى القانون الطبيعى (بالفرنسية) ط ٤ ، نامور ولوفان ١٩٥٧ ، ويسمايل شارلييه وجمعية الدراسات الخلقية والاجتماعية والقانونية ، ج ١ ، ص ٧٧ ، ج ٢ (١٩٥٨) ، نبذة ٣٠ ص ١٠٦ وما بعدهما ، نبذة ٧٤ ص ٢٤٠ وما بعدها وص ٢٤٨ .

٦٥ - وليم جيمس : البراجماتية : اسم جديد لبعض الطرق القديمة فى التفكير (بالانجليزية) ، نيويورك ١٩٠٧ ، فى مجموعة : البراجماتيون الأمريكان ، ميريديان بوكس ، ج ١٠٥ ، ص ٢٨ (٣١ - ٣٣) . جون ديوى ، المنهج المنطقى والقانون (بالانجليزية) ، فى مجموعة : هول ، قراءات فى اصول القانون ، انديانابوليس ١٩٣٨ ، بوب ميريل ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ وص ٣٥٣ .

٦٦ - هنرى بامفورد باركس ، الشعب الأمريكى (بالانجليزية) ، لندن ١٩٤٩ ، أير وسبوتيسوود ، ص ٢٧١ وما بعدها . فرانك اماندوس نيف ، المذاهب الاقتصادية (بالانجليزية) ، ط ٢ ، نيويورك وتورنتو ولندن ١٩٥٠ ، مك جروهيل ، ص ٤٣٢ وما بعدها . نيلسون مانفريد بليك ، التاريخ الموجز للحياة الأمريكية (بالانجليزية) ، نيويورك وتورنتو ولندن ١٩٥٢ ، مك جروهيل ، ص ٥٣٣ وما بعدها .

٦٧ - بنجامين ناثن كاردوزو ، نمو القانون (١٩٢٤) (بالانجليزية) ، فى المجموعة المختارة لأعماله ، نيويورك ١٩٤٧ ، شركة فالون ، ص ٢٣١ وما بعدها . طبيعة العملية القضائية (١٩٢١) ، فى المجموعة المختارة ، ص ١٣٣ وما بعدها . تناقضات العلم القانونى (١٩٢٨) ، فى المجموعة المختارة ، ص ٢٩٤ وما بعدها . روسكو باوند ، القضاء الميكانيكى (بالانجليزية) ، مجلة كولومبيا القانونية (نيويورك) ١٩٠٨ ، ص ٦٠٥ و ٦٠٩ . الرقابة الاجتماعية من خلال القانون (بالانجليزية) ، نيو هافن ١٩٤٢ ، مطبعة جامعة ييل ، ص ٦٤ . تفسيرات تاريخ القانون (بالانجليزية) ، نيويورك ١٩٢٣ ، مكميلان ، ص ١٥١ وما بعدها . مهمة القانون (بالانجليزية) ، لانكستر ١٩٤١ ، فرانكلين ومارشال كوليج ، ص ٣٣ . استعراض للمصالح الاجتماعية (بالانجليزية) ، مجلة هارفارد القانونية رقم ٥٧ سنة ١٩٤٣ ، ص ١ .

خديعة العدالة فى القضاء الامريكى (لويلين ، فرانك) (٦٨) .
ولا زال التيار الاجتماعى والتيار الواقعى سائدين فى الولايات المتحدة .

١٣ - الوظيفة الاجتماعية للملكية

صحب تحول الرأسمالية الى امبريالية أزمت اقتصادية متكررة
تفاثرت على الطريق ما بين انتعاش وآخر اشلاء الضحايا من صرعى الاف
والبطالة . عجزت السوق الاوربية المشتركة بعد الحرب العالمية الثانية
انتشال اوربا من أزمة طاحنة .

اهتز مع الاقتصاد الرأسمالى المفهوم العتيق للملكية . طالبت الحركة
الشعبية باعادة صهر المجتمع لتحقيق العدالة الاجتماعية . تعين على
الرأسمالية اجراء تنازلات ، لوقف سخط المحرومين وتفادى حدوث انفج
ترددت اصوات صاحبت تحول الرأسمالية الى امبريالية تنادى بأن الحق
ليست مطلقة ، فذهب سالى الى قصر استعمال الحق على غايته الاقتصادية
والاجتماعية (٦٩) ، وأعلن جوسران نسبية الحق وأخضعه للمعيار الوظ
أو الغائى (٧٠) ، وأنكر دوجى فكرة الحق واستعاض عنها بمفهوم الم
القانونى واعتبار الملكية وظيفة (٧١) .. fonction sociale .

استخلص جوسران من نسبية حق الملكية مسئولية المالك عن استع
ملكه ولو لم ينو الاضرار بالغير ، ما دام لا يستند الى مصلحة جد
ومشروعة ، فغاية الملكية استثمار الثروة ، وتجنيد الانانية الفردية فى ص

-
- ٦٨ - جيروم فرانك ، محاكم الدرجة الاولى ، الخرافة والحقيقة فى العدالة الامري
(بالانجليزية) ، برينستون ١٩٤٩ ، مطبعة جامعة برينستون ، ص ١٥ - ١٩ ، وما
فى مجلة كولومبيا القانونية ١٩٤٧ ، ص ١٢٧٣ . كارل ن . لويلين ، عشب القث
(بالانجليزية) ، نيويورك ١٩٣٠ ، طبعة ١٩٥١ ، اوسيانا ، ص ٣٧ - ٣٩ وص
٦٦ - ٦٨ و ٧٠ و ٧٣ . وقارن : لويلين ، عرف الشريعة العامة (بالانجليزية
بوسطن ١٩٦٠ ، ليتل وبراون ، ص ٣٠١ .
٦٩ - ريمون سالى ، دراسة فى النظرية العامة للالتزام (بالفرنسية) ، ط ٣ ، بار
١٩١٤ ، ليبريرى جنرال ، ص ٣٧١ هـ ١ .
٧٠ - لوى جوسران ، روح الحقوق ونسبيتها (بالفرنسية) ، ط ٢ ، باريس ١٩٣٩
دالوز ، ص ١ وما بعدها .
٧١ - ليون دوجى ، التحولات العامة للقانون الخاص (بالفرنسية) ، ط ٢ ، بار
١٩٢٠ ، الكان ، ص ٩ وما بعدها وص ١٦١ وما بعدها . مطول القانون الدستورى
ط ٢ ، ج ٢ (١٩٢٣) ص ٥٩٨ وما بعدها . دروس فى القانون العام (بالفرنسية)
باريس ١٩٢٦ ، بوكار ، ص ٥٣ و ٥٥ .

الجماعة الانسانية (٧٢) . واستنتج دوجى من كون الملكية وظيفة أن الملكية العقارية والملكية الرأسمالية الوراثية يجب أن تستخدم وتؤتى ثمارها ، والا فتكون عرضة لنزعها وتسليمها لمن يقدر على استثمارها ، فيجبر المالك على زراعة أرضه ، وتأجير عمارته ، وتسير مصنعه ، الى غير ذلك (٧٣) .

لم تكن غاية دوجى تغيير المجتمع الامبريالى ، بل هو ابقى على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج مع تعديل تسميتها من حق مطلق الى وظيفة اجتماعية ، حتى تكون اكثر تقبلا من الشعب الثائر . اذ يقول دوجى أن الملكية العقارية والملكية الرأسمالية الوراثية يجب أن تستخدم وتؤتى ثمارها . ليس فى نيته اذن القضاء على الرأسمالية ، بل على العكس حملها على جمع صفوفها والانتظام فى شكل نقابة تدافع عن مصالحها الطبقيّة ، وأجبر الطبقات الكادحة على الانخراط فى الاخرى فى نقابات تتعاون مع نقابة الرأسماليين على اساس التضامن الاجتماعى (٧٤) . وكل هذا من شأنه تقوية الرأسمالية المنهارة ، وتسخير الكادحين لخدمتها .

لتكن الملكية وظيفة . . . المهم أن تبقى الملكية .

ويقول اليوم كاربونييه ، من ألمع الفقهاء الفرنسيين المعاصرين ، ان النعمة السائدة حاليا بين الكتاب هى اضمحلال الملكية *décadence* . . قيد الحق الفردى للملكية باسم المصلحة العامة ، شذب لصالح المنتفعين بالشئ ، هوجم من الداخل والخارج . . وبالتالي سقط المالك ، لم يعد سيدا مطلقا لا يمس مثما كان على أثر اعلان ١٧٨٩ واصدار القانون المدنى . . ان اضمحلال الملكية جرف فى انهياره العقد والمسئولية الخطئية ، هذه الاعمدة الرئيسية للنظام الليبرالى الفردى . ومع ذلك فان الناس لا يزالون يتكالبون على اقتناء الاموال . . الشقق ، السيارات ، المعادن النفيسة . . وما زال حق الملكية هو عجل الذهب الذى يعبده الناس مثما كانت الحال عند بزوغ المذهب الفردى . . ما زال الفقه يهتم بمفهوم الملكية . . . دون أن يتساءل من هم الملاك . فى حين أن « توزيع » الملكية لا يقل اهمية عن بنيتها الداخلية (٧٥) .

٧٢ - جوسران ، روح الحقوق ونسبيتها ، نبذة ٢٧ ص ٣٥ وما بعدها ، نبذة ٢٩٣ ص ٣٩٦ .

٧٣ - دوجى ، المطول فى القانون الدستورى ، ط ٣ ، ج ٣ ، ص ٦٦٤ وما بعدها .

٧٤ - دوجى ، المطول ، ط ٣ ، ج ١ ، ص ٦٦٣ وما بعدها .

٧٥ - جان كاربونييه ، القانون المرن (بالفرنسية) ، باريس ١٩٧١ ، لييريرى جنرال ص ١٧٦ - ١٧٧ .

بيد أن كاربونييه لا يسعى الى تغيير المجتمع البورجوازي أو على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . انه - شأن دوجي في الربع الا هذا القرن - يلجأ الى التميع والتمويه ، ويدافع اكثر مما يهاجم حينما يعرض لتوزيع الملكية ، يرفض مناقشة ظاهرة تركيز الملكية الوقت الحاضر ، بحجة أن هذا الموضوع ادخل في علم الاقتصاد ، وأبل نقده على أمور ثانوية ، كاليانصيب والرهان ، أو الحق في بالنسبة الى المحل التجاري . ثم يوعز بأن القضاء على الملكية الخاص يؤدي الى انتاج احسن ، ولا الى عدالة اكبر ، بل هو يمثل فقط المؤقت من أزمة نفسية وحمى حسد تلتهم الجسم الاجتماعي (كذا) مثلما يفعل الاب حينما يصادر ما بيد اطفاله ليعيد اليهم السلام . تشاجروا بدافع الغيرة (كذا ؟) . ان الحل العملي في نظره هو التصاعدية على التركات (٧٦) ؟ ؟

ما زال الفقه البورجوازي نفسه مجندا للدفاع عن الملكية الرأسمالية .

١٤ - وفي المانيا الغربية ، تطور مفهوم الملكية أيضا خلال العشرين ، في ضوء المعايير المستجدة في مجتمع رأسمالي متأزم ، عجلة الاحداث الى اعادة نظر شاملة في القيم والنظم السائدة . الرأسمالية الالمانية الحلول القضائية الحازمة ، لاحتساسها بعدم المبادئ التقليدية الصارمة .

عرفت الملكية تضيقا مستمرا في مجال سلطنتها ، اذ تدخل في علاقات الافراد ، فمدد العقود ، وحدد الاجور ، وراقب الاسعار ، أن تفاقمت المحنة على أثر الحرب العالمية الثانية ، وخربت مدن بـ بما تحوى من مصانع ومنازل ، واجبر الملايين على ترك الديار وهـ الاوطان ، وتاهوا في بادية الحياة بلا مأوى ولا عمل ولا أمل .

تطورت فكرة الملكية من حق مطلق بلا حدود الى حق مقيد اجقت كما برز ذلك منذ دستور فايمر بعد الحرب العالمية الاولى ، اذ ذكر الدستور أن الملكية تولد التزامات ، واستعمالها يجب أن يكون في المصلحة العامة (م ١٥٣ / ٣) . أمسى المالك يتمتع بمكنات ويتحمل واجبات ، ويتقبل اعباء مختلفة تتفق ومصالح الغير أو تقتضيها مصـ

٧٦ - كاربونييه ، القانون المرن ، ص ١٧٧ - ١٩٧ .

الجماعة (٧٧) •

استولت الادارة فى المانيا الغربية على المساكن الخالية لتؤجرها بمعرفتها ، كوسيلة مؤقتة لحل أزمة الاسكان ومنع عسف الملاك ، بعد ان عمّ الدمار البلدان الالمانية • وضعت المحكمة الاتحادية منذ سنة ١٩٥٢ - بمناسبة هذا الاستيلاء - مفهوما جديدا للملكية يجردها تماما من صبغتها المطلقة ، ويتيح القيود والحدود التى مهما بلغت من الجسامة فانها لا تدعو الى التعويض ، ما دامت تسرى على الجميع بلا تمييز ، ولا تصطدم بمبدأ المساواة أمام القانون (٧٨) •

لم تعد الملكية حقا مطلقا ، بل أمست جوهرًا بطبيعته مشروط ومحدود (٧٩) •

لتكن الملكية محدودة ... المهم أن تبقى قائمة ...

١٥ - تلك كانت التيارات الثلاثة الرئيسية فى المجتمع الرأسمالى الغربى ، ارتبطت بالمراحل الثلاث لتطور الرأسمالية • فالرأسمالية فى طورها الاول النضالى نادت بالقانون الطبيعى وتشبثت بالمثل العليا ، واعتبرت الملكية سلطة ، وزعمت انها حق طبيعى • والرأسمالية فى طورها الثانى الاستغلالي رفضت البحث عن العدالة وتمسكت بالوضع القائم ، بعد أن نصت فى القانون الوضعى على أن الملكية حق مطلق • والرأسمالية فى طورها الثالث الامبريالى ولدت خضما من الاتجاهات والتناقضات ، وظهر ميل الى التمويه واعتبار الملكية وظيفة ، بينما تدخل القانون فعلا فى تقليص مفهوم الملكية •

من الحق الطبيعى ، الى الحق المطلق ، الى الوظيفة الاجتماعية • •
ذلك كان تاريخ فكرة الملكية ...

٧٧ - راجع فى كل ذلك : شتاودنجر وزويفرت ، تعليقات على القانون المدنى (بالالمانية) ، ج ١/٣ ، ط ١١ ، برلين ١٩٥٦ ، شفايتسر ، التعليق رقم ١ وما يليه السابق على المادة ٩٠٣ ، ص ٣٤٨ وما بعدها • تعليقات مستشارى محكمة الرايش على القانون المدنى (بالالمانية) ، ج ١/٣ ، برلين ١٩٥٩ ، دى جرويتز ، التعليق ١ و ٢ و ٣ السابق على المادة ٩٠٣ ، ص ٢٩٩ - ٣٠١ •

٧٨ - المحكمة الاتحادية الدائرة الكبرى فى المواد المدنية ١٠ يونيو ١٩٥٢ ، مجموعة احكام المحكمة الاتحادية فى المواد المدنية ، ج ٦ ، ص ٢٧١ (٢٨٠) •
٧٩ - تعليقات مستشارى محكمة الرايش على القانون المدنى ، ج ١/٣ ، التعليق ٥ قبل المادة ٩٠٣ ، ص ٣٠١ • جوستاف رادبروخ ، فلسفة القانون (بالالمانية) ، ط ٥ ، اخراج اريك فولف ، شتوتجارت ١٩٥٦ ، كولر ، ص ٢٤٢ • انيسروس وكيب وفولف ، الوسيط فى القانون المدنى (بالالمانية) ، ج ٣ ، اخراج مارتن فولف ولودفيج رايزر ، ط ١٠ ، توبنجن ١٩٥٧ ، مور ، ص ١٧٢ - ١٧٥ •

على أن الصورة لا تكتمل الا بايضاح التيار الثانى المضاد لتيار
الرأسمالى ، الا وهو تيار الفكر الاشتراكى .

٢ - اطوار الاشتراكية والفكر الاشتراكى

أدت التحولات الاقتصادية العميقة للمجتمع ، على اثر الثورة
الصناعية ، الى تفجير الحركات الاشتراكية ، نهضت تواجه الفردية .
كان الرعيل الاول من الاشتراكيين خياليا ، يتصور امكان
المجتمع عن طريق الارشاد والاقناع ، ينقصه البحث العلمى لفهم ط
المجتمعات . ثم تلاه جيل ثان اعتمد على العلم لتحليل المجتمع ، و
من الوعظ سبيلا للاصلاح ، وآمن بضرورة التغيير الثورى .

الاشتراكية الطوباوية : اصلاح النظام الرأسمالى

١٦ - الظروف الاجتماعية لاوروبا

ففى انجلترا ، جذب تطور الصناعة الفلاحين من أراضيهم ، ود
بهم الى المراكز الصناعية الجديدة . هناك راحوا يعملون أربع عشرة
فى اليوم ، فى ورش غير صحية لقاء أجر زهيد ، ليتكوموا اذا ما أتى
فى جحور متداعية (١) .

وفى فرنسا ، تدافعت الاحداث نحو تسريع الحركات الاشتراكية
رجعية الملكين المتطرفين بعد اعتلاء شارل العاشر عرش فرنسا سنة ١٨٣٠
... عودة ملكية النظام القديم بعظمته وأبهائه ... تعويض النبلاء
شكل رواتب من الخزانة العامة ... السيطرة التدريجية لطبقة البورجوا
وتجميعها ثروات البلاد ... ثم ثورة ١٨٣٠ ، وحكم الملك لوى فيليب
والخلاف المستمر بين البورجوازية والشعب ، واضطرابات العمال
مدينة ليون التى سهل اخمادها ، وتقديم العمال ضحية صاعرة لجشع
الرأسماليين (٢) .

-
- ١ - أنظر : نورمان مكينزى ، الاشتراكية ، تاريخ موجز (بالانجليزية) ، مكتبة
هاتشينسون ، لندن ١٩٤٩ ، ص ٢٧ .
 - ٢ - أنظر : شلوسر ، تاريخ العالم (بالالمانية) ، ط ٢ ، برلين ١٨٩٨ ، ج ٦
ص ٢٣٤ و ٢٤٢ و ٢٦٥ و ٤٤٩ وما بعد هذه الصفحات . تاريخ كيمبريدج الحديد
(بالانجليزية) ، ج ١٠ ، كيمبريدج ١٩٣٤ ، ص ٧١ وما بعدها .

اتضح أن امبراطورية العقل التى نادى بها فقهاء القانون الطبيعى لم تكن سوى الامبراطورية المثالية للبورجوازية . تبين أن العدالة الابدية تحقق نفسها فى العدل البورجوازي ، وأن المساواة تمخضت عن محض مساواة مدنية أمام القانون ، وأن الملكية البورجوازية اعتبرت حقا جوهريا من حقوق الانسان ، وأن الدولة القائمة على العقل والعقد الاجتماعى لروسو تحققت فى صورة جمهورية بورجوازية . فلم يخرج كبار المفكرين فى القرن الثامن عشر عن آفاق عصرهم وحدوده (٣) .

كان فلاسفة الثورة الفرنسية قد احتكموا الى العقل باعتباره القاضى فى كل شىء . ثم انهارت دولة العقل وتناثرت اشلاؤها : ادى العقد الاجتماعى لروسو الى عصر الارهاب ، وهربت منه البورجوازية بالانغماس فى فساد حكومة الديركتوار ، ثم الارتقاء فى أحضان استبداد نابليون انكسر مشروع السلم الدائم وتحول الى حرب لانهائية للغزو ، تمخض المجتمع القائم على العقل عن مأس طاحنة ، اذ تعمق التناقض بين الغنى والفقر ، بعد أن أزيحت النظم التى كانت تخفف من وطأته ، فقد ألغى نظام الطوائف وغيره من الامتيازات ، كما قضى على نشاط المؤسسات الخيرية الكنسية تبين أن تحرير الملكية من أغلال الاقطاع قد تمخض فى النهاية عن اعطاء الحرية للفلاح الصغير والبورجوازي الصغير اللذين يعانون من المنافسة القاهرة من قبل رأس المال الكبير والملكية الكبيرة ، الحرية فى بيع الملك الى هؤلاء السادة الكبار ، اى أن تحرير الملكية صار ضياعا لها تزايدت نسبة الجرائم عاما بعد آخر حلت محل الاعباء المباشرة التى كان يفرضها الاقطاع ، اعباء غير مباشرة لصالح رأس المال تحولت التجارة الى نهب ، والاخاء الذى نادى به الثورة الى منافسة هدامة حاقدة حل محل القمع الفساد ، ومحل السيف المال انتقل حق الليلة الاولى الذى كان مقررا للامير على الفتيات ، من السيد الاقطاعى الى الصانع البورجوازي انتشرت الدعارة بصورة غير معروفة من قبل ، وصار الزواج غطاء لها ، يجد كماله فى تكرار الزنى . وبايجاز ، فان سيادة العقل التى نادى بها فلاسفة عصر الانوار ، قد انتهت بالنظم الاجتماعية والسياسية الى صور ممسوخة مشوهة . كان ينقص فقط الرجال الذين لاحظوا هذا الفساد ، وظهر هؤلاء مع بداية القرن التاسع عشر ،

٣ - فريدرش انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم (بالالمانية) ، ط ١٨٩١ ، فى الكتابات المختارة لماركس وانجيلز ، برلين ١٩٧٠ ، ديتس ، ج ٢ ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

الاشتر اكيون الطوباويون الكبار (٤) .

١٧ - الملكية فى الفكر الاصلاحى

تشرع روبرت اوين يروج فى انجلترا لبعض الافكار الاصلاحية ان رأسى المال يجب أن يقتصر على دخل عادل ، وان للعامل حقا ف اكبر من عائد رأس المال ، وان البطالة يمكن محاربتها بالتعاونيات (٥) .

ولجأ سان سيمون فى فرنسا الى وعظ الحكام : ايها الامراء كان من رجال الدين أن يوقفوكم عند حافة الهاوية ، لكنهم على العكس بأنفسهم فيها معكم . ايها الامراء استمعوا الى صوت الله ، فهو يحدث لسانى ، عودوا مسيحيين حنين ، كفوا عن الاعتماد اساسا على المأجورة والنبلاء ورجال الدين المارقين والقضاة الفاسقين ، تذكر المسيحية تدعو الى الاسراع فى انماء السعادة الاجتماعية للفقير (٦)

كلف سان سيمون الكتاب والفنانين بدعوة الناس الى السهر الرفاهية العامة ، ودعا العلماء الى الاشراف على التربية العامة المعرفة بقوانين الطبيعة وطرق التأثير فيها ، واعتبر رجال الصناعة هم قادة الشعب ، يشتركون فى تقرير الضرائب جنبا الى جنب مع ملاك الارض . والزم قادة الصناعة أن يضموا صوتهم الى الفنانين والعلماء لاقناع المجتمع بهذا التنظيم الجديد ، بغية تحسين حالة الطبقة الدنيا وجعل الناس سعداء ايا كانت درجتهم . ويجب فى كل ذلك الفرع استعمال القوة ، وذلك مثلما كان يفعل المسيحيون الاول ، فلا تؤثر النفوس الا عن طريق الاقناع والبرهان (٧) . واعتبر الحكومة وسيط

٤ - انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ص ١٠٧ .

٥ - راجع : ج ٥٠٥ . كول حياة روبرت اوين (بالانجليزية) ، ط ٣ ، لندن ١٨٥٥ فرانك كاس ، ص ٢٢٢ وما بعدها . المؤلف نفسه ، تاريخ الفكر الاشتراكى ، الرواد الاول (بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٣ ، مكميلان ، ص ٨٦ وما بعدها . باول ، السياسة والرأى فى القرن التاسع عشر (بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٤ ، ص ١٤٣ وما بعدها . جابر جاد عبد الرحمن ، اقتصاديات التعاون ، ج ١ : فى التعاونى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٥٨ وما بعدها .

٦ - كلود هنرى دى سان سيمون ، المسيحية الجديدة (بالفرنسية) (١٨٢٥) مجموعة اعماله ، باريس ١٩٦٦ ، دار انثروبوس ، ج ٣ (ج ٧ من ط ١٨٦٩) ، ص (١٩١ - ١٩٢) .

٧ - سان سيمون ، الاعمال الفلسفية والعلمية والشعرية التى تبغى تسهيل اعادة المجتمع الاوربى (١٨٢٢) (بالفرنسية) ، فى مجموعة اعماله ، ج ٦ ، ص (٤٦٩ - ٤٧٤) .

مفيد فى عملية التنظيم (٨) .

هكذا حشر سان سيمون فى تنظيم واحد العامل اليدوى وصاحب المصرف ، وجعل القيادة فى المجتمع بيد الصناع الاثرياء ، وبايجاز ، تبنى تطلعات البورجوازية الصناعية الناشئة ودافع عن مطالبها ، وهو ما شرع فى تحقيقه بعض تلامذته خلال حكم نابليون الثالث فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عصر الصعود النهائى للرأسمالية (٩) .

أما فورييه فصب غضبه على الرأسمالية التجارية (١٠) ، لكنه لم يتجه الى الصناعة ، بل فضل عليها الزراعة . بلور افكاره فى مشروع الكتاب *les Phalanges* ، وهى جماعات زراعية صغيرة تقتصر كل جماعة منها على ١٥٠٠ أو ١٦٠٠ شخص ، تساهم بالعمل الجماعى فى الانتاج الزراعى . يجرى اختيار الاعضاء على اساس عدم المساواة فى الثروة والعمر والطباع والمعرفة النظرية والفنية ، وتتولى الكتيبة الزراعات المختلفة وما يلزمها من حرف يدوية كالحدادة والنجارة (١١) . بيد أن الكتيبة ليست نظاما اشتراكيا : ان فورييه يبقى على الرأسمالية ، وعلى تمايز الطبقات ، والتفاوت فى الثروات ، فكتيبته خليط من النظام التعاونى والشركة التجارية . اذ يدفع رأس المال فى شكل اسهم نقدية أو عينية ، كأن يقدم بعض الاعضاء الارض او الالات ، ثم يوزع الربح وفقا لاسس ثلاثة : رأس المال ، والعمل ، والمهارة (١٢) .

١٨ - ثم أتى برودون . ملأ الدنيا ضجيجا سنة ١٨٤٠ بسؤاله : ما هى الملكية ؟ وجوابه : الملكية هى السرقة *la propriété c'est le vol* ، مثلما الرق هو الاغتيا ل (١٣) . بيد أن برودون كان متناقضا متخاذلا . هاجم الملكية الخاصة وقال : ان مصدرها الاول الحرب والغزو ، ومصدرها

-
- ٨ - سان سيمون ، الصناعة (١٨١٦) (بالفرنسية) ، مجموعة اعماله ، ج ١ ، ص ١٣٢ و ١٣٦ .
 - ٩ - راجع : جان توشار ، تاريخ الافكار السياسية (بالفرنسية) ، ط ٥ ، باريس ١٩٧٠ ، مجموعة تيميس ، بريس اونيفرسيتير دى فرانس ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٢ .
 - ١٠ - شارل فورييه ، نظرية الحركات الاربع والمصائر العامة (١٨٠٨) (بالفرنسية) ، فى الاعمال الكاملة ، باريس ١٩٦٦ ، ط أنثروبوس ، ج ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 - ١١ - فورييه ، المطول فى جمعية الزراعة المنزلية أو الجذب الصناعى (١٨٢٢) (بالفرنسية) ، فى الاعمال الكاملة ، ج ٤ ، ص ٤٢٧ .
 - ١٢ - الاعمال الكاملة ، ج ٤ ، ص ٤٢٨ وص ٤٣١ .
 - ١٣ - ب.ج. برودون ، نصوص مختارة (بالفرنسية) ، ط لا جوجى ، باريس ١٩٥٣ ، دالوز ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

الثانى اتفاقات وعقود فرضتها القوة ، وقبلها الضعف ، فهى باطلة و
الاجيال اللاحقة لا تؤدى الى تصحيحها (١٤) . ثم عارض الملكية
وقال ان الملكية الجماعية تفرض نيرها على الارادة وتؤدى بالمجتمع
الوهن (١٥) . عاد برودون الى الملكية الخاصة وزعم أنها الحماية
للحرية ، وان الملكية الخاصة يجب من ثم أن تكون مطلقة ، ورأى
الامثل لصيانة الملكية الخاصة من التعسف هو تفتيت الارض فى شكل
صغيرة لا تتجاوز خمسة هكتارات ، حتى يكون الجميع
متساوين (١٦) .

قفل برودون مرة اخرى يناقض نفسه ، اعلن أن الملكية و
أخذتان فى التهدم منذ بدء العالم . فالانسان يبحث عن العدالة
المساواة ، والمجتمع يبحث عن النظام فى الفوضوية . ان الدولة اداة للاستغلال
والاستغلال . والسلطة غايتها حفظ النظام فى المجتمع ، باقرار وتنفيذ
طاعة المواطن للدولة ، وخضوع الفقير للغنى ، والفلاح للنبل ، وال
للطفلى ، والعلمانى للكهنة ، والبورجوازي للعسكرى . ان الدولة تكسر
الحريات ، تقيّد الصحافة ، تحظر الجمعيات ، تبقى على الشعب فى
من الجهل . . . الدولة عبء مالى ينوء به كاهل المجتمع . . . ان كل
الحكم تتساوى فى السوء ، وان فكرة روسو عن الديمقراطية هى ف
خاطئة وتعسفية . . . ليس المهم هو تغيير شكل السلطة او اساسها ب
الحق الالهى وجعل السلطة للشعب ، بل المهم هو رفض تطبيق فكرة المس
فى ذاتها . . ان عقد روسو هو اتحاد عدوانى وقائى بين الملاك
المعدمين ، هو اتفاق حقد ومبنى كراهية ، هو حلف بارونات الم
والتجارة والصناعة ضد محرومى البروليترية ، هو يمين الحرب ال
التى يسميها روسو بعجرفة اجرامية عقدا اجتماعيا . . ان الديمقراطية
اخلاقية ، غير قادرة على حل المسألة الاجتماعية . . الديمقراطية خ
. . ان الصيغة الثورية ليست هى الحكومة فى أية صورة من صورها ،
هى انعدام الحكومة . . . لا ملكية . . لا ارستقراطية . . لا ديمقراطية
لا سلطة ولو كانت شعبية . . فالثورة هنا (١٧) .

هكذا انتهى الامر بالاشتراكيين الطوباويين الى الفوضوية . .

-
- ١٤ - برودون ، نصوص مختارة ، ص ٢٧٦ .
١٥ - نصوص مختارة ، ص ٣٠٦ - ٣١٠ .
١٦ - نصوص مختارة ، ص ٣٢٢ - ٣٣٣ .
١٧ - نصوص مختارة ، ص ٣٤٢ - ٣٤٧ و ٣٥٠ و ٣٥٣ - ٣٥٧ و ٣٧٢ - ٣٧٧ .

الاشتراكية العلمية : القضاء على النظام الرأسمالى

النظام الاشتراكى وتطوره

١٩ - نقد الاشتراكية الطوباوية

ثم ظهر أقطاب الاشتراكية العلمية ، بدأوا بنقد الاشتراكية الطوباوية : زعم الطوباويون أن العدالة اذا لم تكن قد سادت العالم من قبل ، فلأن العقل الانسانى لم يكن بعد قد اكتشفها ، لم يكن وجد بعد ذلك الانسان العبقري الذى تعرف على الحقيقة . . ان وجوده فى نظر هؤلاء هو محض صدفة قد تحدث فى أى عصر ، بلا تفاعل مع الظروف الاجتماعية الملائمة . . لو أن هذا العبقري قد ظهر قبل خمسمائة عام ، لوفر على الانسانية خمسمائة عام من الاخطاء والصراعات والآلام (١٨) .

لم يكن اسلوب الانتاج الرأسمالى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر قد نما بعد ، ولا تعمق التناقض بين البورجوازية والبرولتارية . . . كانت الصناعة الكبيرة تنشأ لتوها فى انجلترا ، ولم تعرف بعد فى فرنسا . ذلك أن الصناعة الكبيرة وحدها تنمى التناقضات فى المجتمع الرأسمالى . سيطر هذا الوضع التاريخى على مؤسسى الاشتراكية . . . فان الوضع غير الناضج للانتاج الرأسمالى ولد أيضا نظريات غير ناضجة . . جرى الالتجاء مرة اخرى الى العقل لحل مشاكل المجتمع (١٩) ، مثلما فعل فلاسفة الانوار فى القرن الثامن عشر ، والاستعانة بغية الاقناع بالدعاية والقذوة الحسنة لبعض التجارب النموذجية . كل هذا كان محكوما عليه سلفا باليوتوبيا والانغماس فى التفاصيل الخيالية البحتة .

فمثلا ، كان سان سيمون ابن الثورة الفرنسية ، لما يتجاوز الثلاثين عند اندلاعها . بدت الثورة فى الظاهر انتصارا للطائفة الثالثة ، أى لجمهور الامة العامل فى الانتاج والتجارة ، فى مواجهة الطبقتين الممتازتين ، الاقطاع والكهنوت . بيد أن انتصار الطائفة الثالثة تمخض لصالح جزء ضئيل منها هو البورجوازية المالكة ، ونمت هذه بفضل المضاربة فى الاملاك

١٨ - انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة ،

ج ٢ ص ١٠٥ .

١٩ - ماركس وانجيلز ، البيان الشيوعى ١٨٤٨ (بالالمانية) ، الكتابات المختارة

ج ١ ، ص ٥٤ . انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة

ج ٢ ، ص ١٠٧ .

المصادرة من الاقطاع والكنيسة التى بيعت بعد مصادرتها
البورجوازية ، اضافة الى التلاعب بصفقات الاسلحة .

تصور سان سيمون أن التناقض بين الطائفة الثالثة وبين الطبقات
المتنازعتين ، هو تناقض بين العاملين وبين اصحاب الايرادات ،
العاملين على أنهم ليسوا فقط الاجراء ، بل ايضا الصناع والتجار واد
البنوك . تخيل ان المعدمين غير صالحين للقيادة الروحية والسبب
السياسية ، نظرا لما حدث فى عصر الارهاب . ومن ثم ناط القيادة
العلم والصناعة ، واقام بين الفئتين رباطا دينيا جديدا . وقصد بأهل
المثقفين ، وبأهل الصناعة البورجوازيين النشطين ، الصناع والبنوك
واصحاب البنوك . حقا أوجب على هؤلاء أن يتحولوا الى نوع من المومنين
العموميين ، ثقات للجماعة ، لكن احتفظ لهم فى مواجهة العمال بم
ممتازة اجتماعيا واقتصاديا . وما دام اصحاب المصارف ينظمون الائتم
فقد عقد لهم قيادة الاقتصاد الجماعى كله . . وكل هذا يطابق اوضاع
اذا ذاك حيث التناقض بين البورجوازية والبرولتارية ما يزال
فى المهد (٢٠) .

أما برودون ، فحين فجر سؤاله « ما هى الملكية ؟ » ، لم يكن
أن الاجابة على هذا السؤال لا تكون بكيل الشتائم ، بل بتحليل الاوضاع
السياسى المعاصر . ثم ان برودون كانت تنقصه الشجاعة الكافية ليكشف
التأرجح بين البورجوازية والبرولتارية (٢١) .

٢٠ - تحول الاشتراكية الى علم

ظهرت فى هذه الاثناء الفلسفة الالمانية الجديدة ، بلغت أوجها
يد هيجل ، تبنى الديالكتيكية باعتبارها أعلى شكل للفكر . كان الفلاسفة
الاغريق ديالكتيكيين بالسليقة ، وبحث ارسطو وهو اكثرهم شمولاً
الاشكال الاساسية للفكر الديالكتيكي . أما الفلسفة فى العصر الحديث
قبل هيجل - فقد وقعت تحت تأثير البريطانيين واتبعت ما يسمى الميثافيزيقى
الذى سار عليه أيضا الفلاسفة الفرنسيون فى القرن الثامن عشر
يقول انجيلز : ان الميثافيزيقى يرى الاشياء والافكار كلا على حد

٢٠ - انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة
ج ٢ ص ١٠٩/١٠٨ .
٢١ - رسالة ماركس الى شفايتسر حول برودون (١٨٦٥) (بالالمانية) ، الكتاب
المختارة ، ج ١ ، ص ٣٦٢ (٣٦٤ و ٣٦٦) .

الواحد تلو الآخر ودون الآخر ، ثابتة ، جامدة ، موضوعا للحديث يوجد دفعة واحدة وللأبد . فى نظره الشئ يوجد أولا يوجد ، الايجابى والسلبى يمنع بعضهما بعضا بصفة مطلقة ، السبب والنتيجة يناقض احدهما الآخر فى اصرار . هذه الطريقة تنسى ما يكمن خلف الاشياء من ترابط ، خلف السكون من حركة ، خلف الوجود من صيرورة وزوال . . . انها ترنو الى الاشجار ولا ترى الغابة (٢٢) . أما الديالكتيكي فيعتمد الى الملاحظة المستمرة للتأثير المتبادل العالمى للصيرورة والزوال ، والتغيرات الى الامام والخلف . وهذا ما فعلته الفلسفة الالمانية الجديدة حين بلغت ذروتها على يد هيغل (٢٣) . وهذا ما فعله ايضا أقطاب الاشتراكية العلمية ، هم يقرون بفضل هيغل فى أنه أول من نظر الى العالم الطبيعى والتاريخ والفكر باعتبارها عملية ، اى فى حالة حركة دائمة وتغير وتبدل وتطور ، وحاول اثبات وجود الترابط الداخلى بين هذه الحركة وذلك التطور (٢٤) .

ويضيف انجيلز : ان الاشتراكية السابقة انتقدت اسلوب الانتاج الرأسمالى وآثاره ، دون أن تستطيع تفسيره ، وبالتالي القضاء عليه . كان يتعين اظهار مرحلة اسلوب الانتاج الرأسمالى ومن ثم حتمية زواله ، وكذلك ايضاح طبيعته الداخلية التى ما زالت خفية . تحقق ذلك من خلال الكشف عن فائض القيمة Mehravert . ثبت أن الاستيلاء على العمل غير المدفوع اجره هو الشكل الاساسى لاسلوب الانتاج الرأسمالى وما ينجم عنه من استغلال للعامل . فالرأسمالى يستدر من جهد العامل اكثر مما يدفع ، وهذا الفائض يكون المبلغ الذى يتراكم فى نهاية الامر فى ايدى الطبقات المالكة . بهذا الكشف على الاخص تحولت الاشتراكية الى علم (٢٥) .

-
- ٢٢ - انجيلز ، ديالكتيكية الطبيعة (١٨٧٦) (بالالمانية) ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ٥٤ وما بعدها ، ولودفيج فويرباخ ونهاية الفلسفة الالمانية التقليدية (بالالمانية) (١٨٨٨) الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ (ص ٣٤٢ وما بعدها) ، وتطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ١١٦ .
- ٢٣ - ج. ف. ف. هيغل ، فلسفة تاريخ العالم (بالالمانية) ، فى : مجموعة اعماله ، اخراج جيورج لاسون ، لايبزج ١٩٢٠ ، ج ٨ ، المقدمة العامة ، ١ و ٢ و ٣ ، المقدمة الخاصة ٢ ، ص ١٠ و ٥٢ و ١٢٩ و ١٤٨ و ١٧٨ وما بعد هذه الصفحات .
- ٢٤ - انجيلز ، فويرباخ ونهاية الفلسفة الالمانية التقليدية ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ وما بعدها ، وتطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ١١٧ .
- ٢٥ - انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

٢١ - القضاء على النظام الرأسمالى

يستمر انجيلز : ان اسلوب الانتاج الرأسمالى لم يكن يتف الامتيازات الطائفية والـ محلية واواصر الولاء السائدة فى النظام الاقـ لذا ضربت البورجوازية النظام الاقطاعى وشيدت على انقاضه البورجوازى ، امبراطورية المنافسة الحرة وحرية التنقل والمساو الحقوق بين حائزى السلع . بهذه الكيفية استطاع اسلوب الانتاج الر أن ينمو فى حرية ، وتطورت علاقات الانتاج بعد أن تحولت بسرعة الحرف اليدوية الى صناعات كبيرة (٢٦) .

ولما حدث التطور الصناعى ، تعين على البورجوازية أن وسائل الانتاج المحدودة المسابقة الى قوى انتاج رهيبية : بتحويلها من انتاج فردية الى وسائل جماعية يتعذر استخدامها الا من جماعة من حلت محل النول والمطرقة آلة الغزل والنسج والمطرقة البخارية . حل الورشة المصنع القائم على تضافر جهود المئات بل الآلاف . المنتوجات من نتاج فردى الى نتاج جماعى للعديد من العمال ، يمر عليهم الواحد تلو الآخر قبل أن يتم صنعه . لم يعد أى عامل مفرد يس أن يقول هذا صنعه . . . هذا انتاجى .

لم يكن السؤال : من هو مالك المنتج ، يطرح نفسه فى الوسطى . فالمنتج المفرد كان كقاعدة عامة يعمل بنفسه بأدوات يملكها بمواد من تبعه . كانت ملكية المنتج له وتعتمد على عمله الشخصى يكن الاستعانة بعمل الآخرين كما فى صبيان الحرفة سوى مسألة ثانو ثم حدث تركيز لوسائل الانتاج فى ورش كبيرة ، وتحولت تدريجيا وسائل الانتاج الجماعية . لكن ابقى على نظام الملكية السابق ، اس حائز وسائل العمل على المنتوجات ، بالرغم من أنه لم يعد بعد هو منتج بل غدت نتاج عمل الغير . صارت المنتوجات المنتجة جماعيا يستولى لا المنتج الحقيقى الذى حرك وسائل الانتاج ، بل الرأسمالى . أمست و الانتاج وكذلك الانتاج جماعيا ، لكن ظلت الملكية تناسب الانتاج الفرد فى هذا التناقض يكمن لب النزاع كله القائم فى الوقت الحاضر . . . ف غير المحتمل أن يصير الانتاج جماعيا ويستمر الاستيلاء رأسماليا التناقض بين الانتاج الجماعى والاستيلاء الرأسمالى صار هو التناقض

٢٦ - انجيلز ، فويرباخ ونهاية الفلسفة الالمانية التقليدية ، الكتابات المختارة ، ص ٣٦١ وما بعدها . وتطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

البرولتارية والبورجوازية . اضافة الى التناقض بين تنظيم الانتاج فى المصنع الواحد وفوضى الانتاج فى المجتمع كله ، وهو ما نجم عن الصراع الداروينى من اجل البقاء داخل المجتمع . ان تراكم الثراء فى جانب هو فى الوقت ذاته تراكم للبؤس والشقاء والعبودية والقلق والحيوانية والانحطاط الخلقى فى الجانب الآخر (٢٧) .

٢٢ - ثم مع ازدياد حجم المشروعات ظهرت صور هائلة من جعل وسائل الانتاج جماعية ، كما هو الحال فى شركات المساهمة . بل ان بعض وسائل الانتاج يولد منذ البدء عملاقا الى حد انه - مثل السكك الحديدية - ينغلق على أى صورة من صور الاستغلال الرأسمالى . لقد تبين فى مرحلة معينة من مراحل التطور أن صور الانتاج الرأسمالى لم تعد كافية ، فظهر التراست حيث يتحد كبار المنتجين فى فرع من فروع الصناعة لتنظيم الانتاج . ان التراست يقضى على المنافسة الحرة ، وفيه تنسحب فوضى الانتاج فى المجتمع الرأسمالى أمام الانتاج المخطط للمجتمع الاشتراكى المقبل . ثم تدخلت الدولة ، الممثل الرسمى للمجتمع الرأسمالى ، وظهرت ملكية الدولة بالنسبة الى مؤسسات المواصلات الكبرى ، البريد والبرق والسكك الحديدية .

ان تحول المؤسسات الكبرى للانتاج والمواصلات الى شركات مساهمة ، ثم تراستات ، ثم ملكية دولة ، يحمل فى ذاته الدليل على عدم الحاجة الى البورجوازية لادارة قوى الانتاج الحديثة . ان كافة الوظائف الاجتماعية للرأسمالى صار يقوم بها الان موظف يعمل بأجر . لم يعد للرأسمالى من نشاط سوى تسجيل الدخل ، وقطع الكوبونات واللعب فى البورصة ، حيث يستولى الرأسماليون بعضهم على رأس مال البعض . ان اسلوب الانتاج الرأسمالى ، بعد أن كان يضغط على العامل ، امسى يضغط على الرأسمالى نفسه ويلقى به فى لمامة السكان .

ان الدولة غدت فى عصر بسمارك الرأسمالى المجمع ، تستغل مواطنين اكثر فأكثر ، بينما ظل العمال اجراء .. برولتارية .. ان العلاقة الرأسمالية لم تجر ازالتها ، بل ازيحت الى القمة ... بيد انها عند القمة تنكسر . ان ملكية الدولة لقوى الانتاج ليست حلا للصراع ، لكنها تنطوى على الوسيلة الشكلية لايجاد هذا الحل . على المجتمع ان يستولى صراحة

٢٧ - انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٩ .

ودون مواراة على قوى الانتاج ، بحيث ينسجم اسلوب الانتاج والاس
والتبادل ، مع الطبيعة الجماعية لوسائل الانتاج (٢٨) .

فالحل فى نظر ماركس وانجيلز لا يكمن فى انشاء جمعيات تعاونية
بمعونة الدولة (٢٩) ، بل فى الثورة على المجتمع الرأسمالى والاس
على السلطة لتحويل وسائل الانتاج الرئيسية الى ملكية عامة (٣٠) ،
فترة انتقال تسود فيها الديكتاتورية الثورية للبرولتارية (٣١) .

٢٣ - من دكتاتورية البرولتارية الى دولة الشعب كله

ماذا حدث بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ ؟

من قبل ، تحدث انجيلز عن فكرة تلاشى الدولة . ان الدولة ،
القوة المنظمة ، ولدت فى مرحلة معينة من تطور المجتمع ، بينما
ينقسم الى طبقات متعادية ، واستحال بقاءه دون سلطة ترتفع ظاهريا
المجتمع ، وتنفصل عنه بعض الشىء . وما دامت قد نشأت من تعاون
الطبقات ، فقد اصبحت دولة الطبقة القوية ، المسيطرة اقتصادا
المستحوذة على السلطة السياسية ، لتوفير وسائل جديدة لقهر الطبقة
المغلوبة . والاشتراكية تؤدى الى اختفاء التناقض الطبقي . فالدولة
باستيلائها باسم المجتمع على وسائل الانتاج ، انما تمهر بخاتمها آخر
مستقل باعتبارها دولة . ان تدخل سلطة الدولة فى علاقات المجتمع
تدريجيا لا حاجة اليه ، ويسترخى من تلقاء نفسه . وبدلا من الحكو
على الاشخاص تحل ادارة الاعمال ووسائل الانتاج . ان الدولة لا تلغى ،
تتلاشى . وينقل المجتمع ماكينة الدولة بأكملها الى حيث يجب أن توضع
فى متحف الآثار ، الى جوار الانوال والادوات البرونزية (٣٢) .

شرح لينين هذه الفكرة شرحا مستفيضا ، واجلى ما خفى من حدود
الدقيقة ، و اضاف اليها بعض الشىء . اوضح أن ما يتلاشى ليس الدولة
البورجوازية ، فهذه يجب أن تلغى البرولتارية من خلال ثورة عنيفة
ان ما يتلاشى بعد هذه الثورة هو دولة البرولتارية او شبه الدولة .

-
- ٢٨ - انجيلز ، تطور الاشتراكية ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .
٢٩ - كارل ماركس ، نقد برنامج جوتا (١٨٧٥) (بالالمانية) ، الكتابات المختارة
ج ٢ ، ص ٢٢ .
٣٠ - ماركس وانجيلز ، البيان الشيوعى ، الكتابات المختارة ج ١ ، ص ٤٤ - ٤٥ .
٣١ - ماركس ، نقد برنامج جوتا ، الكتابات المختارة ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
٣٢ - انجيلز ، نشأة الاسرة والملكية الخاصة والدولة (١٨٨٤) (بالالمانية) ، ط
(١٨٩١) ، الكتابات المختارة ، ط ديتس ، برلين ١٩٦٤ ، ص ١٥٥ ، عن
ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

ماركس تحدث عن « دولة مستقبلية داخل المجتمع الشيوعى » ، وكأنه يعترف بالحاجة الى الدولة حتى فى ظل النظام الشيوعى . لا مجال اذن لتحديد الزمن الدقيق « للتلاشى » المقبل ، خاصة وأنه سيكون عملية بطيئة . وفى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، سيكون الجبر ضروريا للقضاء على الاقلية المستغلة سابقا . ويعتمد لينين على ماركس للتمييز بين مرحلتين للمجتمع الشيوعى : فى المرحلة الاولى ، او المرحلة الاشتراكية ، يخرج المجتمع لتوه من الرأسمالية البورجوازية . انه يستولى على وسائل الانتاج ، لكنه يتعذر عليه توفير العدالة والمساواة للجميع ، فيعيش طبقا لمبدأ : « لكل حسب عمله » ، « من لا يعمل لا يأكل » . وفى المرحلة الثانية ، او المرحلة الشيوعية بمعنى الكلمة ، تكون القوى الانتاجية فى المجتمع قد تقدمت الى اقصى حد ، ويستطاع تطبيق مبدأ : « من كل حسب طاقته » ، ولكل حسب حاجته » (٣٣) .

هكذا سادت فى المرحلة الانتقالية ، مباشرة بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ ، الدكتاتورية الثورية للبرولتارية ، عملا بأراء ماركس ولينين . كان القانون فى هذه المرحلة لا يزال قانونا طبقيا ، قانونا برولتاريا ، يعبر عن ارادة الطبقة السائدة ، الطبقة العاملة وجماهير الكادحين (٣٤) .

وكان ستالين يؤكد مرارا ضرورة بقاء عامل الجبر ، عن طريق الجيش والانظمة الاخرى ، خلال فترة بناء المجتمع . كان يقول : ان الثورة لم تنتصر سوى فى بلد واحد ، وان الرأسماليين يحيطون به ويتربصون الفرص للانقضاض عليه (٣٥) .

ويضيف فيشنسكى ، منظر القانون فى عصر ستالين ، ان البرولتارية ما زالت فى حاجة الى الدولة ، لسحق اعدائها ، لان نجاح ثورة الاجراء

٣٣ - لينين ، الدولة والثورة (بالروسية) ، ط ٢ (١٩١٨) ، المجموعة الكاملة لاعماله ، ط ٥ ، موسكو ١٩٦٢ ، بوليتيتشسكايا ليتيراتورا ، ج ٣٣ ، ص ١٦ وما بعدها و ٨٤ وما بعدها .

٣٤ - م.أ. أرجنوف وآخرون ، نظرية الدولة والقانون (بالروسية) ، موسكو ١٩٤٩ ، اكاديمية العلوم ، يوريديتشسكايا ليتيراتورا ، ص ١١٢ - ١١٣ . م.ب. كريفيا وآخرون ، نظرية الدولة والقانون (بالروسية) ، موسكو ١٩٥٥ ، اكاديمية العلوم ، ي.ل. ، ص ٧٠ . ن.ج. الكساندروف وآخرون ، اسس نظرية الدولة والقانون (بالروسية) ، موسكو ١٩٦٠ ، ي.ل. ، ص ٢٠٤ . أ.أ. دنيسوف وآخرون ، نظرية الدولة والقانون (بالروسية) ، موسكو ١٩٦٧ ، جامعة موسكو ، ص ٢٤٦ .

٣٥ - ستالين ، مسائل لينينية (١٩٢٦) ، ط موسكو الانجليزية ١٩٥٤ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، وتقرير ستالين الى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعى السوفييتى ، نفس المجموعة ص ٦٣١ .

لا ينهى الصراع من اجل الاشتراكية ، بل يبدأه . ان كل فكرة تر
الاقلال من شأن سلطة الدولة ، انما تكشف عن سوء النية والنزعة
الخيانة ، لانها تسعى الى اضعاف سلطان الدولة السوفيتية (٣٦)

٢٤ - ثم حدث انهاء لدكتاتورية الطبقة . قرر المؤتمر
والعشرون للحزب الشيوعي فى الاتحاد السوفيتى ، المنعقد فى
اكتوبر ١٩٦١ ، فى عهد خروشتشيف ، ان الوقت قد حان لتنفيذ
لينين ، والانتقال بالمجتمع السوفيتى من الاشتراكية الى الشيوعية
انتصرت الثورة فى اكثر من بلد ولم تعد محاصرة بقوى الرأس
وتقدمت طاقات الانتاج ، وتطورت الصناعة ، وغدا من الممكن بناء
بلا طبقات ، يدار بالحكم الذاتى ، وتحل فيه محل دكتاتورية البر
دولة الشعب كله (٣٧) .

فما المقصود بدولة الشعب كله ؟

يقول الفقه السوفيتى بعد هذا المؤتمر ، ان دولة الشعب ك
التنظيم السياسى لسلطة الشعب ، وجهاز الوحدة الطبقية . هى
جهازا لسيادة طبقة ، بل تجسيد للديمقراطية الاشتراكية للشعب كله
اقترب اساليب اجهزتها من اساليب التنظيمات الاجتماعية .
الشعب كله يعبر عن ارادة الشعب كله ، بموجبه يفقد القانون ط
باعتباره اداة لسيادة طبقة ، ويصبح اداة للمجتمع كله ، للشعب كله
بيد أن مرحلة دولة الشعب كله ليست هى المرحلة الشيوعية
مرحلة سابقة عليها ، تمهد لها ، مرحلة بناء الشيوعية . ولذلك يقو
ان سلطة الدولة تظل حافظة لدورها وقوتها بالكامل ، وان تلاشيتها
ما برح رهين المستقبل البعيد نسبيا ، لان الحاجة الى الدولة لا تزول
الفراغ من بناء الشيوعية وبعد اختفاء اى تهديد خارجى لكيانها

٣٦ - فيشنسكى ، قانون الدولة السوفيتية ، ط نيويورك الانجليزية
ص ٣٨ - ٤٠ .

٣٧ - نيكيتا خروشتشيف ، الشيوعية والسلام والسعادة للشعوب ، ج ٢ ، ط
الانجليزية ١٩٦٣ ، مناقشات المؤتمر ٢٢ ، ص ١٨١ و ١٨٥ و ١٨٩ و ٢٤٢ و
هذه الصفحات .

٣٨ - م.س. ستروجوفيتش ، المسائل الاساسية للشرعية الاشتراكية السو
(بالروسية) ، موسكو ١٩٦٦ ، ص ٧ . س.س. الكسييف وآخرون ، أسس
الدولة والقانون (بالروسية) ، موسكو ١٩٦٩ ، ي.ل. ، ص ١٥٢ - ١٥٣
٢١٢ و ٢٤٢ . ف. تشيكفادزى ، الدولة والديمقراطية والمشروعية ، ط موسكو
١٩٧٢ ، دار بروجريس ، ص ٢٦٨ .

ذلك فان هذه المرحلة تولد الاتجاه الرئيسى المميز لنمو الحكم الاشتراكى ، وهو التحول التدريجى من الدولة الى ادارة المجتمع غير المنبثقة من الدولة ، من نظام الدولة الاشتراكية الى الادارة الذاتية العامة للشيوعية (٣٩) .

يؤكد الدستور السوفييتى الجديد ، الصادر فى ٧ اكتوبر ١٩٧٧ ، مفهوم دولة الشعب كله . جاء فى ديباجته أن كادحى الاتحاد السوفييتى قد حققوا التطور السريع والشامل للبلاد ، واكملوا البناء الاشتراكى . تثبت اتحاد الطبقة العاملة وفلاحى الكولخوزات ومفكرى الشعب ، وتوثقت الصداقة بين أمم وشعوب الاتحاد السوفييتى . تبلورت وحدة المجتمع السوفييتى ، من الناحية الاجتماعية والسياسية والفكرية ، وفيها القوة القيادية هى الطبقة العاملة . وما دام قد تم تنفيذ مهمة دكتاتورية البرولتارية ، فان الدولة السوفييتية قد اصبحت دولة الشعب كله .

وبينما دستور ١٩٣٦ كان ينص أن الاتحاد السوفييتى هو الدولة الاشتراكية للعمال والفلاحين (م ١) ، اذا دستور ١٩٧٧ يقضى بأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو دولة الشعب كله الاشتراكية ، المعبرة عن ارادة ومصالح العمال والفلاحين والمفكرين (الانتلجنتسيا) ، الكادحين من جميع امم وشعوب البلد (م ١) ، هذا الاتحاد الذى لا تنقسم عراه بين العمال والفلاحين والمفكرين هو الاساس الاجتماعى للاتحاد السوفييتى (م ١/١٩) .

وبينما دستور ١٩٣٦ كان يقضى بأن الاساس السياسى للاتحاد السوفييتى هو مجالس نواب الكادحين ، التى نمت وتثبتت نتيجة لقلب سلطة ملاك الارض والراسماليين وانتصار دكتاتورية البرولتارية (م ٢) ، اذا دستور ١٩٧٧ يستبعد دكتاتورية البرولتارية ، ويقرر أن السلطة كلها للشعب ، يمارسها من خلال سوفييتات النواب الشعبين ، التى تعتبر الاساس السياسى للاتحاد السوفييتى (م ٢) .

ان المرحلة التى ينظمها دستور ١٩٧٧ هى دولة الشعب كله ، وهى ليست المرحلة الشيوعية ، بل الدرب الموصل اليها . فقد جاء فى ديباجة الدستور أن المجتمع الاشتراكى المنظور هو مرحلة منتظمة فى الطريق الى الشيوعية . ان الهدف الاسمى للدولة السوفييتية هو بناء مجتمع شيوعى بلا طبقات ، فيه ينبسط نمو الادارة الذاتية الشيوعية للمجتمع . ان المهام

٣٩ - ل . جريجوريان وأ . دولجابالوف ، أسس قانون الدولة السوفييتى ، اخراج ب . شيتينين ، ط بروجريس الانجليزية ، موسكو ١٩٧١ ، ص ٥٣ - ٦٣ .

الرئيسية لدولة الشعب كله الاشتراكية ، هي اقامة الاساس المادى
لشيوعية .

وما دام الاتحاد السوفييتى لم يصل بعد الى المرحلة الشيوعية
يزال ساريا المبدأ الاشتراكى : « من كل حسب قدرته ، ولكل حسب
(م ٢/١٤ من دستور ١٩٧٧) » .

هذا ويهتم الدستور الجديد بالحوافز المادية والمعنوية (م ١٤)
ويقضى بممارسة سياسة مضطردة فى رفع مستوى اجر العمل
الفعلى للشغيلة (م ٢٣) ، ومطابقة هذا الاجر للعمل المقدم من حيث
والكيف ، على أن لا يقل عن الحد الادنى الذى تحدده الدولة (م ٢٠) .

٢٥ - أشكال الملكية

يعرف القانون السوفييتى اساسا شكلين للملكية : الملكية الاشتراكية
لوسائل الانتاج ، ثم الملكية الشخصية للاموال المخصصة لتلبية حاجات
المواطنين . أما الملكية الخاصة لوسائل الانتاج فقد تضاءلت للغاية من حيث
العملية ، وان كان دستور ١٩٧٧ لا يزال يقرها فى نطاق العمل الحالى
الذى يقوم على الجهد الشخصى للمواطن واعضاء أسرته وحدهم (م ٧)
ان اقتصاد مرحلة البناء الواسع للشيوعية مؤسس على الملكية الاشتراكية
لوسائل الانتاج فى شكل ملكية الدولة ، أى ملكية الشعب كله ، والى
الكولخوزية التعاونية . على أن الملكية الكولخوزية التعاونية سوف تتقدم
تدريجيا من حيث طبيعتها من ملكية الشعب ، الى ان تتكون ملكية
واحدة للشعب كله على وسائل الانتاج (٤٠) .

ان ملكية الدولة هي المال العام لكل الشعب السوفييتى ، والى
الاساسى للملكية الاشتراكية (م ١١ دستور ١٩٧٧) . فى مقدمة الاساس
التي تدخل فى ملكية الدولة تأتى الارض . فبعد نجاح ثورة اكتوبر
اعلن لينين « المرسوم الخاص بالارض » ، قضى على الاقطاع وامّم
ووزعها على الفلاحين الكادحين على سبيل الانتفاع دون مقابل (١)
وتقول النصوص الحالية : تكون فى ملكية الدولة الارض ، وجوفها

٤٠ - المادتان ١٠ و ١٢ دستور ١٩٧٧ ، ومقدمة اسس التشريع المدنى للاتحاد السوفيتى
١٩٦١ .

٤١ - كوسيتسين وآخرون ، تاريخ الدولة والقانون السوفييتى (بالروسية) ، ص ٣٣٤ وما بعدها .

والمياه ، والغابات ، ووسائل الانتاج الاساسية فى الصناعة والبناء والاقتصاد الزراعى ، ووسائل النقل بالسكك الحديدية او المائى او الجوى او بالسيارات ، والبنوك ، ووسائل الاتصالات ، والمشاريع الزراعية والتجارية ومشاريع الخدمات العامة وغيرها من المشاريع التى تنظمها الدولة ، والجزء الاكبر من صندوق الاسكان الاساسى فى المدن وفى البلدان الصغيرة . ويجوز أن يكون فى ملكية الدولة كذلك اى مال آخر ضرورى لتحقيق مهام الدولة (٤٢) . وتؤكد النصوص ان الارض وجوفها والمياه والغابات كائنة فى الملكية المحتكرة للدولة (٤٣) ، ولا يجوز أن تقدم الا على سبيل الانتفاع (٤٤) . ويستخلص من صياغة المادة ١١ من دستور ١٩٧٧ أن وسائل الانتاج غير الاساسية فى الصناعة قد لا تكون ملكا للدولة ، كما هو الحال بالنسبة للمشروعات المختلطة فى نطاق التعاون الدولى .

أما الملكية الشخصية للمواطن فتقوم على اساس دخل العمل ، ويكون محلا لها الاموال المخصصة للاستهلاك والاستعمال الشخصى ، والمعدات المنزلية الملحقة ، وببيت سكنى واحد ، والمدخرات الآتية من العمل . وتضمن الدولة الملكية الشخصية للمواطن والحق فى ميراثها (٤٥) .



٢٦ - كان الاشتراكيون الطوباويون يعتمدون على النصح والارشاد لتحقيق الاصلاح الاجتماعى ، وقاموا بمشروعات نموذجية كان مقضيا عليها بالفشل . ثم أتى الاشتراكيون العلميون ، استفادوا من دياكتيكية هيجل ، بحثوا اسلوب الانتاج ، كشفوا عن فائض القيمة ، لاحظوا جماعية الانتاج ، طالبوا بجماعية التملك .

من الوضعية الرأسمالية ... الى الاشتراكية العلمية ... تلك كانت التيارات الكبرى للفكر الانسانى حين ظهر الكتاب الاخضر .

٤٢ - م ١١ دستور ١٩٧٧ ، وقد أجرت تعديلات جزئية على المادة ٢١ من أسس التشريع المدنى للاتحاد السوفييتى ١٩٦١ ، وم ٩٥ من القانون المدنى الروسى لسنة ١٩٦٤ .

٤٣ - م ١١ دستور ، م ٢١ أسس ، م ٩٥ مدنى .

٤٤ - م ٢١ أسس ، م ٩٥ مدنى .

٤٥ - م ١٣ دستور ، م ٢٥ أسس ، م ١٠٥ مدنى .

الفصل الثانى

علاقات الانتاج فى الكتاب الاخضر

الاشتراكية العلمية الجديدة

٢٧ - قمة اليسار

صاح صوت عند الفجر ... ذات يوم باسم الحق ... :

« هذه بشرى للمسلمين .. قيام الثورة الاسلامية الاشتراكية العالمية الجديدة فى ليبيا .. »

« لماذا فضل تحطيم الطبقات والثورة الاشتراكية تتركونها المسلمين ؟ مع أن دينكم يأمركم بتحطيم الطبقيّة وبالمساواة ؟ .. تتركون هذا الفضل لغيركم ؟ لماذا تتركونه لغير المسلمين ؟ الان مذهب مسلمة هى التى تقود هذه الثورة التى كان يجب أن يقودها الاسلام .. »

« ان الدين الاسلامى هو الثورة الكبرى ، بل الثورة العالمية ، ثورة مسلحة . فقد حرض المؤمنين على القتال .. » واعدوا لهم ما استدر من قوة .. »

« ان صرخة الحق وثورة الاسلام لا بد أن تدوى فى هذه الدنيا ولا بد أن يسمعها العالم .. »

« الاسلام ثورة تقدمية فى قمة اليسار .. » (١)



جلجل الصوت فى ربوع الارض .. زلزل ايران فهوى العرش ..

« يا ايها المدثر .. قم فأنذر » (٢) .

يا عرب النضال .. أفيقوا من الثبات ..

يا شعوب الاسلام ... بشروا بالكتاب ..

١ - خطبة عيد الاضحى فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٨ للأخ العقيد معمر القذافى ، ط ١
الاعلام والثقافة ١٩٧٨ ، ص ١٣ و ١٧ و ٢٤ و ٢٦ .

٢ - سورة المدثر ، الايتان ١ و ٢ .

٢٨ - كتاب الله

« ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (٣) .

« قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » (٤) .

« يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (٥) .

« انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » (٦) .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون » (٧) .

لِمَ هذا الاعراض ، وذاك الحجاب والوقر ؟ ألأن القرآن يبشر بالعدل ، ويسوى فى الملك ، وينذر الكانزين بعذاب الجحيم .. ؟

لقد « مسحنا الركाम .. ظهر الاسلام الحقيقى .. ها هو الآن تتحقق الاشتراكية فى ليبيا ... وتتكرر قيود الاستغلال .. قيود العبودية ... قيود الذل ... ويرتفع اسم الله من جديد .. نمسح هذا الركام هذه الاوساخ .. وهذه الرواسب عن الاسلام .. حتى يظهر الاسلام الحقيقى .. الاسلام دين الحرية .. دين التقدم .. دين المساواة .. دين العدل » (٨) .
« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٩) .

قال البخارى فى تفسير هذه الآية : « الوسط : العدل » (١٠) .

الوسط . العدل ، والعدل .. المساواة ، والمساواة ... فى المال .

٣ - سورة النحل ، الآية ٨٩ .

٤ - سورة النحل ، الآية ١٠٢ . وانظر : سورة البقرة ، الآية ٩٧ .

٥ - سورة الاحزاب ، الآية ٤٥ . وانظر : سورة الفتح ، الآية ٨ .

٦ - سورة البقرة ، الآية ١١٩ . أيضا : سورة الاسراء ، الآية ١٠٥ . سورة الفرقان ،

الآية ٥٦ . سورة سبا ، الآية ٢٨ . سورة فاطر ، الآية ٢٤ . سورة فصلت ، الآية ٤ .

٧ - سورة فصلت ، الآيات ٣ - ٥ .

٨ - خطبة عيد الاضحى فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٨ للأخ العقيد معمر القذافى ، ص ٢١ - ٢٢ .

٩ - سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

١٠ - فتح البارى بشرح البخارى لابن حجر ، ط مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٥٩ ج ٩ ، ص ٢٣٩ . أيضا : صحيح الترمذى بشرح ابن العربى ، القاهرة ١٩٣٤ ، مطبعة

الصاوى ، ج ١١ ، ص ٨٣ .

« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يحدون » (يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « قوله تعالى : (والله بعضكم على بعض فى الرزق) اى جعل منكم غنيا وفقيرا وحرا و (فما الذين فضلوا) أى فى الرزق . (برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم) اى لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق حتى يستوى المملوك فى المال » (١٢) .

هذه الآية المكية موجهة الى الظلمة من ملاك العبيد فى المملوك الجاهلى ، تذكرهم بأن الناس فى المال سواء ، فالآية نزلت لاقامة المساواة فى المال . . المساواة فى الملك . . لكن التضييل يأتى من ذكر مطلع والتكتم على باقيها : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » ، فيضمون العادل ، ويشوه المعنى السامى .

٢٩ - العقيدة والشرعية

فالا سلام عقيدة وشرعية .
لكن الرجعى الجبان ، المتختم من فرط المال ، يود بعد أن مسح الراس وتجلى مضمون الشريعة ، وسطعت شمس الحقيقة ، لو أفلت من أحد الشريعة ، زاعما أن الاسلام عقيدة ، يعرف الروحانيات ، ويرفض الماديات - ما دليلك يا مترف ؟
- ان الانسان خلق هلوعا .
- ما وجه الاستدلال بهذه الآية . . ؟ هاك نصها الكريم بالكامل انها تتحدث عن يوم الدين ، حين تصوير السماء كالمهل اى كالشيء المذاب والجبال كالعين أى كالصوف . . . اذ ذاك يفرع من « جمع فأوعى » جمع المال ، فجعله فى وعاء . . ان الانسان الكافر خلق هلوعا ، من شدة الجزع ، مع شدة الحرص والضجر . هذا هو رأى أهل التأويل من الصالحين والتابعين والسلف الصالحين ، مثل ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة والضحاك ، ومجاهد (١٣) :

« يوم تكون السماء كالمهل . وتكون الجبال كالعين . ولا يسأل أحد

-
- ١١ - سورة النحل ، الآية ٧١ .
١٢ - الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ، القاهرة ١٩٤٠ ، مطبعة دار الكتب المصرية ج ١٠ ، ص ١٤١ .
١٣ - جامع البيان للطبرى ، ط مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٩ .

حميما • يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه • وصاحبه وأخيه • وفصيلته التي تأويه • ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه • كلا انها لظى • نزاعة للشوى • تدعو من أدبر وتولى • وجمع فأوعى • ان الانسان خلق هلوغا • اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا • الا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين فى أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم • والذين يصدقون بيوم الدين • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • ان عذاب ربهم غير مأمون « (١٤) »

فى هذه الآية ورد ذكر لبعض اسس العقيدة والشريعة ، وجوهر الشريعة المذكور هو حق الفقراء فى أموال الاغنياء ، وجزاء مخالفة العقيدة والشريعة هو نار العذاب يوم الحساب •

أما الهلوع ، فهو الرجعى الجبان ، المجرم المدبر ، مصيره الشوى فى لظى جهنم •

ان الطبقة الرأسمالية تحارب الدعوة الى الاسلام الاول ، كما قاوم أجدادها فى الماضى رسول الله ﷺ :

« كذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون « (١٥) » •

٣٠ - الاسلام والعلم

الاسلام دين العلم •

لكن اعداء العرب والاسلام ، اعداء التقدم والانسان ، يريدون الحجر على العقول ، يزعمون أن العلم ينافى الدين •

أول ما نزل الوحي فى مكة كان عن العلم :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم « (١٦) » •

ثم تكررت غاية العلم فى الآيات المدنية :

« الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان « (١٧) » •

الله يعلم الرسل الكتاب :

-
- ١٤ - سورة المعارج ، الآيات ٨ - ٢٨ •
 - ١٥ - سورة الزخرف ، الآية ٢٣ • وهى تعنى بالمترفين الكبراء والاشراف من قريش الذين قاوموا ثورة الاسلام • جامع البيان للطبرى ، ط الحلبى ١٩٥٤ ، ج ٢٥ ، ص ٦١
 - ١٦ - سورة العلق ، الآيات ١ - ٥ •
 - ١٧ - سورة الرحمن ، الآيات ١ - ٤ •

« واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » (١٨) .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم » (١٩) .

ثم الرسل يعلمون المؤمنين الكتاب :

« لقد مَنَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعلمهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٢٠) .

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٢١) .

« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٢٢) .

والله يريد للناس أن يتعلموا العلوم الطبيعية والرياضية :

« وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » (٢٣) .

والآيات تمدح الراسخين فى العلم (٢٤) ، وتدعو من عنده علم يخرجهم (٢٥) ، وتدعو الى طلب المزيد من العلم : « وقل رب زدني علما » (٢٦) .

ولا ادل على اهتمام القرآن الكريم بالعلم ، من كثرة استخدام العلم ومشتقاته ، تكررت فى آيات الكتاب حوالى ثمانمائة مرة (٢٧) .

٣١ - والرسول مهمته تبليغ العلم . جاءه الاعمى وهو لا يدري مشغول بغيره ، وجعل يناديه ويكرر النداء : « علمنى مما علمك الله فلما اعرض عنه الرسول نزلت الآية :

-
- ١٨ - سورة المائدة ، الآية ١١٠ . أيضا : سورة آل عمران ، الآية ٤٨ .
 - ١٩ - سورة النساء ، الآية ١١٣ . أيضا : سورة النجم ، الآية ٥ .
 - ٢٠ - سورة آل عمران ، الآية ١٦٤ .
 - ٢١ - سورة الجمعة ، الآية ٢ .
 - ٢٢ - سورة البقرة ، الآية ١٥١ .
 - ٢٣ - سورة الاسراء ، الآية ١٢ .
 - ٢٤ - سورة آل عمران ، الآية ٧ . سورة النساء ، الآية ١٦٢ .
 - ٢٥ - سورة الانعام ، الآية ١٤٨ .
 - ٢٦ - سورة طه ، الآية ١١٤ .
 - ٢٧ - راجع : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٣٦٤ هـ ، دار الكتب المصرية ، ص ٤٦٩ - ٤٨٠ .

« عبس وتولى . ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر
فتنفعه الذكرى (٢٨) .

وفى وقعة بدر ، لم يكن لبعض الاسرى فداء ، فدفع الرسول الى كل
واحد منهم عشرة غلمان يعلمهم ، فاذا حذقوا فهو فداؤه (٢٩) .

وكان سلمان الفارسي عالما جليلا . قال عنه رسول الله ﷺ : « لقد
أشبع سلمان علما » . وسئل على عن سلمان فقال : « أوتي العلم الاول
والعلم الآخر لا يدرك ما عنده . . . من لكم بمثل لقمان الحكيم علم العلم
الاول والعلم الآخر ، وقرأ الكتاب الاول وقرأ الكتاب الآخر ، وكان بحرا
لا ينزف » (٣٠) .

٣٢ - وفى العصر العباسى ، كان قصر الحاكم على قدر كبير من الوعى
بأهمية تشجيع المعرفة ، والاخذ بأسباب الحضارة . فجرى رعاية الترجمة ،
وعضد الخليفة المأمون « بيت الحكمة » ، وهو معهد اكاديمى على مستوى
رفيع للترجمة والنشر ، قام بنقل أمهات الكتب فى المعارف الانسانية ،
وأشرف عليه بعد قليل المترجم الشهير حنين بن اسحق (٣١) .

انتعشت العلوم ، ازدهرت الآداب ، ارتفعت الآثار المعمارية ، تجلى
الفن الزخرفى . عرفت الانسانية حضارة كبرى من حضارات التاريخ .

كان للعلم الاسلامى ، خاصة فى مجال الطبيعيات والرياضيات ،
أعمق الاثر فى تاريخ العلم الانسانى بوجه عام . فان اسماء مثل جابر بن
حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الرياضيات والطبيعة ، والبيرونى فى
التاريخ ، والكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد والغزالى فى الفلسفة ،
كان لها الاثر العظيم فى انتشار اوربا من غياهب الجهل الذى هوت اليه
خلال عصور الظلام ، وذلك حين ترجمت الى اللاتينية ، على الاخص فى

٢٨ - سورة عبس ، الآيات ١ - ٤ . أيضا : سيرة ابن هشام ، ط جوتنجن ١٨٥٩ ،
ج ١ ، ص ٢٤٠ . البيضاوى ، انوار التنزيل ، ط لايبزج ١٨٤٦ ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .
الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ط القاهرة ١٣٠٨ هـ ، دار نشر
مصطفى ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ . جامع البيان للطبرى ، ط الحلبي ١٩٥٤ ، ج ٣٠ ،
ص ٥٠ - ٥٢ . ابو الحسن النيسابورى ، اسباب النزول ، مطبعة هندية ، القاهرة
١٣١٥ هـ ، ص ٣٣٢ . المحلى ، تفسير الجلالين ، ط الجمهورية ، القاهرة ١٩٦٧ ،
ص ٥٠١ .

٢٩ - طبقات ابن سعد ، ط ليدن ، ج ١/٢ ، ص ١٤ . الاموال لابن سلام ، القاهرة
١٩٦٨ ، مكتبة الكليات الازهرية ، رقم ٣٠٨ - ٣٠٩ ص ١٧٠ .
٣٠ - طبقات ابن سعد ، طبعة ليدن ، ج ١/٤ ، ص ٦١ .
٣١ - انسايكلوبيديا الاسلام ، الطبعة الانجليزية ، ليدن ١٩٦٠ ، بريل ، ج ١ ،
ص ١١٤١ - ١٤١٠ .

طليطلة ، الاعمال الرئيسية للعلماء المسلمين (٣٢) . فخرجت أو ظلمات الجهل الى بصيص من المعرفة ، اشتد مع الزمن الى ان بلغ في عصر النهضة . حتى ان الفارابي كان يلقب في أوروبا بالمعلم باعتبار أرسطو المعلم الاول (٣٣) .

ويقول أحد اقطاب الفكر الديالكتيكي في العصر الحديث ، ان فشلوا في العلوم الطبيعية والتاريخية ، نظرا لتخلف العلوم الطبيعية نمو المعلومات التاريخية في عصرهم . تعين على العالم أن ينتظر ظهر العرب ، فان الفضل يرجع الى العرب في تطوير البحث للطبيعة خلال القرون الوسطى ، هم الذين وضعوا العلوم الحقيقية ، ومنذ القرن الخامس عشر وهذه العلوم تتقدم سريعا حثيثا لولا علم العرب ، ما كانت علوم أوروبا ...

لولا علم العرب ، ما كانت الفلسفة الجدلية ..

٣٣ - « ونحن علينا مهمة أن نبين للعالم أن الجبر ، والهندسة ، وعلم الفلك ، وعلم الطب ، والساعة ، والطيران ... التفكير الاسلامي ما تمكن العالم من الوصول الى هذه العلوم . من النظرية الطيران ؟ انه عباس بن فرناس ، مفكر اسلامي ، ومات في الطيران ؟ انه هو الذي وضع نظرية الطيران ، لان الاسلام فتح المسلمين على أن يسخروا كل الكون ، ويسخروا الهواء ، والفضاء والناس ... »

٣٢ - س . برانتل ، تاريخ المنطق في الغرب (بالالمانية) ، لايبزج ١٨٥٥ ، طبع ، جراتس ١٩٥٥ ، دار نشر اكاديمي ، ج ٣ ، ص ٣ وما بعدها . ديفيد دورن ، تطور أوروبا في القرون الوسطى ، في : الحضارة الاوربية (بالانجليزية) ، آير ، اكسفورد ١٩٣٥ ، ميلفورد ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ وما بعدها . اتين جي . تاريخ الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى (بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٥ ، شيد ، ص ٢٣٥ وما بعدها ، والفلسفة في العصر الوسيط (بالفرنسية) ، ط ٢ ، باريس ١٩٧٧ ، ص ٣٧٧ وما بعدها . جاك شيفالييه ، تاريخ الفكر : ج ٢ : الفكر الاسلامي (بالفرنسية) ، باريس ١٩٥٦ ، فلماريون ، ص ٢٥٦ و ٢٩٣ و ٢٩٧ وما بعدها . الصفحات م . د . شينو ، اللاهوت في القرن الثاني عشر (بالفرنسية) ، ط ٢ ، ١٩٦٦ ، فران ، ص ١٣٥ وما بعدها .

وأنظر في الفلسفة العربية التي أثرت على أوروبا : ج . كوادري ، الفلسفة في أوروبا العصر الوسيط (بالفرنسية) ، باريس ١٩٦٠ ، بايو ، ص ٥٨ و ٩٨ بعدهما . ايضا : عبد الرحمن بدوي ، فلسفة ولاهوت الاسلام ، العصر التقليدي تاريخ الفلسفة ، ج ٢ : فلسفة العصر الوسيط (بالفرنسية) ، اشرف شاتيليه ، ص ١٩٧٢ ، هاشيت ، ص ١٢٠ وما بعدها .

٣٣ - هنري كوربين ، تاريخ الفلسفة الاسلامية (بالفرنسية) ، باريس ١٩٦٤ ، جال ، ص ٢٢٣ .

٣٤ - انجيلز ، تطور الاشتراكية من يوتوبيا الى علم (بالالمانية) ، ط ١٨٩١ ، الكتابات المختارة لماركس وانجيلز ، برلين ١٩٧٠ ، ديتس ، ج ٢ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

والقمر ، والنجوم ، والبحار ، والمحيطات ، والسماء والارض ، يسخرونها لخدمة الانسان ، لان الله قال ان هذه كلها مسخرة لبنى الانسان . الذى عمل نظرية الطيران مسلم .. لان الاسلام وجهه الى التفكير . والذى عمل الساعة مسلم . الساعة التى اشتهرت بها الان سويسرا وتشترونها مذهب .. وضع نظريتها رجل مسلم . لانه فكر .. والقرآن هو الذى وجهه نحو هذا التفكير . القرآن قال له : فكر ، فكر .. الكيمياء ايضا .. اكتشفها المسلمون .. وكذلك الحساب والجبر ، والجغرافيا ، وعلم الفلك (٣٥) .

ان جناية الملوك والطبقات الحاكمة ، انهم اضلوا المسلمين « عن الهدى وعموا عليهم وجوه الحق ، وحجبوا عنهم - على حد قول فضيلة الشيخ على عبد الرازق ، من كبار علماء الازهر الشريف - مسالك النور باسم الدين ، وباسم الدين خدعوهم وضيقوا على عقولهم ، فصاروا لا يرون لهم من وراء ذلك الدين مرجعا ، حتى فى مسائل الادارة الصرفة ، والسياسة الخالصة . كل ذلك انتهى بموت قوى البحث ، ونشاط الفكر ، بين المسلمين ، فأصيبوا بالشلل ، فى التفكير السياسى ...

لاشئ فى الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الامم الاخرى ، فى علوم الاجتماع والسياسة كلها .. وأن يبنوا ... نظام حكومتهم ، على أحدث ما انتجت العقول البشرية ، وأمتن ما دلت تجارب الامم على أنه خير أصول الحكم .. » (٣٦) .

فالى العلم ..

الى الثورة الاسلامية الاشتراكية العلمية الجديدة ...

كيف يكون حل مشكلة المنتجين ؟

وما هو طريق خلاص الجماهير ؟

٣٥ - خطبة عيد الاضحى فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٨ ، للأخ العقيد معمر القذافى ، ط امانة الثقافة والاعلام ، ص ٢٣ .
٣٦ - الشيخ على عبد الرازق ، الاسلام واصول الحكم (١٩٢٥) ، ط بيروت ١٩٦٦ ، دار مكتبة الحياة ، ص ١٩٩ - ٢٠١ .

١ - حل مشكلة المنتجين

٣٤ - الحلول السابقة

ماذا حدث للعلاقة بين العمال واصحاب العمل ، بين المالكين ؟

يقول الكتاب الاخضر أن مشكلة المنتجين تعرضت لنوعين من الحلول احدهما من زاوية ملكية الرقبة ، هو انتقال أوضاع الملكية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، واتخاذها عدة اوضاع فى الوسط بين اليسار واليمين فظهرت أنظمة تحرم الملكية الخاصة ، وأنظمة أخرى تحد من الدخل

والحل الثانى من زاوية الاجرة ، تضمن احكاما كثيرة ، منها تحديد ساعات العمل ، واجر العمل الاضافى ، والاجازات المختلفة ، والاعتدال بحد ادنى للاجور ، ومشاركة العمال فى الارباح والادارة ، ومنع الفاسد والتعسفى ، والضمان الاجتماعى ، وحق الاضراب ، وكل ما حوته قوى العمل التى لا يكاد يخلو تشريع معاصر منها .

رغم كل هذه التطورات التى لا يستهان بها فى تاريخ المشاكلة الاقتصادية الا ان المشكلة لا زالت قائمة جذريا ، مع كل التقلبات والتحسينات والتهديبات والاجراءات والتطورات التى طرأت عليها والى جعلتها اقل حدة من القرون الماضية ، وحقت مصالح كثيرة للعاملين تضمنتها التشريعات ، وحمتها النقابات . حقا تبدلت الحالة السيئة كان عليها المنتجون غداة الانقلاب الصناعى ، واكتسب العمال والفنيون والاداريون حقوقا مع مرور الزمن كانت بعيدة المنال . ولكن فى واقع الامر فان المشكل الاقتصادي ما زال قائما (١) .

٣٥ - عبودية الاجرة

يستمر الكتاب الاخضر : ان المحاولة التى انصبت على الاجور ليس حلا على الاطلاق ، وانما هى محاولة تلفيقية واصلاحية اقرب الى الاحسان منها الى الاعتراف بحق للعاملين . لماذا يعطى العاملون اجرة : لانهم قة بعملية انتاج لصالح الغير الذى استأجرهم لينتجوا له انتاجا . اذن هم

١ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ٣١ ص ١٩٧٨ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

يستهلكوا انتاجهم بل اضطروا للتنازل عنه مقابل اجرة ، فى حين أن القاعدة السليمة هى : « الذى ينتج هو الذى يستهلك » .

ان الاجراء مهما تحسنت اجورهم هم نوع من العبيد .

ان الاجير هو شبه العبد للسيد الذى يستأجره ، بل هو عبد مؤقت وعبوديته قائمة بقيام عمله مقابل اجر من صاحب العمل بغض النظر عن حيثية صاحب العمل من حيث هو فرد او حكومة . فالعاملون من حيث علاقتهم بالمالك او المنشأة الانتاجية ، مصالحهم الخاصة واحدة .

حتى المنشأة الاقتصادية العامة لا تعطى لعمالها الا اجورا ومساعدات اجتماعية اخرى اشبه بالاحسان الذى يتفضل به الاغنياء اصحاب المؤسسات الاقتصادية الخاصة على العاملين معهم .

فالقول بأن الدخل فى حالة الملكية العامة يعود الى المجتمع بما فيه العاملون خلافا لدخل المؤسسة الخاصة الذى يعود لمالكها فقط ، صحيح اذا نظرنا الى المصلحة العامة للمجتمع وليس الى المصالح الخاصة للعاملين . واذا افترضنا ان السلطة السياسية والمحكمة للملكية هى سلطة كل الناس ، أى انها سلطة الشعب بكامله يمارسها عن طريق المؤتمرات الشعبية ، واللجان الشعبية ، والنقابات المهنية ، وليست سلطة طبقة واحدة ، او حزب واحد ، او مجموعة احزاب ، او سلطة طائفة ، او قبيلة ، او عائلة ، او فرد ، او اى نوع من السلطة النيابية - ومع هذا فان ما يعود على العاملين مباشرة من حيث مصالحهم الخاصة فى شكل اجور ، او نسبة من الارباح ، او خدمات اجتماعية ، هو نفس الذى يعود على العاملين فى المؤسسة الخاصة : اى أن كلا من العاملين فى المنشأة العامة والمنشأة الخاصة هم اجراء رغم اختلاف المالك .

ان ما طرأ من تطور على الملكية من حيث نقلها من يد الى يد ، لم يحل مشكلة حق العامل فيما ينتجه مباشرة من انتاج ، والدليل أن المنتجين لا يزالون اجراء رغم تبدل اوضاع الملكية (٢) .

٣٦ - القواعد الطبيعية

يقول الكتاب الاخضر : ان الحل النهائى هو الغاء الاجرة ، وتحرير الانسان من عبوديتها ، والعودة الى القواعد الطبيعية التى حددت العلاقة قبل ظهور الطبقات واشكال الحكومات والتشريعات الوضعية .

ان القواعد الطبيعية هى المقياس والمرجع والمصدر الوحيد فى

٢ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ٧/١٦ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

العلاقات الانسانية .

ان القواعد الطبيعية انتجت اشتراكية طبيعية قائمة على المس
عناصر الانتاج الاقتصادي ، وحقت استهلاكاً متساوياً تقريباً لانتاج
بين الافراد . اما عمليات استغلال انسان لانسان ، واستحواذ فرد
من حاجته من الثروة ، هي ظاهرة الخروج عن القاعدة الطبيعية
فساد وانحراف حياة الجماعة البشرية ، وهي بداية ظهور
الاستغلال (٣) .

الى هنا تحتاج دراستنا الى وقفة ، ليتبين مدى البعد
المتضمن في الكتاب الاخضر .

فالحل هو في العودة الى ناموس الطبيعة .

غير أن قانون الطبيعة هذا له مدلول دقيق في الكتاب الاخضر
في « القواعد الطبيعية التي حددت العلاقة قبل ظهور الطبقات
الحكومات والتشريعات الوضعية » .

من هنا :

رفض مفهوم الطبيعة عند روسو ومذهب القانون الطبيعي
بمضمونه المخلوق البورجوازي .

شجب المذاهب الوضعية الرأسمالية المعاصرة .

تأسيس مذهب مستقل للاشتراكية العلمية الجديدة .

رفض مفهوم القانون الطبيعي البورجوازي

٣٧ - العقل البورجوازي

تقدم أن الرأسمالية في مرحلتها الاولى النضالية شرعت تناوى
الاقطاع ، وسلطان الملكية ، وهيمنة الكهنوت . ولما كان الحكم الملكي
الى الحق الالهي ، لجأت الرأسمالية الى العقل يمدّها بسلاح ضد
كان الرجال العظام الذين مهدوا للثورة الفرنسية ثواراً كباراً ، انكر
سلطة ، دينية ام طبيعية ام اجتماعية ام للدولة ، واخضعوا كل شى
مستفيض ، قدموا كل شىء لمحكمة العقل ليدافع عن وجوده او يتنازل
القيت في سلة المهملات كافة اشكال المجتمع والدولة وكافة التص
التقليدية باعتبارها مجافية للعقل لقد خضع العالم من قبل لـ

٣ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ٧/١٦ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨

مسبقة خاطئة والماضى كله لا يستحق سوى الاشفاق والسخرية . أما الان فقد سطع ضوء النهار واقبلت مملكة العقل ، من الان فصاعدا فلتتوارى الخرافة والظلم والامتياز والقهر ، تكسحها الحقيقة الابدية ، والعدالة الابدية ، والمساواة الممتدة بجذورها فى الطبيعة ، وحقوق الانسان غير القابلة للتنازل .

ساد مفهومان : العقد الاجتماعى ، والقانون الطبيعى (٤) .

تلقت الرأسمالية عند لوك وروسو مفهوم حالة الطبيعة ، ورفعته الى مستوى العقائد الدينية ، اعلنت أن الانسان يتمتع طبقا للطبيعة بحقوق مطلقة حملها معه الى الجماعة بموجب العقد الاجتماعى ، من بينها حق الملكية للطبقة الرأسمالية .

تبين أن العقل المقصود هو العقل البورجوازى . اسندت مطالب الرأسمالية الى قانون مزعوم ، موجود فى الطبيعة ، سابق على الانسان ، موغل فى الزمان ، قائم منذ الازل ، سار الى الابد ، لا يتغير ولا يتبدل ، كتاب مقدس سجلت فيه مطالب الرأسمالية قبل أن يولد الالهة ويخلق البشر ، فما على رأس المال سوى أن يمسك فى يده بسياط الاستغلال ، ليصلى بها ظهور الشعوب .

ان الثورة الفرنسية فجرت بداية مرحلة جديدة فى التاريخ ، بتقرير أن الحق الفردى هو اساس التشريع وغاية السياسة (٥) .

كان الهدف من التشديق بقديسية الفرد ، ليس الدفاع عن افراد الشعب ، بل حماية مصالح طبقة . . طبقة الملاك الرأسماليين .

لكى نفهم ما حدث خلال الثورة الفرنسية ، يجب أن نعى على الاخص الرغبة فى المساواة ، ذلك التعطش الى المساواة الذى قيل عنه انه يفوق حب الحرية (٦) . هذا التعطش يتأجج دوما ولا يرتوى ابدا فى ظل نظام اجتماعى ذى طبقات متمتعة بامتيازات ، كما هو الحال فى أوروبا خلال القرن الثامن عشر .

كان شعار الثورة الفرنسية ثلاثيا : الحرية ، المساواة ، الاخاء .

٤ - ما سبق ، نبذتا ١ و ٢ .
٥ - وهى عبارة لاحد انصار المذهب الفردى : ش . بيدان ، الحق الفردى والدولة (بالفرنسية) ، ط ٣ ، باريس ١٩٢٠ ، روسو ، ص ٢٦٢ .
٦ - الكسى دى توكفيل ، الديمقراطية فى أمريكا (بالفرنسية) ، ج ٢ ، القسم الثانى الفصل الاول ، طبعة جينان ، ص ١٢٩ وما بعدها . ايضا : شاتوبريان ، مذكرات من العالم الاخر (بالفرنسية) ، باريس ، طبعة نيلسون ، ص ٤١٨ .

استغلت البورجوازية رغبة الشعب فى المساواة للوصول الى أهدافها و
الجماهير . انضمت البورجوازية الى الشعب فى مهاجمة حالة عدم
السائدة فى المجتمع الاقطاعى ، وطالبت مثل الشعب بالقضاء
الامتيازات والمساواة امام الضرائب والعدالة . وكان المرجو من الحر
تكون ضامنة للمساواة . بيد أن البورجوازية كانت تستخدم الشعب
للاستيلاء على السلطة ، لم يكن فى نيتها بعد أن يتم هذا الاستيلاء أن
له مكانا فى المجتمع السياسى . هكذا اخذت بواخر الشقاق تتعمق تدرج
بين الشعب الراغب فى المساواة ، والبورجوازية الساعية الى الحر
بغية الوصول الى السيطرة (٧) .

تفجر هذا الشقاق من خلال الحركة الشعبية الهادفة الى المساواة
التمتع بالاموال بقيادة بابيف سنة ١٧٩٦ ، والمعروفة باسم « مؤ
المتساوين » la Conspiration des Egaux . قال بابيف ان الحق
الحياة لا يعنى حياة الحرمان والفقر من المهد الى اللحد . . . ما
الحق فى الحياة ، اذا كانت هذه الحياة تمضى بين الماء والوحل ،
على البصل والخبز الاسود ، كما هو الحال فى معظم قرى فرنسا ،
يوجد بها مع ذلك سادة اثرياء ، وقصور فاخرة . ان اقلية صغيرة
فى القمة ملكيات كبيرة ، بينما الاغلبية الساحقة من السكان تعيش
الحضيض ، تتجرع كأس الشقاء . ان الحق فى الحياة ، والحياة الكريمة
هو حق اقدم واولى من حق الملكية . فلتلغى الحيازة الفردية للاموال
وليكن الانتفاع بها جماعيا . تلك هى الغاية الواجب بلوغها من
الاجتماعية الكاملة (٨) .

نادى بابيف بالمساواة الفعلية بين الاغنياء والفقراء . . فقبض
الاغنياء الجالسون فى حكومة الديركتوار واعدموه سنة ١٧٩٧ .
كانت هذه هى الشرارة الاولى للصراع الطبقي بعد الثورة
فى اوربا الحديثة (٩) .

٧ - لوى مادلان ، الثورة المضادة اثناء الثورة (بالفرنسية) ، باريس ١٩٣٥ ، ص ٧ .

٨ - انظر : ف. م. دالين ، الافكار الاجتماعية لبابيف عشية الثورة (بالفرنسية) ، الندوة الدولية فى ستوكهولم عن بابيف ومسائل البأبيفية ، باريس ١٩٦٣ ، سوسيال ، ص ٥٥ (ص ٦٥ وما بعدها) .

٩ - راجع : ج. د. ه. كول ، تاريخ الفكر الاشتراكى ، ج ١ ، (بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٣ ، مكميلان ، ص ١٧ وما بعدها .

٣٨ - الخيال البورجوازي

لماذا فشل مذهب القانون الطبيعي السرمدي في تحقيق هدف الانعتاق النهائي للانسان ؟

لانه كان وليد الجشع المفرط لانانية الرأسمالية ، والخيال المريض لاحلام روسو .

كان علم روسو محدودا بمعلومات عصره . وكان علم عصره محدودا فيما يخص الانسان الاول . تصور روسو ان المجتمع الاقدم ، والوحيد الطبيعي ، هو الاسرة ، وان الرباط الطبيعي للأسرة ينحل بمجرد أن يشب الاولاد ، ولا يعودودا في حاجة الى معونة الاباء فاذا بقي اعضاء الاسرة متحدين فبارادتهم ، بناء على اتفاقهم . فالحرية وضع مشاع ، ناتج عن طبيعة الانسان (١٠) .

من هنا عبارة روسو الشهيرة : « يولد الانسان حرا ، وهو مكبل بالاغلال في كل مكان » (١١) .

من هنا المفهوم البورجوازي للحقوق الطبيعية ، وللملكية الفردية ، اذ يقول روسو : « ان ما يفقده المرء بالعقد الاجتماعي ، هو الحرية الطبيعية والحق غير المحدود في كل ما يغري ويمكن الوصول اليه ، وان ما يكسبه ، هو الحرية المدنية وملكية كل ما يحوز » (١٢) .

ان نقطة الانطلاق عند روسو خاطئة ، فلم تكن الاسرة هي الصورة الاولى للمجتمع ، ولم تكن الحرية هي الحالة السائدة في الطبيعة .

قال روسو في القرن الثامن عشر ، وقال هنري مين في القرن التاسع عشر ، ان الاسرة هي الصورة الاولى للمجتمع ، و اضاف مين ان هذه الاسرة كبرت وتشعبت حتى صارت العشيرة (١٣) .

كان مين يكتب منذ ما يزيد على مائة عام ، قبل اكتشاف الجماعات

-
- ١٠ - جان جاك روسو ، العقد الاجتماعي ، الكتاب الاول ، الفصل ٢ ، ط بليارد ، جاليمار ، باريس ١٩٦٤ ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ٣٥٢ .
 - ١١ - العقد الاجتماعي ، ك ١ ف ١ ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ٣٥١ .
 - ١٢ - العقد الاجتماعي ، ك ١ ف ١ ، الاعمال الكاملة ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .
 - ١٣ - هنري سامنر مين ، القانون القديم (بالانجليزية) ١٨٦١ ، ط ٨ ، لندن ١٨٨٠ ، موري ، ص ١٢٤ وص ١٢٦ . المؤلف نفسه ، محاضرات عن التاريخ الاول للنظم (بالانجليزية) ١٨٧٤ ، ط ٧ ، بورت واشنطن نيويورك ١٩١٤ ، ط ١٩٦٦ ، ص ٦٩ وقد اتبع رأى مين نفر من الذين وقفوا بدراساتهم عند مرحلة القانون الروماني ، ظنوا أن الاسرة الرومانية أقدم صورة للمجتمع البشري : رودولف فون يرنج ، روح القانون الروماني (بالألمانية) ط ٥ ، لايبزج ١٩٣١ ، برايتكوبف وهيرتل ، ج ١ ،

البدائية المعاصرة . كانت المعلومات التاريخية فى عصر مين قد وقف
مرحلة الاسرة الابوية ، فبداله أن نظام الاسرة هو اقدم النظم . ولما
الدراسات الانثروبولوجية ، على أثر اكتشاف الجماعات البدائية المع
تبين أن رأى مين يجافى الحقائق التاريخية . فالعشيرة هى الصورة
لجماعات الالتقاط الموغلة فى القدم (١٤) ، ثم لدى مجتمع
المنظم (١٥) ، ومجتمع الزراعة البدائية (١٦) . العشيرة هى
المعروفة والسائدة فى العصر الحجري . بينما الاسرة الابوية لم تظهر
انتقال الانسانية الى الرعى والزراعة الراقية المستخدمة للمحراث ،
نهاية سلم التطور للانسان الاول . العشيرة وجدت فى التاريخ قبل
الاسرة الابوية (١٧) .

نبذة ١٤ ص ١٨٣ وما بعدها . بيتر بونفانتى ، تاريخ القانون الرومانى (بالاي
ط ٢ ، ميلانو ١٩٠٩ ، سوسيتا اديتريتشى ليبراريا ، ص ٧٧ - ٧٩ . ج . كرو
فى كتاب أ . فون فيلاموفيتس موليندورف ، الدولة والمجتمع عند الاغريق والرو
لاييزج وبرلين ١٩٢٤ ، توينر ، ص ٢٥٠ . مكس كازر ، القانون الرومانى
(بالمانية) ، ميونخ ١٩٥٥ ، بيك ، ج ١ ، ص ٤٧ وص ٤٩ . ج . أل ،
النظم (بالفرنسية) ، باريس ١٩٥٨ ، ب . أ . ف . ، ص ٢٢٨ . ف . س .
الخيانة فى القانون الرومانى والجرمانى (بالانجليزية) ، اوستن ١٩٦٥ ،
جامعة تكساس ، ص ٧٧ و ٨٠ و ٨١ . ايضا من علماء الانثروبولوجيا الامريكان :
ه . لووى ، المجتمع القديم (بالانجليزية) ، ط ٣ ، لندن ١٩٤٩ ، راتليدج وكين
ص ١٣٩ وما بعدها .

١٤ - ب . سبينسروف . ج . جيلن ، الارونتا (بالانجليزية) ، لندن ١٩٢٧ ، مك
ج ١ ، ص ٤١ وما بعدها .

١٥ - ج . ج . فريزر ، التوتمية والزواج من الخارج (بالانجليزية) ، لندن .
مكيلان ، ج ٣ ، ص ١ فى المتن والهامش . ادامسون هويل ، قانون الانسان
(بالانجليزية) ، كيمبريدج ماساشوسيتس ١٩٥٤ ، مطبعة جامعة هارفارد ، ص
وما بعدها .

١٦ - لويس مورجان ، المجتمع القديم (بالانجليزية) ، نيويورك ١٨٧٧ ، ه
وشركاه ، ص ٦٢ وما بعدها .

١٧ - ف . فوند ، علم النفس الشعبى (بالمانية) ، ج ٧ : المجتمع ، المجلد ١
لاييزج ١٩١٧ ، كرونر ، ص ٨٣ ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ص ٢٢٩ . أ . مورى وج . د
من البطون الى الامبراطوريات (بالفرنسية) ، باريس ١٩٢٣ ، البان ميشيل ،
وما بعدها . ف . دى مارتينو ، تاريخ الدستور الرومانى (بالاطالية) ،
١٩٥٨ ، جوفينى ، ج ١ ، ص ٣ وما بعدها . صوفى حسن ابو طالب ، مبادئ
القانون ، القاهرة ١٩٦٥ ، دار النهضة العربية ، ص ٤٩ .

وقد انضم الى رأى لويس مورجان فى اسبقية العشيرة ، اقطاب الاشترا
العلمية : كارل ماركس ، تحليل كتاب مورجان عن المجتمع القديم ، منشور فى
ماركس وانجيلز ، ج ٩ ، طبعة موسكو ١٩٤١ ، ص ١٣٥ . كارل ماركس وفريد
انجيلز ، الايديولوجية الالمانية ، فى مجموعة الاعمال الكاملة لماركس وانجيلز ،
موسكو الثانية ، ج ٢ ، ص ٣١ . ف . أ . لينين من هم اصدقاء الشعب ، فى مجم
اعماله الكاملة (بالروسية) ، ط ٥ ، ج ١ ، ص ١٢٥ (١٥٣) .

٣٩ - شريعة العرف

فالشريعة الاولى للانسان الاول ليست هى الحرية الطبيعية والحق غير المحدود كما توهم روسو .

لم تكن الاسرة الشكل الاول للوحدة الاجتماعية ، بل كانت العشيرة .

لم يكن الحق غير المحدود المصدر الاقدم للشريعة ، بل كان العرف .

فالقول بأن الانسان فى حالة الطبيعة يتمتع بالحرية الطبيعية ، والملكية الطبيعية ، هو تقرير أمر لا يقوم عليه دليل ، واسترسال خيالى حول حالة الطبيعة ، والتطوع بعبارة مجردة من كل قيمة علمية . فالانسان من حيث تكوينه الفسيولوجى والنفسى ، لا يستطيع أن يعيش الا فى الجماعة . ان الانسان الطبيعى المستقل والمنعزل هو محض خرافة . ان الاستمرار فى الوجود هو للجماعة (١٨) ، والفرد مكانه بداخل الجماعة

حقا ان كل مذهب حول اساس القانون يجب أن ينطلق من الانسان فى حالة الطبيعة ، بيد أن الانسان فى حالة الطبيعة بعيد عن ان يكون ذلك المخلوق الحر غير المكبل بالاغلال كما توهمه خيال روسو . ففى الجماعات البدائية ، لم يكن الفرد يعيش منعزلا ، ولا حتى باعتباره رأس أسرة ، بل كان عضوا فى جماعة هى العشيرة . كان الفرد مطموسا فى العشيرة ، غارقا فى أعرافها وتقاليدها السائدة . لم يكن الفرد يعتبر وحدة مستقلة ، بل كان يعد عضوا فحسب فى جماعة . هى التى توجد وتعيش ، وهو لا يوجد ولا يعيش الا من خلالها ، والقدر الاكبر من حياته ينصرم من أجلها . الفرد نفسه لا ينظر الى شخصه الا باعتباره عضوا فى العشيرة .

هذا ما يقرره جمهرة العلماء (١٩) .

١٨ - قارن : ليون دوجى ، المطول فى القانون الدستورى (بالفرنسية) ، ج ١ ، ط ٣ ، باريس ١٩٢٧ ، فونتيموان ، ص ٢٠٩ وما بعدها . المؤلف نفسه ، التحولات العامة للقانون الخاص منذ مجموعة نابليون (بالفرنسية) ، باريس ١٩١٢ ، الكان ، ص ١٣ وما بعدها .

١٩ - ج . كولر ، المدخل الى علم القانون (بالالمانية) ، لايبزج ١٩٠٢ ، داشرت ، ص ١ . رودولف شتاملر ، الاقتصاد والقانون طبقا للتاريخية المادية (بالالمانية) ، ط ٣ ، لايبزج ١٩١٤ ، فايت وشركاه ، ص ٨٢ . كارفيت ريد ، اصل نشأة الانسان وخرافاته (بالانجليزية) ، كيمبريدج ١٩٢٠ ، مطبعة الجامعة ، ص ٤٤ . ر . س . راترى ، الاثنى (بالانجليزية) ، اكسفورد ١٩٢٣ ، مطبعة كلارندون ، ص ٢٢٤ . ثيودور فيلهيلم دانتسل ، الحضارة والدين عند الانسان البدائى (بالالمانية) ، شتوتجارت ١٩٢٤ ، ص ٢٨ وما بعدها ، دار شترىكر وشرودر . أ . سيدنى هارتلاند القانون البدائى (بالانجليزية) ، لندن ١٩٢٤ ، ميتوان ، ص ٤٨ وما بعدها .

فالشريعة الاولى للانسان هى العرف .

لذا يقرر الكتاب الاخضر : الشريعة الحقيقية لاي مجتمع هى
أو الدين . . الدين احتواء للعرف . والعرف تعبير عن الحياة
للشعوب . اذن الدين المحتوى للعرف تأكيد للقانون الطبيعى . ان
اللا دينية الاعرفية هى ابتداء من انسان ضد آخر ، وهى بالتالى
لأنها فاقدة للمصدر الطبيعى الذى هو العرف والدين (٢٠) .

علينا اذن بدراسة عرف الانسان الاول ، فى عصر ما قبل
الطبقات .

شجب المذاهب الوضعية والطبيعية المعاصرة

٤٠ - الوضعية والاستغلال

يتعين ايضا رفض الوضعية .

كانت الرأسمالية فى مرحلتها النضالية ، وهى خارج الحكم
الثورة الفرنسية ، تناقش ما هو كائن وتطالب بما يجب أن يكون .
حققت الهدف وسيطرت على مقاليد الحكم ، ودخلت مرحلتها
واصبحت الطبقة الحاكمة ، لم تعد تبحث عن العدل او تطالب به
الانسان . كان يهتمها تمويه حقائق الحياة ، لتلهى الانظار عن
الاجتماعى . راحت تهزأ بفكرة القانون الطبيعى وتسخر من السعى
العدل المطلق . لذا شرعت الوضعية فى التركيز على ما هو كائن ، و
البحث عما يجب أن يكون .

برونسلاف مالىنوفسكى ، الجريمة والعرف فى المجتمع الوحشى (بالانجليزية) ،
ط ٦ ، لندن ١٩٥١ ، ص ١٠ وما بعدها . لوسيان ليفى برول ، الروح الب
(بالفرنسية) ، ط ٢ ، باريس ١٩٢٧ ، الكان ، ص ٧٠ وما بعدها . ريتشارد ثيرن
الاقتصاديات فى الجماعات البدائية (بالانجليزية) ، اكسفورد ١٩٣٢ ، مطبعة
ص ١٨٧ . ادوارد ب . تايلور ، الانثروبولوجيا (بالانجليزية) ، ثينكر لايبيرير
١٥ ، لندن ١٩٣٠ ، ج ٢ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ . ر . ر . ماريت ، الانثروبولوجيا
(بالانجليزية) ، لندن ١٩٣٦ ، هوم يونيفرسيتى لايبيرير ، ط ١١ ، ص ٧١
١٨٣ وما بعدها . الكساندر جولدنفائزر ، الانثروبولوجيا (بالانجليزية) ، ني
١٩٤٦ ، كروفتس وشركاه ، ص ٢٩٦ .

وانظر بالعربية : على بدوى ، ابحاث فى تاريخ الشرائع ، مجلة الق
والاقتصاد ، السنة الاولى (١٩٣١) ، القاهرة ، ص ٧٣١ (٧٤٣) . عبد الح
متولى ، اصل نشأة الدولة ، مجلة القانون والاقتصاد ، السنة ١٨ (١٩٤٨) ، ص
(٧٠٧) ، والمفصل فى القانون الدستورى ، ج ١ ، الاسكندرية ١٩٥٢ ، ص ٢٨٠
٢٠ - الكتاب الاخضر ، الفصل الاول ، الجريدة الرسمية ١/١٥ ، ٧٧ ،
ص ٥٨ و ٦٠ .

أنكرت الوضعية امكان التوصل الى طبيعة وجوهر الاشياء والظواهر ،
وقصرت مهمة الباحث العلمى على الوصف الخارجى لنتائج الملاحظة .
وبلغ التيار مداه على يد الوضعية المنطقية والتجريبية المنطقية ، رفضت
اجراء التقييم ، اهتمت بمعانى المصطلحات ، اقتصرت على الدراسات
السطحية .

كانت مدرسة الشرح على المتون اول تيار وضعى فى نطاق علم
القانون . هيمنت البورجوازية على الثورة الفرنسية وتفاهمت مع نابليون ،
وضمنت المجموعة المدنية سنة ١٨٠٤ المبادئ الرئيسية التى تحقق مصالح
الرأسمالية : الملكية حق مطلق ، العقد شريعة المتعاقدين ، وطلبت من
القاضى الخضوع الاعمى لهذا القانون البورجوازى ، بعد أن اعتبر تدوينا
صادقا للعقل الانسانى .

وظهرت الوضعية التحليلية فى انجلترا ، وانتعشت النظرية البحثية
لكيلسن (٢١) .

أما الآثار الاجتماعية الظالمة للقاعدة القانونية القائمة ، فقد ظلت
طى الكتمان ، ابتلعها بئر النسيان . نفض عنها الفقيه يده وقال : هذه
مهمة البحث الاجتماعى ، تخرج عن نطاق البحث القانونى . وغسل
القاضى يديه وقال : انى برىء من الظلم ، الوزر يحمله النص . ومضى
المشرع بحذائه الرأسمالى ، يسحق بثقله ملايين البشر ، كأنهم الديدان
يطحنها القدر .

٤١ - فقدان الشريعة

لذا يقول الكتاب الاخضر : الشريعة الحقيقية لاي مجتمع هى العرف
او الدين . اى محاولة اخرى لايجاد شريعة لاي مجتمع خارجة عن هذين
المصدرين هى محاولة باطلة وغير منطقية . الدساتير ليست هى شريعة
المجتمع الدستور عبارة عن قانون وضعى اساسى . ان ذلك القانون
الوضعى الاساسى يحتاج الى مصدر يستند عليه حتى يجد مبرره . ان
مشكلة الحرية فى العصر الحديث هى أن الدساتير صارت هى شريعة
المجتمع . . وهذا هو مقتل الحرية فى نظم العالم المعاصر . ان الاسلوب
الذى تبتغيه ادوات الحكم فى السيطرة على الشعوب هو الذى يفرغ فى
الدستور وتجبر الناس على طاعته بقوة القوانين المنبثقة عن الدستور المنبثق
من أمزجة ورؤية اداة الحكم .

ان سنة ادوات الحكم الدكتاتورية هى التى حلت محل سنة الطبيعة .

القانون الوضعي حل محل القانون الطبيعي ، ففقدت المقاييس
الانسان هو الانسان فى أى مكان . . واحد فى الخلقة . . . وواحد
الاحساس . . ولهذا جاء القانون الطبيعي ناموساً منطقياً للانسان
ثم جاءت الدساتير كقوانين وضعية تنظر للانسان غير واحد ، وليست
ما يبررها فى تلك النظرة الا مشيئة ادوات لحكم الفرد ، او الجماعة
الطبقة أو الحزب للتحكم فى الشعوب . وهكذا نرى الدساتير تتغير
بتغير اداة الحكم . وهذا يدل على أن الدستور مزاج ادوات الحكم
لمصلحتها وليس بقانون طبيعى .

ان هذا هو الخطر المحدق بالحرية الكامن فى فقدان الشريعة
للمجتمع الانسانى . . واستبدالها بتشريعات وضعية وفق الاسلوب
ترغبه اداة الحكم فى حكم الجماهير . . . والاصل هو أن اسلوب
هو الذى يجب أن يتكيف وفقاً لشريعة المجتمع لا العكس .

اذن شريعة المجتمع ليست محل صياغة وتأليف . وتكمن
الشريعة فى كونها هى الفيصل لمعرفة الحق والباطل والخطأ والصواب
وحقوق الافراد وواجباتهم . اذ أن الحرية مهددة ما لم يكن للمجتمع
مقدسة وذات احكام ثابتة ، غير قابلة للتغيير أو التبديل بواسطة
من ادوات الحكم ، بل اداة الحكم هى الملزمة باتباع شريعة المجتمع

الدين المحتوى للعرف تأكيد للقانون الطبيعى . . ان الدين
اللا دينية اللاعرفية . . . باطلة لانها فاقدة للمصدر الطبيعى الذى
العرف والدين (٢٢) .

عود الى القانون الطبيعى . . . عود الى القواعد الطبيعية
حددت العلاقة قبل ظهور الطبقات واشكال الحكومات والتشريعات
الوضعية (٢٣) .

٤٢ - علو الشريعة

فالمصدران الاساسيان للنظرية العالمية الثالثة هما العرف والدين
وهذا ما يميزها عن الاشتراكيات الاخرى .

٢٢ - الكتاب الاخضر ، الفصل الاول ، الجريدة الرسمية ١/١٥ (١٩٧٧) ص ٥٨ - ٦٠ .

٢٣ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ٧/١٦ (١٩٨٧) ، ص ١٠٠
انظر ايضا كلمة الاخ العقيد معمر القذافى فى ندوة الحوار الاسلامى المسيحى
فبراير ١٩٧٦ ، السجل القومى ، ج ٧ ، ص ٤٦١ (ص ٤٨٤ و ٤٨٦) .

ان النظرية العالمية الثالثة تعتمد على العلم ، فتدرس طبيعة العلاقة الظالمية فى عملية الانتاج ، وتعود الى العرف فى عصر ما قبل الطبقات . بيد أنها تراجع نتائج البحث العلمى على الشريعة الدينية ، باعتبار الدين احتواء للعرف .

لذا جاء فى اعلان قيام سلطة الشعب ١٩٧٧ ان القرآن الكريم هو شريعة المجتمع فى الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية (٢٤) . وأوضح الكتاب الاخضر أن أداة الحكم ملزمة باتباع شريعة المجتمع . هذا ما يعبر عنه بمبدأ علو شريعة المجتمع .

من هذه الشريعة تستمد القوانين . وكل تشريع او لائحة او قرار يخالف شريعة المجتمع لا يتمتع بالشرعية ، ويتجرد من الفعالية (٢٥) .

٤٣ - من جهة اخرى ، تختلف النظرية العالمية الثالثة عن النظريات الدينية التى اعتمدت فكرة القانون الطبيعى . اشهرها نظرية توما الاكوينى فى القرن الثالث عشر التى انتعشت من جديد .

كان النظام الاقطاعى الكهنوتى جاثما على انفس اوربا فى العصر الوسيط . وكان الصراع اذ ذاك محتدما بين البابا ممثل القانون الالهى والامبراطور صاحب السلطة الزمنية (٢٦) . زعم الفريقان أن سلطانهما امتداد للامبراطورية الرومانية ، لكن اختلفا حول اى منهما يمثل الخلافة الشرعية . قال انصار البابا أن الامبراطور الرومانى قسطنطين ، الذى اعترف بالمسيحية فى أوائل القرن الرابع ، نقل السيفين الى الكنيسة ، السيف الدينى والسيف الزمنى ، وان الامبراطور فى القرون الوسطى انما يتلقى سيفه من البابا . فلا يتميز كيان اسمه الكنيسة عن كيان آخر اسمه الدولة ، وانما توجد جماعة سياسية ودينية تجد وحدتها النهائية فى الله (٢٧) .

٢٤ - الجريدة الرسمية ، السنة ١٥/١ (١٩٧٧) ، ص ٦٧ .
٢٥ - انظر : ثروت انيس الاسيوطى ، المدخل الى علم الشريعة ، مطبوعات جامعة قاريونس ، بنغازى ١٩٧٨ : ١٩٧٩ ، على الرونيو ، نبذة ٨١ ص ١١٨ وما بعدهما .
٢٦ - هنرى بيرين ، تاريخ اوربا (بالانجليزية) ، ج ٢ ، نيويورك ١٩٥٨ ، انكور بوكس ، ص ٣ وما بعدها وص ٢٥ وما بعدها . جاك بيرين ، التيارات الكبرى فى التاريخ العالمى (بالفرنسية) ، ج ٢ ، نوشاتيل وبأريس ، لباكونيير والبان ميشيل ، ط ٣ (١٩٤٧) ص ١١٣ وما بعدها .

٢٧ - ر . و . كارلايل وأ . ج . كارلايل ، تاريخ النظرية السياسية للعصر الوسيط فى الغرب (بالانجليزية) ، ج ٤ ، ادينبورج ولندن ١٩٥٠ ، ط ٣ ، بلاكوود ، ص ٢٨٩ و ٣٣٠ و ٣٩٢ وما بعد هذه الصفحات .

وكان الفكر المدرسى يعتمد على مؤلفات ارسطو والفلاسفة
على الاخص كتب المنطق لابن سينا والغزالي والفارابى (٢٨) .
الذهبي للمنطق ، غلب اتجاه عام نحو تفسير بنود الايمان عن
العقل ، واستنتاج العلوم الانسانية من مفاهيم عقلانية (٢٩) .

قال الاكوينى ان كل فاعل يصبو الى غاية (٣٠) ، ان التشريع
سير نابعة من العقل موجهة نحو غاية (٣١) ، هذه الغاية هى
العام (٣٢) . من هنا التعريف الشهير : « القانون خطاب من الله
يهدف الى الخير العام ، ويصدر من عاقل المجتمع » (٣٣) .

أى مجتمع يقصد ؟ المجتمع المثالى المنشود ، ام مجتمع
والاقتنان ؟ الاول لا يتحقق .. والثانى لا يتزعزع ..

يميز الاكوينى بين أنواع ثلاثة من العقول ، تنبثق منها أنواع
من القوانين . فهناك العقل الالهى ، يحكم العالم من خلال
السرمدى . يليه العقل التأملى ، وهو عقل الانسان حينما يتأمل في
أن يصل الى قدر من القانون الالهى ، هذا القدر يسميه الاكوينى القانون
الطبيعى *lex naturalis* . ثم يأتى العقل العملى ، ومهم
التشريعات الوضعية ، طبقا للقانون الطبيعى ، اى وفقا لهذا القدر
للمعرفة من القانون الالهى (٣٤) .

ما الحل اذا خالفت قواعد القانون الوضعى مبادئ القانون
أو عقائد القانون الالهى ، هل يكون القانون الوضعى واجب الاتباع ؟
يقول الاكوينى ، وكأنه يحاول ايجاد حل توفيقى للصراع بين
ممثل القانون الالهى والامبراطور صاحب القانون الوضعى : ان الصعود
القوانين غير العادلة تكمن فى هذا السؤال ... من الذى سيكون الحكم

٢٨ - ما سبق نبذة ٣٢ .

٢٩ - شلوسر ، تاريخ العالم (بالألمانية) ، ط ٣ ، برلين ١٩٠٣ ، ج ٤ ص ٤
وط ٢ ، ج ٥ (١٨٩٨) ، ص ١٥٥ . ول دورانت ، قصة الحضارة ، ج ٤ :
الايمان (بالانجليزية) ، نيويورك ١٩٥٠ ، سيمون وشوستر ، ص ٩٥٨ وما يليها
٣٠ - توما الاكوينى ، الموجز ضد الجنتيل (باللاتينية) (١٢٥٩) ، ك ٢ ف ٢ ،
ليتيليه ، باريس ١٨٧٧ ، ص ٢٦١ وما بعدها .

٣١ - توما الاكوينى ، الموجز فى اللاهوت (١٢٦٥) ، القسم الثانى الجزء الاول
السؤال ٩٠ المادة ١ الاجابة ، الطبعة اللاتينية ، بلو وبارال ، باريس ١٨٨٠ ، ج
ص ٣٥١ .

٣٢ - الموجز فى اللاهوت ، ١/٢ ، السؤال ٩٠ م ٢ الاجابة ، ج ٣ ص ٣٥٢ - ٣
٣٣ - الموجز فى اللاهوت ، ١/٢ ، السؤال ٩٠ م ٤ الاجابة ، ج ٣ ص ٣٥٥ .
٣٤ - الموجز فى اللاهوت ، ١/٢ ، الاسئلة ٩١ الى ٩٤ .

أكل فرد على حدة ؟ . . أَلن يتخير الافراد اذ ذاك من التشريعات ما هو فى صالحهم وينبذون الباقي ، فتعم الفوضى ويستشرى الفساد . . واذا قصرنا هذا الحق على بعض الافراد من ذوى القدرة على الافتاء والشهرة بعدم التحيز ، الن يكون صنيعهم مثلاً سيئاً يدفع غيرهم من الانتهازيين الى تعمد الاطاحة بالتشريعات العادلة ؟ وينتهى توما الاكوينى الى ضرورة خضوع الافراد للقانون الظالم ، ما دام لا يمس القانون الالهى ، اتقاء لضرر اكبر . ذلك أن ضرر الفوضى وعدم وجود قواعد محددة ، أخطر على كيان المجتمع من ضرر اتباع قاعدة ثابتة ولو كانت ظالمة (٣٥) .

ومن ثم احتفظ الفيلسوف النابه للامبراطور بسلطانه فى المسائل الزمنية ، وللبابا باختصاصه فى الامور الدينية .

أما الشعب ، فليظل محشوراً بين قصر الحاكم ، وقبة الكاهن . . الى أن يتعظ السلطان . . . ويكف عن الطغيان . .
حلم واهم . . (٣٦) .

٤٤ - لكن النظرية العالمية الثالثة توجب خضوع القانون الوضعى للقانون الطبيعى . فيقول الكتاب الاخضر بكل وضوح ، ان شريعة المجتمع هى الفيصل لمعرفة الحق والباطل ، والخطأ والصواب ، وحقوق الافراد وواجباتهم ، وان اداة الحكم هى الملزمة باتباع شريعة المجتمع . ثم ان القانون الطبيعى فى الكتاب الاخضر ليس هو العقل التأملى كما عند الاكوينى ، ليس التأملات التى قد تشوبها الذاتية وتختلط بالخيال ، بل هو المفهوم العلمى للقانون الطبيعى ، العرف الذى كان سائداً فى عصر ما قبل الطبقات واشكال الحكومات والتشريعات الوضعية .

فالقُرآن الكريم شريعة المجتمع .

والقانون الطبيعى ، وهو عرف ما قبل الطبقات ، تراجع قواعده على شريعة القرآن ، لان الدين احتواء للعرف .

والقانون الوضعى ، يستمد قواعده من الدين والعرف ، وليس له

٣٥ - الموجز فى اللاهوت ، ١/٢ ، السؤال ٩٦ م ٤ .

٣٦ - انظر فى محاولة انعاش مذهب الاكوينى على يد دابان وليكلير ، ما سبق نبذة ١٢ .

أن يخالف شريعة المجتمع (٣٧) .

فاذا اهدرت الشريعة .. فالثورة على الطغيان ..

« قل انما حُرِّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم و
بغير الحق » (٣٨) .

« انما بغيكم على أنفسكم » (٣٩) .

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » (٤٠) .

« انه لا يحب الظالمين » (٤١) .

٤٥ - الثورة على القانون الوضعى الظالم

لا شرعية للقانون الظالم .. لا قدسية للقانون الوضعى ..

« أرفض ان تسير البلاد بقوانين رجعية لان تحويل هذه القوانين
قوانين ثورية سوف يكون فيه ممارسة ثورية يومية وهذا قد لا يط
الكثير » (٤٢) .

القدسية كل القدسية للقرآن الكريم ...

« كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (٤٣) ...

هل حدث اهدار للقرآن الكريم .. هل صار المال دولة
الاغنياء .. ؟

ان النظرية الرأسمالية شر على الذين لا يملكون المال ، « فقد
الاستغلال .. استغلال الغنى للفقير ... سيطرة الاغنياء على الفقر
واحتكار الاغنياء لنشاطات كثيرة ضيقت الرزق والعيش على غير الاغنياء
وهذا أمر واضح ، مثل اصحاب الشركات الرأسمالية والمصانع الكبر

٣٧ - قارن : صبيح بشير مسكونى ، الاتجاهات الحديثة لقواعد القانون الادارى
ج ٠ ع ٠ ل ٠ ش ٠ أ ٠ ، منشورات جامعة قاريونس ١٩٧٨ ، على الرونيو ، ص ٠
١٦٢ ، مهاب نجا ، شريعة المشاركة ، منشورات جامعة قاريونس ١٩٧٩ ، على الر
ص ٦ وما بعدها .

٣٨ - سورة الاعراف ، الآية ٣٣ .

٣٩ - سورة يونس ، الآية ٢٣ .

٤٠ - سورة الشعراء ، الآية ٢٢٧ .

٤١ - سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

٤٢ - خطاب زوارة التاريخى للأخ العقيد معمر القذافى ، الجريدة الرسمية ،

١/١٥ (١٩٧٧) ، ص ٢٦ .

٤٣ - سورة الحشر ، الآية ٧ .

وهؤلاء المستغلّون المترفون الذين ورد ذكرهم فى القرآن عدة مرات « (٤٤) .

ان الجماهير الليبية صاحبة الارض وصاحبة الثروة وصاحبة الحق تترجح تحت التخلف والظلم وتعيش تحت الاكواخ .. بينما الآلاف والملايين تصرف فى الخارج على الطغمة الحاكمة فى العهد المباد (٤٥) .

هذا الشعب الليبي المحروم الكادح والفقير ، قامت الثورة من أجله (٤٦) .

واذا قاوم انصار القانون الوضعى .. قانون نابليون الاستغلالى الذى دخل بلاد العرب فى غفلة من الزمن على يد البورجوازية المحلية المتحالفة مع الاقطاع ... اذا قاومت الرجعية ، « فالثورة يمكن ان تتحول الى .. العنف الثورى . وهذا أمر لا بد منه ، لان الثورة اذا استمرت تهادن وتساهم ، معناها انها اوشكت على الانتهاء . واذا كانت الثورة تخاف الدم او تخاف العنف ، لا تكون ثورة » (٤٧) .

العنف الثورى ... فى مواجهة العنف الرجعى ..

العنف الثورى .. لاسقاط القانون الوضعى ..

شريعة العرف والدين

٤٦ - ما سبب الظلم ؟

الثورة هى الاحساس بالظلم الاجتماعى ، والثورة على هذا الظلم الاجتماعى للقضاء عليه ... الثورة هى اكتشاف القواعد الظالمة للمجتمع والقوانين الفاسدة له ، ثم التحرك العلنى ، والمشروع ، والمنظم ، لمداومة تلك القواعد وتدميرها ، واسقاط تلك القوانين وسحقها (٤٨) .

٤٤ - لقاء الاخ العقيد معمر القذافى مع القيادات السياسية حول النظرية العالمية الثالثة فى ٩ اغسطس ١٩٧٥ ، السجل القومى ، المجلد ٧ ، ص ٦٧ ، منشورات مؤتمر الشعب العام .

٤٥ - الخطاب السياسى للاخ العقيد معمر القذافى فى الاحتفال الشعبى بازالة آخر كوخ بمنطقة ابو سليم بمدينة طرابلس فى ١٢ مارس ١٩٧٦ ، السجل القومى ج ٧ ، ص ٥٠٢ .

٤٦ - خطاب زوارة التاريخى ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

٤٧ - كلمة الاخ العقيد معمر القذافى بمناسبة افتتاح معسكر القيادات السياسية فى ١٨ اغسطس ١٩٧٥ ، السجل القومى ، ج ٧ ص ١٠٥ ، عند ص ١١٤ .

٤٨ - البيان الثورى للاخ العقيد معمر القذافى فى العيد التاسع للثورة ، ط امانة الاعلام والثقافة (اول سبتمبر ١٩٧٨) ، ص ٢٢ . ايضا : الخطاب التاريخى فى عيد العمال

للاخ العقيد معمر القذافى اول مايو ١٩٧٨ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٧٣٢ و ٧٣٨ .

فما هي القواعد الظالمة في المجتمع ... ما سبب الظلم ؟
ان العامل يعمل ١٠ ساعات ، لكن راتبه اقل من ١٠ ساعات
ان المؤسسات التي يعمل فيها العمال سواء كانت صغيرة او كبيرة
بواسطة الاسياد ، والعمال عبيد ينتجون فقط . الانتاج الذي هو
جبين العمال وساعات عملهم طوال النهار ، يستولى عليه الغير ،
يأخذون اجرة مقابل هذا الانتاج (٥٠) . ان الانتاج في المج
الرأسمالية يتراكم ويتضخم في يد المالكين القلة الذين لا يعملون
يستغلون جهد الكادحين الذين يضطرون للانتاج ليعيشوا (٥١) .
الاجور يجرد العامل من اى حق في المنتجات التي ينتجها ، سواء
الانتاج لحساب المجتمع ام لحساب منشأة خاصة (٥٢) .

من جهة اخرى ، اذا افترضنا أن ثروة المجتمع هي (١٠)
وعدد سكانه (١٠) ، فان نصيب كل فرد من ثروة المجتمع هو .
١٠ ويساوى واحدة فقط من وحدات الثروة . لكن اذا وجد أن عد
أفراد المجتمع يملك اكثر من وحدة من الوحدات ، اذن عدد آخر
المجتمع لا يملك منها شيئا . والسبب هو أن نصيبه من وحدات
استحوذ عليه الآخرون . ولهذا يوجد اغنياء وفقراء في الم
الاستغلالى .

ولنفرض ان خمسة من هذا المجتمع وجدنا كل واحد منهم
وحدتين ، اذن هناك خمسة آخرون منه لا يملكون شيئا أى ٥٠٪ مح
من حقهم في ثروتهم ، ذلك لان الوحدة الاضافية التي يمتلكها كل واحد
الخمس الاولى هي نصيب الخمسة الثانية .

واذا كان ما يحتاجه الفرد في هذا المجتمع ، لاشباع حاجاته هو
فقط من وحدات ثروة المجتمع ، فان الفرد الذي يملك اكثر من وحد
تلك الوحدات هو مستول في حقيقة الامر على حق لافراد المجتمع الاخر
وحيث أن هذه الحصة هي فوق ما يحتاجه لاشباع حاجاته المقدرة

-
- ٤٩ - لقاء الاخ العقيد معمر القذافي مع القيادات السياسية حول النظرية العالمية
في ٩ اغسطس ١٩٧٥ ، السجل القومى ، ج ٧ ، ص ٦٧ ، عند ص ٨٤ - ٨٥ .
في التفاصيل ما يلى ، نبذة ٥٩ .
٥٠ - الخطاب التاريخى فى عيد العمال اول مايو ١٩٧٨ ، السجل القومى
ج ٩ ص ٧٣٨ .
٥١ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (٧٨)
ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .
٥٢ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص

واحدة من وحدات الثروة ، فهو يستولى عليها لاجل الاكتناز ، وهذا الاكتناز لا يتحقق له الا على حساب حاجة الغير ، اى بالاخذ من نصيب الاخرين فى هذه الثروة ، وهذا هو سبب وجود الذين يكتزون ولا ينفقون اى يدخرون فوق اشباع حاجاتهم ، ووجود السائلين والمحرومين اى الذين يسألون عن حقهم فى ثروة مجتمعهم ولا يجدون ما يستهلكون . انها عملية نهب وسرقة ولكنها علنية ومشروعة حسب القواعد الظالمة الاستغلالية التى تحكم ذلك المجتمع (٥٣) .

هذا هو سبب الظلم : نظام الاجرة ، وسوء توزيع الثروة ..

والحل النهائى هو الغاء الاجرة ، وتحرير الانسان من عبوديتها ، والعودة الى القواعد الطبيعية التى حددت العلاقة قبل ظهور الطبقات واشكال الحكومات والتشريعات الوضعية (٥٤) .

فما هى هذه القواعد الطبيعية ؟

لنعد الى عرف ما قبل ظهور الطبقات ، ثم لندقق فى احتواء الدين لهذا العرف .

كيف كانت علاقات الانتاج فى المجتمعات الانسانية الاولى ، من كان يملك وسيلة الانتاج وهى اذ ذاك الارض ، ومن كان يستأثر بالمنتوج ؟

٤٧ - ملكية الارض

كانت الارض ، قبل عصر الزراعة الراقية المستخدمة للمحراث ، حينما كانت الجماعات البدائية تعيش على الجمع والصيد ، بل حتى بعد أن انتقلت الى الزراعة البدائية والرعى ، كانت الارض محلا للحيازة الجماعية ، كل جماعة تضع يدها على رقعة مخصصة لها ، تستغلها فى القطف أو القنص أو الزراعة البدائية أو الرعى . هذا ما يكشف عنه البحث التاريخى (٥٥) ، وما يؤيده غالبية العلماء (٥٦) . الارض ليست ملكا لاحد .

٥٣ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

٥٤ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢٧٧ .

٥٥ - انظر بالنسبة الى جماعات الالتقاط : شابيرا ، الشعوب الخوصية (بالانجليزية) ، لندن ١٩٣٠ ، راتليدج ، ص ٧٧ و ١٢٧ وما بعدها وص ١٤٧ - ١٤٨ . داريل فورد ،

البيئة والاقتصاد والمجتمع (بالانجليزية) ، لندن ١٩٦٣ ، ميتوان ، ص ٢٩ - ٣٠ .

ن . و . توماس ، اهالى استراليا (بالانجليزية) ، لندن ١٩٠٦ ، كونستابل ، ص ٢٦ .

لويس مورجان ، المجتمع القديم (بالانجليزية) ، نيويورك ١٨٧٧ ، هولت وشركاه ،

ص ٥٢٧ - ٥٢٨ . س . دايموند ، تطور القانون والنظام (بالفرنسية) ، باريس

احتوى الدين هذا العرف . فجاء فى القرآن الكريم أن الله

١٩٥٤ ، بايو ، ص ٣٢ .

وبالنسبة الى مجتمعات الصيد ، آدمسون هوبل ، قانون الانسان الب
(بالانجليزية) ، كيمبريدج ماساشوسيتس ١٩٥٤ ، مطبعة جامعة هارفارد ، ص
روبرت هـ . لووى ، التنظيم الاجتماعى (بالانجليزية) ، ط ٣ ، لندن ١٩٦١ ، ر
وكيجان بول ، ص ١٣٩ - ١٤٠ . اليس فليتش وفرنسيس لافليش ، قبيلة او
(بالانجليزية) ، نيويورك ولندن ١٩٧٠ ، جونسون ريبيرنت ، ص ٣٦٢ .
وبالنسبة لمجتمعات صيد السمك ، حيث الشريط الساحلى والمياه الداخلية
ملكا لاحد ومن حق الجميع الصيد فيها : لووى ، التنظيم الاجتماعى ، السابق
ص ١٤١ . روبين هورتون ، من قرية الصيد الى دولة المدينة ، فى مجموعة : السابق
فى افريقيا ، اخراج ميرى دوجلاس وفيلبس كابيرى (بالانجليزية) ، لندن ، نيو
١٩٦١ ، منشورات تافيسوك ، ص ٣٧ ، عند ص ٤٠ وص ٤٤ .
وفى مجتمع الزراعة البدائية : ارنت جروسى ، اشكال الاسرة واشكال الا

(بالالمانية) ، فرايبورج ١٨٩٦ ، مور ، ص ١٣٩ وما بعدها . فورد ، البيئة والا
والمجتمع ، ص ١٥٧ - ١٥٨ وص ٣٨٩ . لووى ، التنظيم الاجتماعى ، ص ١٣٥ و
محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١١٦ - ١١٨ .
وفى مجتمع الرعى ، بالنسبة لارض المرعى : جروسى ، السابق ، ص ٩٦ .
سيجل ، تاريخ القانون (بالانجليزية) ، نيويورك ١٩٤٦ ، تودور ، ص ٥٣ . دا
السابق ، ص ١٢١ . بيرشيتس ، تطور اشكال الملكية فى المجتمع البدائى (بالروسي
فى مجموعة : مسائل فى تاريخ المجتمع البدائى ، موسكو ولينينجراد ١٩٦٠ ، اكا
العلوم ، ص ١٦٩ . لووى ، التنظيم الاجتماعى ، ص ١٣٩ .
وعند رعاة بنى اسرائيل : سفر العدد ، ٢٦ - ٥٢ الى ٥٦ ، ٣٣ - ٥٤ .
وعند الرعاة الجرمان : قيصر ، حرب الغال ، ٤ - ١ . تاسيت ، جرمانيا
وعند الرعاة من عرب الجاهلية ، جيورج جاكوب ، حياة البدو والعرب الق
(بالالمانية) ، برلين ١٨٩٧ ، ماير ومولر ، ص ٣٢ وما بعدها ك . أ . نالينو ، الج
العربية قبل الاسلام (بالايطالية) ، فى مجموعة كتاباته ، روما ١٩٤١ ، معهد
ج ٣ ، ص ٣٦ .

٥٦ - ان غالبية العلماء ، بالرغم من تمايز اتجاهاتهم ، يسلّمون بأن الصورة الا
ملكية الارض كانت جماعية : لويس مورجان ، المجتمع القديم ، ط كالكوستا ١٩٥٨
دار بهاراتى ، ص ٥٣٧ . فريدرش انجيلز ، اصل نشأة الاسرة والملكية الخا
والدولة (بالالمانية) ١٨٩٢ ، فى الكتابات المختارة لماركس وانجيلز ، برلين ١٩٧٠
ط ديتس ، ج ٢ ، ص ١٥٥ (٢٨٥) . جوستاف لبيون ، المذنيات الاولى (بالفرنسية)
باريس ، فلمازيون ، ص ١٠٣ - ١٠٤ . ستانلى أ . كوك ، قوانين موسى ومج
حمورابى (بالانجليزية) ، لندن ١٩٠٣ ، ص ١٨٠ وما بعدها . جون روسكو ، نفس
افريقيا الوسطى (بالانجليزية) ، لندن ١٩٢٢ ، كاسيل وشركاه ، ص ١٩٣ . ثيو
فيلهيلم دانتسيل ، الثقافة والدين عند الانسان البدائى (بالالمانية) ، شتوتجارت ١٩٢٤
ص ٢٦ وما بعدها . هارتلاند ، س . ، القانون البدائى (بالانجليزية) ، لندن ١٩٢٤
ميتوان ، ص ٨٥ وما بعدها . ادوارد ب . تايلور ، الانثروبولوجيا (بالانجليزية)
ثينكر لايبيريرى رقم ١٥ ، لندن ١٩٣٠ ، ج ٢ ، ص ١٤٥ . ريتشارد ثيرنوال
الاقتصاديات فى الجماعات البدائية (بالانجليزية) ، أكسفورد ١٩٣٢ ، مطبعة الجامع
ص ١٨٧ وما بعدها . أ . جولد نفايزر ، الانثروبولوجيا (بالانجليزية) ، نيويورك ١٩٦٦
كروفتس وشركاه ، ص ١٤٧ وما بعدها . وليم سيجل ، السابق ، ص ٥٣ . دايموت

السموات والارض (٥٧) . وجاء ايضا : « ما أفاء الله على رسوله من أهل
القرى فله وللرسول ولذی القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل کی لا
يكون دولة بين الاغنياء منكم . . . للفقراء المهاجرين . . . والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم . . . والذين جاءوا من بعدهم . . . » (٥٨) .

قال عمر بن الخطاب ان ما من واحد من المسلمين الا وله حق ، فهذه
الآية استوعبت الجميع . وامتنع عن تقسيم أرض السواد ، ورأى حبسها
على عامة المسلمين ، « فانا لو قسمناها بين من حضر لن يكون لمن بعدهم
شيء » . ان الارض تكون للمسلمين عامة يرثونها قرنا بعد قرن ، فتكون
قوة لهم على عدوهم . ورفض تقسيم الارض وقال : فكيف ممن يأتي من
المسلمين ، فيجدون الارض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء ؟ « ثم
جمع عمر الصحابة من المهاجرين والانصار فى اجتماع عام وقال : « أرأيتم
هذه الثغور ، لا بد لها من رجال يلزمونها . أرأيتم هذه المدن العظام ،

أ. س . ، القانون البدائي (بالانجليزية) ، ط ٢ ، لندن ١٩٥٠ ، وات وشركاه ، ص ٢٦٩
وما بعدها . اليزابيت كولسون ، هنود الماكاه ، منشستر ١٩٥٣ ، مطبعة جامعة منشستر
ص ١٦ . سيريل س . بيلشو ، ميلانيزيا المتغيرة (بالانجليزية) ، اكسفورد
١٩٥٤ ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ص ٧ . آدمسون هوبل ، قانون الانسان البدائي ،
ص ٢٨٦ . عبد الحميد متولى ، اصل نشأة الدولة ، مجلة القانون والاقتصاد ، القاهرة
١٩٤٨ ، السنة ١٨ ، ص ٦٥٣ (٧٠٧) ، والمفصل فى القانون الدستورى ، ج ١ ،
الاسكندرية ١٩٥٢ ، ص ٢٧٩ . صوفى حسن ابو طالب ، مبادئ تاريخ القانون ،
القاهرة ١٩٦٠ ، دار النهضة العربية ، ص ٦٢ - ٦٣ .

انظر ايضا فى الملكية الجماعية للارض لدى بعض الشعوب التى تعرف الكتابة ،
مثل المايا فى يوكاتان والمليزيين فى صوماترا : رالف ل . رويز ، الاصل الهندى لمستعمرة
يوكاتان (بالانجليزية) ، واشنطن ١٩٤٣ ، معهد كارنيجى فى واشنطن ، ص ٣٦ - ٣٧
فاى كوبر كول ، شعوب مليزيا (بالانجليزية) ، نيويورك ١٩٤٥ ، نوستراند ، ص ٢٥٥
أما مدرسة هنرى مين ، فترى ان التحول جرى من ملكية الاسر الى ملكية القرى :
هنرى مين ، القانون القديم (بالانجليزية) ، ١٨٦١ ، مكتبة أفريمان رقم ٧٣٤ (١٩٥٤)
ص ١٥٤ وما بعدها (خاص بالهند) . ر . س . راترى ، الاشانتى (بالانجليزية) ،
اكسفورد ١٩٢٣ ، مطبعة كلارندون ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ (خاص بالاشانتى) . ج . ج . تارد
تحولات القانون (بالفرنسية) ، ط ٦ ، باريس ١٩٠٩ ، ص ٧٢ وما بعدها ، ط الكان .
كما وقع عالم الانثروبولوجيا الامريكى روبرت لووى فى تناقض ، اذ لاحظ الملكية
الجماعية للارض عند الجماعات الاولى (راجع الهامش السابق) ، ثم زعم أن هذه
حالة خاصة ولاحقة : لووى ، المجتمع القديم (بالانجليزية) ، ط ٣ ، لندن ١٩٤٩ ،
راتليدج وكيجان ، ص ١٩٥ وما بعدها ، ص ٢٢٢ ، والملكية غير المادية فى المجتمع
البدائي (بالانجليزية) ، فى مجموعة : اوراق مختارة فى الانثروبولوجيا ، ط دييوا ،
بيركلى ولوس انجليس ١٩٦٠ ، مطبعة جامعة كاليفورنيا ، ص ٢٢٥ وما بعدها .
٥٧ - انظر الآيات المذكورة فى تمهيد هذا البحث .
٥٨ - سورة الحشر ، الآيات ٧ - ١٠ .

الشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ، لا بد من ان تشحن بالادار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الاموال والعلوج ؟ و صدر قرار الصحابة بالاجماع باعتبار ارض السواد لعامة المسلمين (٥٩) .

فوسيلة الانتاج الاساسية ، وهى الارض ، عرفا ودينا ليست ملكا

٤٨ - ملكية المنتج

تحددت القواعد الطبيعية فى شأن ملكية المنتج وفقا لاسس نستخلصها من الملاحظة المباشرة لحياة الجماعات الاولى ، طبقا لما به المنهج العلمى ، ولا نستنتجها من أية تصورات ذاتية .

فى مجتمع الالتقاط ، ان ما يلتقط المرء من الثمار والجذور ، يجمعه من الحشرات وصغار الحيوانات ، ينفرد به دون غيره . بيد الصيد الكبير الذى يحتاج الى تعاون نفر من الرجال ، يقسم عادة اعضاء الجماعة ولا يختص به الصياد ، وان كان يشرف على تقسيمه بيد بعد ان يحتفظ بأهم الاجزاء (٦٠) . كذلك ان الادوات الشخصية يصنعها كل امرئ ، مثل الحراب والنبال وقطع الزينة ، يختص صانعها (٦١) . ومع ذلك فان بعض الجماعات الاسترالية كانت تملك الاسلحة بصفة جماعية (٦٢) ، نظرا لاهميتها فى حالة الحرب ، وضرر لحفظ الجماعة .

فاذا تركنا جانبا هذه الاستثناءات ، ارتسم أمامنا المبدأ الاساسى للمنتج للمنتج .

٤٩ - استمر العمل بهذه القاعدة الطبيعية فى مرحلة الصيد والزرع البدائية : المنتج يستأثر به من أنتجه ، فردا كان أم مجموعة .

- ٥٩ - كتاب الخراج لابی يوسف ، مخطوط رقم ٣٦١٧ شرق بالمتحف البريطانى ص ١٧ - ١٩ ، وطبعة بولاق ١٣٠٢ هـ ، ص ١٤ - ١٥ ، والطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٢ هـ ، ص ٢٤ - ٢٦ . الاموال لابن سلام ، ط مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة (بيروت - دار صادر) ، ج ٢ ، ص ٢٧ . صحيح البخارى بشرح الكرمانى ، القاهرة ١٩٣٧ ، المطبعة المصرية ، ج ١٦ رقم ٣٩٥٦ ص ١٠٩ .
- ٦٠ - شابيرا ، الشعوب الخوصية ، ص ٧٧ و ١٢٧ وما بعدها و ١٤٧ - ١٤٨ . فوس البيئية والاقتصاد والمجتمع ، ص ٢٩ - ٣٠ .
- ٦١ - دايموند ، تطور القانون والنظام ، ص ٣٠ - ٣١ . شاكر مصطفى سليمان المدخل الى الانثروبولوجيا ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ٦٥ . وراجع : ش . ليتورنو ، الملك نشأتها وتطورها (بالانجليزية) ، لندن ١٨٩٢ ، سكوت ، ص ٢٦ و ٢٨ و ٣٦٥ .
- ٦٢ - ليتورنو ، السابق ، ص ٣٥ .

ففى مجتمع الصيد ، اذا اشترك اثنان فى صنع قارب صيد ، فهو يكون لهما (٦٣) . واذا تعاونت مجموعة فى استخدام القارب ، نزل معهم صاحبه ، يعمل كواحد منهم . ويحدد لكل شخص مكان فى القارب ، ودور فى العمل . فهذا يدير الدفة ، وذاك يحفظ الشباك ، وهذا يراقب الاسماك . ثم يشترك الجميع فى المنتج ، ولا ينفرد به من قدم القارب (٦٤) .

واذا ساهمت جماعة من الهنود الحمر فى معركة ، فالغنيمة توزع عليهم (٦٥) .

واذا تعاون عدة اسكيمو فى صيد الحيوان ، اقتسموا لحمه كل حسب جهده . فمن سدّد الضربة الاولى يأخذ افضل الاجزاء ، وصاحب الضربة الثانية يأخذ الاجزاء التالية ، وهكذا (٦٦) .

هذا ويمتلك الفرد ملكية شخصية الاشياء المخصصة لاستعماله الشخصى ، كالطعام والملبس والمركوب (الفرس) (٦٧) .

كذلك الامر فى مجتمع الزراعة البدائية . فقبائل الايروكوى من الهنود الحمر كانت تبني بيوتا طويلة من الخشب تتسع لعشرين زوجا من الرجال والنساء ، ويمتلك البيت على الشيوع وتخترن فيه أيضا على الشيوع المحاصيل من الغلال وغيرها التى ساهم الجميع فى انتاجها (٦٨) .

وبالمثل عند جماعات نافاهو فى بولينيزيا ، يعتبر المحصول الذى يساهم فى انضاجه جماعة من الاشخاص ينتمون لاسرة واحدة ، ملكا لهذه الاسرة ككل (٦٩) .

وعند قبائل ياكو فى نيجيريا ، اذا ساهم رجل وزوجته فى استخراج زيت النخيل ، فان المنتج يكون ملكا لهما مشاطرة (٧٠) .

على أن الادوات الشخصية لا زالت ملكا لصانعها ، ولهذا الاخير أن يهديها للغير . فعند جماعات كانيلا فى البرازيل ، تملك المرأة ما

-
- ٦٣ - لووى ، التنظيم الاجتماعى (١٩٦١) ، ص ١٤٤ .
٦٤ - برونسلاف مالىنوفسكى ، الجريمة والعرف فى المجتمع الوحشى (بالانجليزية) ، ط ٨ ، لندن ١٩٦٦ ، راتليدج وكيجان ، ص ١٧ وما بعدها .
٦٥ - لووى ، التنظيم الاجتماعى ، ص ١٤٥ .
٦٦ - لووى ، التنظيم الاجتماعى ، ص ١٤٦ .
٦٧ - اليس فليتشر ، وفرانسيس لافليش ، قبيلة اوماها ، السابق ، ص ٣٦٣ .
٦٨ - لويس مورجان ، المجتمع القديم ، طبعة ١٨٧٧ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ . ليتورنو ، الملكية (١٨٩٢) ، ص ٤٦ .
٦٩ - لووى ، التنظيم الاجتماعى ، ص ١٣٧ .
٧٠ - داريل فورد ، دراسات عن ياكو (بالانجليزية) ، لندن ١٩٦٤ ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ص ٣٢ .

تصنعه من أنية بنفسها ، وكذلك ما يصنعه لها زوجها من خشبي (٧١) .

ما برحت سنة الطبيعة على ما هي عليه : المنتج للمنتج كان أو مجموعة .

٥٠ - هذه هي القواعد الطبيعية ، افرزها ناموس الطبيعة في ما قبل ظهور الطبقات واشكال الحكومات والتشريعات الوضعية . ويراعى أن الطبقات أخذت في الظهور مع الانتقال الى الرعى والزراعة الراقية وتبلور الملكية الخاصة لوسائل الانتاج (٧٢) مرحلة الرعى والزراعة الراقية بدأت منذ حوالى عشرة آلاف سنة تاريخ البشرية يرجع على احوط تقدير الى نصف مليون سنة (٧٣) ثم فان القانون الطبيعى ، هذا العرف القاضى بأن المنتج للمنتج سائدا حوالى ٩٨ ٪ من تاريخ البشرية .

٥١ - الانسان والآلة

فاذا استخدم المنتج آلة كانت له حصة ، والآلة حصة . نعلم ذلك على الاخص من طريقة قسمة الغنيمة فى المجتمع القلدى كافة القبائل ، فى وقت لم تنشأ فيه بعد الحكومة الم

- ٧١ - لووى ، التنظيم الاجتماعى ، ص ١٤٣ .
٧٢ - راجع : ثروت انيس الاسيوطى ، مبادئ القانون ، القاهرة ١٩٧٤ ، دار العربية ، ج ١ ، نبذة ٣٢ ص ٥٠ وما بعدها .
٧٣ - يرجع الجيولوجيون ظهور الحياة على الارض الى حوالى ٢٠٠٠ مليون وقد تطورت الاحياء خلال هذه الازمنة الجيولوجية السحيقة ببطء شديد ، « الميوسين » ، منذ حوالى ٢٠ مليون سنة على أقل تقدير . أما الانواع البشرى تظهر سوى فى زمن « البلايستوسين » المعروف بعصوره الجليدية الاربعة ، ويحدها « جاوه » فى المناطق الاستوائية من آسيا ، الذى أقلت من حدة البرد الجليد الجهات الشمالية . و « انسان نياندرتال » وكان واسع الانتشار ، وقد عانى من القارس الناجم عن تراكم الجليد ، فأقام فى الكهوف ومارس نمط الحياة بالعصر الحجري القديم . و « الانسان العاقل » *homo sapiens* وينتشر الجنس البشرى الحالى ، ومن المحتمل الا يكون قد سيطر على الكرة الارضية خلال المائة الف سنة الاخيرة ، بعد أن انحسر الجليد عن اوروبا ومال المناخ العا الدفء ، فاستطاع أن يخرج من الكهوف ويعيش فى الغابات .
راجع : ليجروكلارك ، انسان ما قبل التاريخ ، فى الانسايكلوبيديا امريكا ج ١٨ ، طبعة ١٩٦٢ ، ص ١٨٥ . جين اوبنهايمر ، الحياة ، فى نفس الموسو ج ١٧ ، ط ١٩٦٢ ، ص ٤٦٤ ع ١ .
أيضا : موريتس هورنيس ، طبيعة الانسان وتاريخه القديم (بالألمانية) ولاييزج ١٩٠٩ ، هارتلين ، ج ١ ، ص ١٩٤ وما بعدها . محمد السيد غلاب ، الجنس البشرى ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٤٦ - ٧ وما بعدها وص ١٠٤ وما بعدها و ١٣٧ وما بعدها .

والخزانة العامة ، ونظام الرواتب ، كان أجر المحارب هو حصة فى الغنيمة .
هكذا لدى بنى اسرائيل (٧٤) ، وفى الهند البراهمانية (٧٥) ، واليونان
الهوميرية (٧٦) ، وروما الملكية (٧٧) ، والقبائل الجرمانية (٧٨) .

فاذا اشتركت آلة مع المحارب ، كانت له حصة ، وللآلة حصة . فمثلا ،
فى الهند القديمة ، كانت تستخدم فى الحرب عربات (٧٩) يجرها
جوادان (٨٠) . ويقف المحارب على العربة ، يقذف بالنبل السهام (٨١) ،
تبرق فى يديه بريق الاشياء عند انبلاج الاضواء ، حين تمس الهة الفجر
بأناملها الذهبية غلالة الظلام (٨٢) . ونظرا لاهمية الآلة ، كان ثلث
الغنيمة الموزعة على الجنود يجنب خصيصا للفرسان (٨٣) .

٥٢ - تضاربت الروايات حول سنة الرسول فى تقسيم الغنيمة ، حالة
اشتراك الآلة مع الانسان ، والآلة فى الحرب هى الفرس .

ففى رواية اولى ، عن مجمع بن جارية الانصارى ، أن الرسول فى
قسمة خيبر أعطى الفارس سهمين ، والراجل سهما (٨٤) . يأخذ الفارس
سهمين ، سهما عن نفسه ، وسهما عن الفرس . وهذا يعنى انه اذا اشترك
عنصران الانسان والآلة ، حصل كل منهما على حصة بالتساوى .

وفى رواية ثانية ، عن ابن عمر ، ان النبى ﷺ أسهم للرجل سهما ،
وللفرس سهمين . وهذا يعنى أن للآلة ضعف حصة الانسان . وقد ذهبت

-
- ٧٤ - سفر صمويل الاول ، ٣٠ - ٢٢ الى ٢٥ . سفر القضاة ، ٥ - ٣٠ .
٧٥ - ايتاريا براهمانا ، ٢ - ٢٥ . و . رو ، الدولة والمجتمع فى الهند القديمة
(بالمانية) ، فيسبادن ١٩٥٧ ، هاراسوفيتس ، ص ٥٩ - ٦٠ وص ١٠٣ .
٧٦ - هوميروس ، الياذة ، ١ - ١٢٥ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ . ٩ - ١٣٨ و ١٣٩ .
الاوديسا ، ٩ - ٤٠ الى ٤٢ .
٧٧ - ليفيوس ، التاريخ الرومانى ، ٥ - ٢٣ ، ٥ - ٥٤ .
٧٨ - قيصر ، حرب الغال ، ٦ - ٢٣ .
٧٩ - ريج - فيدا ، ١ - ١٧ - ٣ البيت ٥ - ١٠ - ١٧ - ٤ البيت ٢ - ١٠ - ١٨ - ٣ ،
البيت ١ - ٢ - ٤ - ٧ البيت ٤ - ٥ - ١١ البيت ٤ - ٦ - ٦ - ١٤ البيت ١ وما
بعده ٨ - ٢ البيت ٤ - ١٠ - ٨ - ٦ البيت ٩ . (طبعة ويلسون) .
٨٠ - ريج - فيدا ، ١٠ - ٨ - ٦ البيت ٩ .
٨١ - ريج - فيدا ، ٦ - ٦ - ١٤ البيت ١ وما بعده .
٨٢ - ريج - فيدا ، ١ - ١٤ - ٨ البيت ١ .
٨٣ - كان القائد عند قدامى الهنود يأخذ المربع أى ربع الغنيمة ، وتوزع الثلاثة أرباع
على الجنود ، ربع للفرسان ، وربعان لبقية المحاربين . ايتاريا براهمانا ، ٢ - ٢٥ .
وهذا يعنى أن الفرسان كانوا يحصلون على ثلث الغنيمة الموزعة على الجنود ، بعد
تجنب ربع القائد .
٨٤ - نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار لمحمد الشوكانى ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦١ ،
ط مصطفى البابى الحلبي ، ج ٧ ، ص ٢٩٩ .

غالبية كتب الحديث والسيرة الى هذه الرواية الثانية (٨٥) ،
بيد أن ابا حنيفة تمسك بالرواية الاولى وروايات اخرى مد
وساوى فى الحصص بين الانسان والآلة ، وقال انه يكره أن تفض
على المسلم (٨٦) .

ومثل ابي حنيفة فى تساوى حصة الانسان والآلة ، ذهب
الجعفرية (٨٧) ، وكذلك بعض المالكية (٨٨) .

والخلاصة فى كل ما تقدم بشأن العرف والدين ، ان وسيل
ملك الجماعة ، والمنتوج للمنتج فردا كان أو مجموعة ، ولكل ع
عناصر الانتاج حصة ، فاذا تواجد عنصران قسم المنتوج بينهما .

٥٣ - الكتاب الاخضر

يعود الكتاب الاخضر الى القواعد الطبيعية قبل ظهور
الاستغلال ، فيقول : اذا حللنا عوامل الانتاج الاقتصادى منذ القده
الان ، نجدها دائما تتكون حتما من عناصر انتاج اساسية ، وه
انتاج ، ووسيلة انتاج ، ومنتج . والقاعدة الطبيعية للمساواة هى
عنصر من عناصر الانتاج حصة فى هذا الانتاج ، لانه اذا سحب واحد
لا يحدث انتاج ، ولكل عنصر دور اساسى فى عملية الانتاج ، وبدون
الانتاج .

٨٥ - صحيح البخارى ، ط مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٣٤٥ هـ . ج ٤
صحيح مسلم ، ط عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج ٣ ، ص ١٢٨٣
ابى داود ، ط مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٥٢ ، ج ٢ ، ص ٦٩
الدارمي ، ط دهمان ، دمشق ١٣٤٩ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . المدونة
لمالك بن أنس ، ط مؤسسة الحلبي ، القاهرة ١٣٢٣ هـ . (بالاوفست) ، ج ٢ ،
السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم اليازجي وعبد
شلي ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٥ ، ط مصطفى البابى الحلبي ، ج ٢ ، ص ٣٥٠
ابن سعد ، طبعة بريل ، ليدن ، ج ١/٣ (١٩٠٤) ، ص ٧٣ ، وج ١/٢ (١٩٠٤)
ص ٨٣ . كتاب الخراج لابي يوسف ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ص ٢١ وما بعدها
نسب الخيل لابن الكلبي (م ٢٠٤ هـ) ، ط بريل ، ليدن ١٩٢٨ ، ص ٢ .

٨٦ - راجع فى رأى ابي حنيفة : رد المحتار على الدر المختار على متن تنوير
لابن عابدين ، القاهرة ١٢٩٩ هـ . طبعة بولاق ، ج ٣ ، ص ٣٢٣ . المحلى ل
الاندلسي ، ط المنيرية ، القاهرة ، ج ٧ ، نبذة ٩٥٠ ص ٣٣٠ . نيل الاوطار ل
السابق ، ج ٧ ، ص ٣٠٠ .

٨٧ - شرائع الاسلام فى مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلبي (ابو القاسم
الدين جعفر بن الحسن) (م ٦٧٦ هـ) ، ط النجف ١٩٦٩ ، مطبعة الاداب ،
ص ٣٢٤ : « يعطى للراجل سهمها ، والفارس سهمين ، وقيل ثلاثة ، والاول اضعاف
٨٨ - راجع : مذاهب الجليل لشرح مختصر الخليل ، لابي عبدالله محمد
(م ٩٥٤ هـ) ، طرابلس ، مكتبة النجاح ، ج ٣ ، ص ٣٧١ .

وما دام كل عنصر من هذه العناصر ضروريا واساسيا ، اذن هي متساوية فى ضرورتها فى العملية الانتاجية ، ولا بد أن تتساوى فى حقها فى الانتاج الذى انتجته ، وطغيان احدها على الاخر هو تصادم مع القاعدة الطبيعية للمساواة ، وتعد على حق الغير . اذن لكل عنصر حصة بغض النظر عن هذه العناصر ، فاذا وجدنا عملية انتاجية تمت بواسطة عنصرين فقط يصير لكل عنصر نصف الانتاج ، واذا تمت بثلاثة عناصر يصير لكل عنصر ثلث الانتاج وهكذا .

بتطبيق هذه القاعدة الطبيعية على الواقع القديم والمعاصر نجد الاتى : فى مرحلة الانتاج اليدوى تتكون عملية الانتاج من مواد خام وانسان منتج ، ثم دخلت وسيلة انتاج فى الوسط بحيث استخدمها الانسان فى عملية الانتاج ، ويعتبر الحيوان نموذجا لها كوحدة قوة . ثم تطورت هذه الوسيلة وحلت الالة محل الحيوان ، وتطورت انواع وكميات المواد الخام من مواد بسيطة رخيصة الى مواد مركبة وقيمة للغاية ، وتطور ايضا الانسان من عامل عادى الى مهندس وفنى ، ومن اعداد غفيرة من العاملين الى نفر قليل من الفنيين . بيد أن عناصر الانتاج وان تغيرت كيفيا وكميا لم تتغير فى جوهرها من حيث دور كل واحد منها فى عملية الانتاج وضرورته . فخام الحديد مثلا الذى هو احد عناصر الانتاج قديما وحديثا كان يصنع بطريقة بدائية ، ينتج منه الحداد يدويا سكينا او فاسا او رمحا ، والان نفس خام الحديد يصنع بواسطة افران عالية ينتج منه المهندسون والفنيون ، الآلات والمحركات والمركبات بأنواعها المختلفة . والحيوان الذى هو الحصان أو البغل أو الجمل وما فى حكمها ، والذى كان احد عناصر الانتاج ، حل محله الان المصنع الضخم والآلات الجبارة . والمواد المنتجة التى كانت ادوات بدائية اصبحت الان معدات فنية معقدة . ومع هذا فعوامل الانتاج الطبيعية الاساسية ثابتة جوهريا رغم تطورها الهائل ، وهذا الثبات الجوهرى لعناصر الانتاج يجعل القاعدة الطبيعية هى القاعدة السليمة التى لا مفر من العودة اليها فى حل المشكل الاقتصادى حلا نهائيا (٨٩) .

٥٤ - فالحل النهائى هو الغاء الاجرة ، وتحرير الانسان من

٨٩ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (١٩٧٨) ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

عبوديتها ، والعودة الى القواعد الطبيعية (٩٠) . فنظام الاجور العامل من أى حق فى المنتجات التى ينتجها ، سواء أكان الانتاج المجتمع ام لحساب منشأة خاصة (٩١) ، وهذا عين الاستغفال ، اذ السليمة أن الذى ينتج هو الذى يستهلك (٩٢) .

ان المنشأة الصناعية الانتاجية قائمة من مواد انتاج وآلات وعمال ، ويتولد الانتاج من استخدام آلات المصنع بواسطة العمال تصنيع المواد الاولية ، وهكذا فالمواد المصنعة الجاهزة للاستهلاك مرت بعملية انتاجية ما كان لتحصل لولا المواد الخام والعمال ، بحيث لو استبعدنا المواد الاولية ، لما وجد المصنع ما يصنعه استبعدنا المصنع لما تصنعت المواد الخام ، ولو استبعدنا المنتجين لما المصنع . فالعناصر الثلاثة فى هذه العملية متساوية الضرورة فى الانتاج وبدونها هى الثلاثة لما حصل انتاج ، وأى واحد منها لا يقيم القيام بهذه العملية الانتاجية بمفرده ، كما أن اى اثنين من هذه الثلاثة فى مثل هذه العملية لا يستطيعان القيام بالانتاج فى غياب الثالث . والقاعدة الطبيعية فى هذه الحالة تحتم تساوى حصص العوامل الثلاثة فى الانتاج ، اى أن انتاج مثل هذا المصنع يقسم الى حصص ، ولكل عنصر من عناصر الانتاج حصة ، فليس المهم المصنع ولكن المهم من يستهلك انتاج المصنع .

كذلك العملية الانتاجية الزراعية ، التى تتم بفعل الانسان والادوات دون استخدام وسيلة ثالثة ، هى مثل العملية الانتاجية الصناعية اليدوية تماما . فالانتاج فى مثل هذه الحالة يقسم الى حصتين فقط بعدد العاملين . أما اذا استخدمت وسيلة آلية أو ما فى حكمها للزراعة ، فالانتاج هنا يقسم الى ثلاث حصص : الارض ، والزارع ، والآلة التى استخدمها لعملية الزراعة .

وهكذا يقام نظام اشتراكى تخضع له كل العمليات الانتاجية قياسا هذه القاعدة الطبيعية (٩٣) .

-
- ٩٠ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٧
المؤتمر الصحفى للاخ العقيد حول جدول أعمال المؤتمرات الشعبية فى ٢٠ اكتوبر ١٩٧٧ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٢٥٥ ، عند ص ٢٥٩ .
- ٩١ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٩
٩٢ - الخطاب التاريخى للاخ العقيد معمر القذافى فى عيد العمال اول مايو ١٩٧٨ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٧٢٩ (٧٣٤) .
- ٩٣ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢٨٠/٢٧٩ .

٢ - طريق خلاص الجماهير

كيف يقام هذا النظام الاشتراكي ؟
بالزحف الثوري المقدس ، وتدمير مجتمع الاستغلال .

الزحف الثوري المقدس

٥٥ - نداء الزحف المقدس

ان احتمال قيام الثورة لتحقيق الاشتراكية يبدأ باستيلاء المنتجين على حصتهم من الانتاج الذى ينتجونه (١) . ادعو عمال الجماهيرية فى كل مكان من البلاد الليبية ، ان يزحفوا ليستولوا على المصانع ، والمنشآت الانتاجية ، وان يزيحوا الادارة البيروقراطية التابعة للقطاع العام الى الابد ، والادارة الاستغلالية التابعة للقطاع الخاص الى الابد . وان يقيموا على أنقاضها الادارة الشعبية . . . ادارة العمال . . . ادارة المنتجين ، لكى تتم السيطرة على المنشآت الانتاجية للمنتجين وحدهم بالكامل (٢) .

من الان يجب تطوير حق الاضراب عن العمل فى جميع انحاء العالم الى حق الاستيلاء على المنشآت الانتاجية ، وان يتحول العمال الى شركاء فى انتاجها وليس اجراء . . . وأن يستولوا على ادارتها بالكامل ، وعلى حصتهم فى الانتاج بالكامل . . . وأن يلغوا الاجرة الى الابد (٣) .

فالثورة هى اكتشاف القواعد الظالمة للمجتمع ، ثم التحرك العلنى لمداومة تلك القواعد (٤) . ان المكاسب التى تتحقق بفعل الثورة ، ان المكاسب التى تحققها الجماهير بثورتها هى مكاسب غير قابلة للانتزاع من الجماهير . أما المكاسب التى يتفضل بها على الجماهير فهى عرضة للنزع منها فى أى وقت (٥) .

لا بد أن يستمر الزحف .

-
- ١ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢٨٨ .
 - ٢ - البيان الثورى للاخ العقيد معمر القذافى فى العيد التاسع للثورة اول سبتمبر ١٩٧٨ ، ط امانة الاعلام والثقافة ، ص ٢٠ - ٢١ .
 - ٣ - البيان الثورى للعيد التاسع ، ط امانة الاعلام والثقافة ، ص ٢٤ . الكتاب الاخضر الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢٨٨ .
 - ٤ - ما سبق ، نبذة ٤٦ .
 - ٥ - الخطاب التاريخى فى عيد العمال اول مايو ١٩٧٨ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٧٣٩ .

لا احسان ... بل حق ..

« وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (٦) .

« والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » (٧) .
والحق يؤخذ عنوة ، بالنضال والثورة .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... » (٨) .

نظر النبي قبل وقعة بدر الى صفوف المسحوقين من المسلمين ،
وعبيد وفلاحين ، وقال : « اللهم انهم حفاة فاحملهم . اللهم انهم
فاكسهم . اللهم انهم جياع فاشبعهم » . ففتح الله يوم بدر فانقلبوا
انقلبوا وما منهم رجلا الا قد رجع بحمل أو حملين ، واكتسوا وشبعوا

كانت وقعة بدر نضالا طبقيا موجهها ضد التجار الوثنيين ،
به الطبقات المسحوقة حقها المعلوم من الطبقة المستغلة ..

ان الله طلب من الاغنياء على مدى عشر سنوات في الآيات
أن يتنازلوا عن الحق المعلوم للسائل والمحروم ، لكن الاغنياء صموا
في صلف ولا مبالاة .. فلم يبق سوى اخذ هذا الحق عنوة ... حتى
العريان .. ويشبع الجوعان ..

٥٦ - السلطة الشعبية المباشرة

ثم ماذا بعد الثورة .. ماذا عن السلطة ؟

هل يقيم العمال دكتاتورية الطبقة ؟ هل يعود المجتمع الى
القبيلة ؟

تقدم أن الاتحاد السوفييتي انهى دكتاتورية الطبقة ، وانتقل
دولة الشعب كله (١٠) .

يقول الكتاب الاخضر : ان اداة الحكم هي المشكلة السياسية
التي تواجه الجماعات البشرية .. ان كافة الانظمة السياسية في العالم
هي نتيجة صراع ادوات الحكم على السلطة صراعا سلميا او مسلحا كص
الطبقات أو الطوائف أو القبائل أو الاحزاب أو الافراد ، ونتيجته دائ

٦ - سورة الذاريات ، الآية ١٩ .

٧ - سورة المعارج ، الآيتان ٢٤ و ٢٥ .

٨ - سورة الانفال ، الآية ٦٠ .

٩ - طبقات ابن سعد ، طبعة بريل ، ليدن ، ج ١/٢ ، ص ١٣ . ايضا : كتاب المغا
للواقدي ، تحقيق جونز ، لندن ١٩٦٦ ، ج ١ ، ص ٢٦ .

١٠ - ما سبق ، نبذة ٢٤ .

فوز اداة الحكم : فرد أو جماعة أو حزب أو طبقة ... وهزيمة الشعب ..
أى هزيمة الديمقراطية الحقيقية .

ان المجالس النيابية هى العمود الفقرى للديمقراطية التقليدية الحديثة السائدة فى العالم ، والمجلس النيابى تمثيل خادع للشعب ، والنظم النيابية حل تليفى لمشكل الديمقراطية ، المجلس النيابى يقوم اساسا نيابة عن الشعب وهذا الاساس ذاته غير ديمقراطى ، لان الديمقراطية تعنى سلطة الشعب ، لا سلطة نائبه عنه .

لا نيابة عن الشعب .

ان الشعب فى الانظمة النيابية هو الفريسة المتصارع عليها ، وهو الذى تستغله وتستغله الادوات السياسية المتصارعة على السلطة لتنتزع منه الاصوات ، وهو واقف فى صفوف منتظمة صامتة تتحرك كالمسبحة لتلقى بأوراقها فى صناديق الاقتراع ، بنفس الكيفية التى تلقى بها أوراق اخرى فى صناديق القمامة ...

ان نظرية التمثيل النيابى نادى بها الفلاسفة والمفكرون والكتاب ، عندما كانت الشعوب تساق كالقطيع بواسطة الملوك والسلاطين والفاوتين وهى لا تدري ... وكان اقصى ما تطمع فيه الشعوب فى تلك العصور ، هو أن يكون لها ممثل ينوب عنها مع اولئك الحكام الذين كانوا يرفضون ذلك . ولهذا كافحت الشعوب مريرا وطويلا لتحقيق ذلك المطمع ... اذن لا يعقل الان بعد انتصار عصر الجمهوريات وبداية عصر الجماهير أن تكون الديمقراطية هى الحصول على مجموعة قليلة من النواب ليمثلوا الجماهير الغفيرة . انها نظرية بالية وتجربة مستهلكة . ان السلطة يجب أن تكون بالكامل للشعب (١١) .

٥٧ - يستطرد الكتاب الاخضر : وفقا للديمقراطية الحقيقية لا مبرر لطبقة أن تسحق بقية الطبقات من أجل مصالحتها هى ، ولا مبرر لحزب أن يسحق بقية الاحزاب لمصلحته ، ولا مبرر لقبيلة أن تسحق بقية القبائل لمصلحتها ، ولا مبرر لطائفة أن تسحق بقية الطوائف لمصلحتها .. ليس للديمقراطية الا اسلوب واحد ونظرية واحدة ... وما تباين واختلاف الانظمة التى تدعى الديمقراطية الا دليل على أنها ليست ديمقراطية ... ليس لسلطة الشعب الا وجه واحد ولا يمكن تحقيق السلطة الشعبية الا بكيفية واحدة .. وهى المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية (فلا ديمقراطية بدون

١١ - الكتاب الاخضر ، الفصل الاول ، الجريدة الرسمية ، السنة ١٥/١ ، ١٥ مارس ١٩٧٧ ، ص ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ .

مؤتمرات شعبية (واللجان فى كل مكان (١٢) .

وجاء فى اعلان قيام سلطة الشعب : « ان الشعب العربى اللبى يؤكد سير الثورة الزاحفة . . . نحو السلطة الشعبية الكاملة ، وتثبيته الشعب القائد والسيد الذى بيده السلطة وبيده الثروة وبيده السلاح الحرية ، وقطع الطريق نهائيا على كافة انواع ادوات الحكم التقليدى الفرد والعائلة والقبيلة والطائفة والطبقة والنيابة والحزب وملاحزاب ، ويعلن استعداداه لسحق اى محاولة مضادة لسلطة سحقاتاما .

ان الشعب العربى اللبى وقد استرد بالثورة زمام امره ، مقدرات يومه وغده ، مستعينا بالله متمسكا بكتابه الكريم ابدا للهداية وشرعية للمجتمع ، يصدر هذا الاعلان ايذانا بقيام سلطة الشعب ويبشر شعوب الارض بانبلاج عصر الجماهير . .

(ثالثا) السلطة الشعبية المباشرة هى اساس النظام السياسى الجماهيرية العربية اللببية الشعبية الاشتراكية ، فالسلطة للشعب وللسواه ، ويمارس الشعب سلطته عن طريق المؤتمرات الشعبية والشعبية والنقابات والاتحادات والروابط المهنية ومؤتمر العام « (١٣) .

٥٨ - وما كل ذلك الا تطبيق لآية الشورى فى القرآن الكريم (« فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » (١٥) .
« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم بينهم » (١٦) .

١٢ - الكتاب الاخضر ، الفصل الاول ، الجريدة الرسمية ، السنة ١/١٥ ، ص ٥٥ . انظر ايضا كلمة الاخ العقيد معمر القذافى فى الجلسة الختامية الشعب العام فى دور انعقاده الثانى ٢٤ نوفمبر ١٩٧٦ ، السجل القومى ، المجلد ٣٨٣ وما بعدها . حديث الاخ العقيد حول اعلان قيام سلطة الشعب ديسمبر ١٩٧٦ ، السجل القومى ، المجلد ٨ ، ص ٤٠٤ . كلمة الاخ العقيد فى الختامية لمؤتمر الشعب العام فى دورته الاستثنائية فى ٢ مارس ١٩٧٧ ، السجل القومى ، المجلد ٨ ، ص ٤٨٦ . كلمة الاخ العقيد فى افتتاح الندوة الفكرية قاريونس فى ٦ ابريل ١٩٧٧ ، السجل القومى ، المجلد ٨ ، ص ٦١٧ .

١٣ - الجريدة الرسمية ، السنة ١/١٥ (١٩٧٧) ، ص ٦٦ - ٦٧ .

١٤ - خطاب الاخ العقيد معمر القذافى فى الاحتفال الدينى بمسجد مولاي بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف ، ١٩ فبراير ١٩٧٨ ، السجل القومى ، ص ٤٥٩ (٤٦٣) .

١٥ - سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

١٦ - سورة الشورى ، الآية ٣٨ .

فالشورى فى هاتين الآيتين مسندة الى كافة المؤمنين ، لا الى اية فئة
ارستقراطية أو نيابية (١٧) .

ان السلطة فى الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية هى
بالكامل ملك الجماهير ، تمارسها بالكامل عن طريق المؤتمرات الشعبية
واللجان الشعبية . . . الجماهير المنتظمة فى المؤتمرات الشعبية . . . هى
صاحبة السلطة ، كل السلطة ، ولا سلطة لسواها . لها وحدها حق القرار ،
لها وحدها حق اصدار القوانين ، لها وحدها سلطة تشكيل اللجان الشعبية
فى كل مكان من الجماهيرية ، من لجان المحلات حتى اللجنة الشعبية
العامة . انها وحدها سلطة اختيار امانات المؤتمرات ، من المؤتمرات
الاساسية حتى الامانة العامة ، ولها وحدها سلطة حلها واعادة النظر فى
اعضاءها (١٨) . والعمال فى زحفهم يزيحون الادارة البيروقراطية التابعة
للقطاع العام ، والادارة الاستغلالية التابعة للقطاع الخاص ، وقيمون على
أنقاضها الادارة الشعبية ، ادارة المنتجين (١٩) .

فالسلطة للجماهير .

تدمير مجتمع الاستغلال

٥٩ - علاقات الانتاج الظالمة

بيد أن السلطة الشعبية المباشرة لا تثبت الا بتغيير علاقات الانتاج .

ان الثورة التى تكتشف العلاقات الظالمة للانتاج ، تكتشف العلاقات
الظالمة بين الناس وتقضى عليها هذه هى الثورة . أما أية حركة تقف عند
انتزاع الكراسى من مالكيها ، وتقف عند استبدال الشعارات بغيرها ،
وتترك اسس المجتمع الظالم الاستغلالي باقية كما هى ، فهذه حركة فاشية
انقلابية ذات مغزى محدود ، وليس لها اثر فى حركة التاريخ ، فى حياة
الانسان (٢٠) .

١٧ - راجع : جامع البيان للطبرى ، ط دار المعارف بمصر ، ج ٧ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
١٨ - البيان الثورى للأخ العقيد معمر القذافى فى العيد التاسع للثورة اول سبتمبر
١٩٧٨ ، ط أمانة الثقافة والاعلام ، ص ١٤ - ١٥ .
١٩ - البيان الثورى فى العيد التاسع للثورة ، ط أمانة الثقافة والاعلام ، ص ٢٠ - ٢١ .
٢٠ - الخطاب التاريخى فى عيد العمال اول مايو ١٩٧٨ ، السجل القومى ، المجلد
٩ ، ص ٧٢٩ (٧٣٢) .

وجوهر علاقات الانتاج الظالمة هو نظام الاجرة . رب العمل أن يتأله ، ويصبح ربا على الارض ، ومعه عبيد ، يسجدون له . . . أن يحافظ على ثروته ويبقى رب عمل ، ويبقى رأسماليا ، ويبقى مقوت وتبقى الناس محتاجة اليه حتى يسيطر عليها . فاذا قمت عليه بالثور أجل المساواة معه ، يقول لك : لا . . . استغفر الله ، الاسلام قد حرده أموالكم وعرقكم .

بينما مال الرأسمالى هو مال الفقراء ، اذن المال المحرم هو الرأسمالى ، لان الرأسمالى أخذ مال الفقراء وأصبح به غنيا . ار يشغل العامل عشر ساعات ، ويعطيه خمس ساعات ، انما يسرق منه ساعات ، اليس هذا هو الذى يعنيه الله فى قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بالباطل) . انهم يعكسون الآية ، ويصبح أكل رزق العامل الذى ببناء كل شىء هو الحلال . واذا طالب العامل بحقه فى انتاجه ، ويأنا خدمت عشر ساعات ، اعطونى انتاج عشر ساعات . يقولون له هذه هى الاشتراكية ، هذا كفر ، هذا حرام . هكذا استغل الاسلام للناس حتى تخلفنا بهذا الشكل (٢١) .

ان المجتمع الجديد لن يتحقق الا بالغاء رب العمل ، والغاء الامتياز وتحرير الانسان من عبوديتها (٢٢) .

ان احتمال قيام الثورة لتحقيق الاشتراكية يبدأ باستيلاء المنتجين حصتهم من الانتاج الذى ينتجونه . . . اما الخطوة النهائية فهى و المجتمع الاشتراكى الجديد الى مرحلة اختفاء الربح والنقود ، وبتحويل المجتمع الى مجتمع انتاجى بالكامل وبلوغ الانتاج درجة الحاجات المادية لافراد المجتمع ، وفى هذه المرحلة النهائية يختفى تلقائيا وتنعدم الحاجة للنقود .

ان الاعتراف بالربح هو اعتراف بالاستغلال ، اذ أن مجرد الاعتراف به لا يجعل له حدا يقف عنده . اما اجراءات الحد منه بالوسائل المادية فهى محاولات اصلاحية وغير جذرية لمنع استغلال انسان لانسان .

ان الحل النهائى هو الغاء الربح (٢٣) .

٢١ - خطبة عيد الاضحى للاخ العقيد معمر القذافى فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٨ ، ط ١ ، الثقافة والاعلام ، ص ١٤ - ١٥ . ايضا : لقاء الاخ العقيد بأساتذة وطلبة كلية الفقه فى جامعة قاربيونس فى ديسمبر ١٩٧٨ .

٢٢ - البيان الثورى فى العيد التاسع للثورة ، ط أمانة الثقافة والاعلام ، ص ١٧

٢٣ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (١٩٧٨) ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

٦٠ - الاعمال التجارية والربح

تعرف القوانين الرأسمالية مفهوم التاجر . والتاجر فى نظر القانون هو من يقوم بالاعمال التجارية ويتخذها حرفة معتادة له ، فصاحب المصرف تاجر ، ومالك المصنع تاجر ، وصاحب المتجر تاجر (٢٤) . والاعمال التجارية على كثرة ما قيل من تعاريف ، وما وضع من معايير ، وما ابتدع من نظريات ، انما تسعى فى جوهرها الى انتهاز فرص المجتمع لتحقيق اكبر ربح ممكن للتاجر .

خذ مثالا قضية دودج ضد فورد التى عرضت على القضاء الامريكى ١٩١٩ . فى هذه القضية كان فورد رئيسا لمجلس ادارة الشركة ، وكان قد قرر ايقاف توزيع الارباح واستغلالها فى توسيع اعمال الشركة ، لايجاد عمل للعمال وتخفيض سعر السيارة ، حرصا على مصلحة المستهلكين وتحقيقا للمصلحة العامة . كانت الشركة تربح ارباحا طائلة واحوالها المالية على ما يرام .

غير أن فورد - كما قالت المحكمة العليا لمتشجان فى هذه القضية - كان يسعى الى تحويل الشركة الى شبه جمعية خيرية ، وكان يرغب فى أن يشرك العمال والجمهور فى الاستفادة هم ايضا من ارباح الشركة . طبقت المحكمة فكرة الربح الانانية ، فقالت ان الهدف الاول لشركة المساهمة هو مصلحة المساهمين وألزمت مجلس الادارة بتوزيع الارباح عليهم (٢٥) .

حددت المحكمة فى هذه القضية بوضوح تام المفهوم الرأسمالى لفكرة الربح ، وهى المصلحة الانانية للتاجر ، تطغى على مصلحة جماهير المستهلكين والمنتجين .

٦١ - التجارة وشجبها عبر التاريخ

ما قبل الاسلام

اقتترنت التجارة عبر التاريخ بالغش والخداع ، والسعى وراء المال . وفى الهند القديمة ، كان التاجر يتضرع الى الاله اندرا ، ليتمكنه من زيادة الصفقات ، وتذوق طعم الثراء . ويتوسل الى الاله اجنى قائلا : اعطنى

٢٤ - انظر على سبيل المثال المادتين ١ و ٢ من قانون التجارة المصرى لسنة ١٨٨٣ ، والنصوص المقابلة فى : القوانين التجارية العربية الاخرى .

٢٥ - دودج ضد فورد موتور كومبانى ، المحكمة العليا فى متشجان ، ١٩١٩ ، مجموعة احكام متشجان ، ج ٢٠٤ ص ٤٥٩ ، وأمريكان لوريبورتس ، ج ٣ ص ٤١٣ ، ونورث ايسترن ، ج ١٧٠ ص ٦٦٨ .

يا الهى أموالا بسخاء ، كما أغدق عليك المديح بلا حساب (٢٦) .
كانت التجارة والغش صنوين لا يفترقان ، فلا يشترط التوا
المبيع والمقابل . ان الكاهن البراهمن يقدم الذبيحة الى الالهة ، و
منهم جزيل العطاء ويقول : حقا يا آلهة ، ان ما اقدمه من ذبيحة أقل
مما انتظره منكم ، لكن هكذا الحياة . فاذا اتفق شخصان على مقياض
ثمين بأخر حقير ، فهما يلتزمان بتنفيذ الصفقة ، ولو خالطه
والتدليس ، او استغلال حاجة الضعيف (٢٧) .

وفى روما القديمة ، سبعة قرون قبل الميلاد ، اقام الملك نوم
الى آلهة الصدق Foi ، ليعلم الناس احترام العهد ، ويد
الى الثقة فى التعامل (٢٨) . كان التجار منذ القرن الخامس ق م .
فى معبد الاله مركوريوس ، واسمه مشتق من كلمة merces ،
السلع ، فهو حامى حمى التجار (٢٩) . اتخذ المعبد مقرا لزمالة الف
وحضر الكاهن الاعظم حفل الافتتاح (٣٠) .

كان التاجر كل صباح يغرف الماء المقدس من بئر المعبد ، في
وجهه ، ويرش سلعه ، ويصفف شعره ، ثم يؤدى الصلاة . وبصوت
الغش يقول : يا اله مركوريوس ، اغفر لى ما فات من اثم ، وما س
كذب ، ليحمل النسيم كلماتى الخاطئة . اعف ايضا عن خداعى الم
عسى الالهة لا تلاحظه . امنحنى ربها وفيرا ، اعطنى سعادة ك
اجعلنى افرح كل مرة اخدع فيها المشتري بعبارات معسولة . ا
يبتسم الاله مركوريوس فى أعالى السماء ، ويتذكر كيف سرق هو ماشي
أبولو (٣١) . . ؟ ؟

فالتجارة القائمة على الغش ، يحميها اله لص .

وعند عرب الجاهلية ، كان التجار يسيطرون على البيت الح
حيث الاوثان قابضة للالهة الصامتة ، جالبة الحجاج ، ومر

-
- ٢٦ - اتارفا - فيدا ، ٣ - ١٥ .
٢٧ - ريج - فيدا ، ٤ - ٣ - ٣ ، البيت ٩ (طبعة ويلسون) .
٢٨ - ليفيوس ، التاريخ الرومانى ، ١ - ٢١ . ديونيس ، تاريخ روما
٢ - ٧٥ .
٢٩ - فيسوبا ، ديانة وطقوس الرومان (بالالمانية) ، ط ٢ ، ميونخ ١٩١٢ ،
ص ٣٠٥ .
٣٠ - ليفيوس ، التاريخ الرومانى ، ٢ - ٢٧ .
٣١ - اوفيد ، فاست ، ٥ - ٦٧٣ وما بعده .

التجارة (٣٢) . وكان الغش والخداع اسرع سبيل للثراء ، يستخدم التجار مكيالين ، الواحد يزيدون به اذا اشتروا ، والاخر ينقصون به اذا باعوا (٣٣) ومتى جمعوا المال ، شغلوه فى الربا ، واذا عجز المدين عن الوفاء ، بيع عبدا للمرابى (٣٤) .

٦٢ - فلا عجب أن تلتقى الاديان مع الفلاسفة فى تحريم التجارة . حظر بوذا على اتباعه ممارسة التجارة ، ونهى عن جمع المال (٣٥) . نظر أرسطو الى التجارة على أنها سبيل لجمع المال ، وطريق ليكسب الناس بعضهم من بعض . ورأى أن العدالة تحرمها ، لمخالفتها للطبيعة . واعتبر ابشع صورها الربا ، حيث يغدو المال ذاته اداة للكسب ، بدلا من أن يكون وسيلة لتبادل السلع . فالفوائد دخل لا يقابل عملا ، فى حين أن « النقود لا تلد النقود » (٣٦) .

اقتحم السيد المسيح بمفرده معبد اليهود ، وصاح فى التجار المجتمعين : لقد جعلتم من بيت الصلاة مغارة لصوص . ثم قلب موائد الصيارفة ، وكراسى باعة الحمام (٣٧) والبقر والغنم . وصنع سوطا من الحبال ، وانهاه على التجار بالسوط ، حتى طرد الجميع من المعبد (٣٨) هذا هو المسيح الوديع المتسامح ، الذى قال : من لطمك على خدك

-
- ٣٢ - سيرة ابن هشام ، طبعة جوتنجن ١٨٥٩ ، ج ١ ، ص ٧١ وما بعدها . الاصمعى (عبد الملك بن قريب) (٢١٧هـ) ، تاريخ ملوك العرب الاولى ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، نشر بعنوان تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ١٩٥٩ ، منشورات المكتبة العلمية ، ص ٨٦ وص ٩٥ - ٩٦ . طبقات ابن سعد ، طبعة برييل ، ليدن ، ج ١/١ ، ص ٣٨ . تاريخ الطبرى ، طبعة القاهرة ١٩٣٩ ، ج ٢ ، ص ١٥ وص ٣٧ وما يليها . المسعودى ، مروج الذهب ، القاهرة ١٩٥٨ ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ٥٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، القاهرة ١٩٣٢ ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ وما بعدها .
- ٣٣ - كتاب المغازى للواقدي ، طبعة لندن ١٩٦٦ ، ج ٢ ، ص ٦٣٦ - ٦٣٧ . وهو ما حظره القرآن الكريم : « ويل للمطففين . الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . الا يظن اولئك انهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » . سورة المطففين ، الآيات ١ - ٦ . وانظر : جامع البيان للطبرى ، طبعة البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ٣٠ ، ص ٩١ . أسباب النزول للنيسابورى ، القاهرة ١٣١٥ هـ ، مطبعة هندية ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .
- ٣٤ - طبقات ابن سعد ، طبعة ليدن ، ج ٢/٣ ، ص ١٢٣ .
- ٣٥ - انظر فى تحريم القجارة : مها - بارينبانا - سوتانتا ، ١ - ٧ .
- ٢ - وفى النهى عن جمع المال : تيفيجا - سوتا ، الفصل الثانى : كولا - سيلام ، ٩ - ١٠ ، والفقرات الطويلة عن السلوك ، ٣ - ٥ . مها - فجا ، ١ - ٥٦ . باتيموكا ، فصل : نيساجايا - باكيتيا - دما ، ١٨ . دما - بادا ، ٥ - ٦٢ ، ٦ - ٨٤ ، ٢٤ - ٣٤٥ .
- ٣٦ - أرسطو ، السياسة ، الكتاب الاول ، الفصل ١١ ، ١٢٥٨ ب .
- ٣٧ - مرقس ، ١١ - ١٧ . لوقا ، ١٩ - ٤٥ .
- ٣٨ - يوحنا ، ٢ - ١٤ الى ١٦ .

الايمن ادر له الخد الايسر ، من اخذ منك الثوب اعطه الرداء ايضا
سار معك ميلا سر معه ميلين (٣٩) . . ها هو يحمل السوط ، لي
التاجر اللص . .

فالبقاء على حفنة من التجار ، معناه التضحية بكل الشعب

٦٣ - شريعة القرآن

لم يكن الاسلام راضيا عن التجار . فكبار التجار ، مثل الوليد
المغيرة وأمّية بن خلف وأبو سفيان بن حرب ، قاوموا الدعوة على
ثمانى عشرة سنة الى عام الفتح (٤٠) . التجار همهم جمع المال ، و
يحظر كنز المال (٤١) .

نزلت آيات شجب التجارة على مراحل كما هو معلوم .

بدأت الآيات المكية تأمر التجار بعدم الغش فى الموازين :

« وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » (٤٢) .

« وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و
تأويلا » (٤٣) .

لقد رفع الله السماء فوق الارض ، واقام العدل ، فلا تظلموا وتب
فى الوزن (٤٤) :

« والسماء رفعها ووضع الميزان . الا تظفوا فى الميزان . واق
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (٤٥) .

تذكروا عدالة الله فى اليوم الاخر ، حين تقام الموازين وت
الحسنات والسيئات (٤٦) :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان

٣٩ - متى ، ٥ - ٢١ الى ٤٥ .

٤٠ - اشار القرآن الكريم الى ان المترفين قاوموا الدعوة . سورة الزخرف ،
٢٣ . وانظر : جامع البيان للطبرى ، ط البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج
ص ٦١ . الكامل فى التاريخ لابن الاثير ، ط المنيرية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ج
ص ٤٧ - ٤٨ . سيرة ابن هشام ، ط مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٣٦ ، ج
ص ٥٠ وما بعدها . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، طبعة عيسى البابى الحلبى
القاهرة ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

٤١ - انظر على الاخص : سورة التوبة ، الآيتين ٣٤ و ٣٥ .

٤٢ - سورة الانعام ، الآية ١٥٢ .

٤٣ - سورة الاسراء ، الآية ٣٥ .

٤٤ - جامع البيان للطبرى ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ٢٧ ، ص ١١٨ .

٤٥ - سورة الرحمن ، الآيات ٧ - ٩ .

٤٦ - جامع البيان للطبرى ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ٢٧ ، ص ٣٣ .

مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين « (٤٧) •

فالايات المكية كثيرة تهاجم التجار وتطالب بالكف عن الاستغلال ،
وتكرارها يدل على عناد التجار وعدم جدوى الانذار • لذا توالى نزول
الايات تتدرج فى الشدة والشجب •

ذكر القرآن الكريم ان خير تجارة هى الايمان بالله ، والانفاق فى
سبيل الله ، اما تجارة الحياة الدنيا فهى لا تنجى من عذاب اليم • ورد ذلك
فى الايات المكية :

« ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور « (٤٨) •
وازداد المعنى وضوحا فى الايات المدنية :

« يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم •
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون « (٤٩) •

ثم حذر القرآن الكريم من استغلال الناس ، واخذ اموالهم دون
رضاهم ، تحكما فى حاجتهم الى السلع ، وهدد التجار بنار الجحيم :

« يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون
تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا • ومن
يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا « (٥٠)
ان التجارة يخالطها الربا • ويقول تعالى :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان
من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون « (٥١) •

قال القرطبى فى تفسير هذه الآية :

٤٧ - سورة الانبياء ، الآية ٤٧ •

٤٨ - سورة فاطر ، الآية ٢٩ •

٤٩ - سورة الصف ، الآيتان ١٠ و ١١ •

٥٠ - سورة النساء ، الآيتان ٢٩ و ٣٠ • جامع البيان للطبرى ، ط دار المعارف بمصر ،

ج ٨ ، ص ٢٣٠ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ، مطبعة دار الكتب المصرية ،

القاهرة ١٩٥٧ ، ج ٥ ، ص ١٥٧ •

٥١ - سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ •

« وإذا ثبت أن البيع عام فهو مخصص بما ذكرناه من الربا وغيره مما نهى عنه ومنع العقد عليه .. »

« قوله تعالى (وحرّم الربا) الالف واللام هنا .. تتناول ما رسول الله ﷺ ونهى عنه من البيع الذى يدخله الربا وما معناه من المنهى عنها » (٥٢) . فكل بيع يدخله ربا منهى عنه ، وجزاؤه نار .

ثم تشدد القرآن الكريم تجاه التجار ، فجعل التجارة واللهو س يفضل عليهما ما يقسمه الله سبحانه من رزق فى الدنيا ، وثواب فى الآخرة . كانت المناسبة أن التجار اذ قام فيهم النبى خطيبا ، تركوه وانصرفوا تجارتهم حينما اقدمت قافلة ، فأنزل الله سبحانه :

« وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عندى خير من الله ومن التجارة والله خير الرازقين » (٥٣) .

ثم بلغ القرآن الكريم منتهى الشجب للتجارة فاعتبرها من الفساد لما جبل عليه التجار من جمع المال :

« قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واقتربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » (٥٤) .

ورد ذلك فى سورة التوبة ، وهى السورة نفسها التى حظرت اكتساب المال :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فعدوا بعباد الله يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (٥٥) .

٦٤ - موقف الرسول

طلب رسول الله من التجار أن يتنازلوا عن رأسمالهم .

كان عثمان بن عفان تاجرا ثريا ، وكان رسول الله يطلب منه الفقراء والانفاق فى سبيل الله ، فيفعل مرة ، ويمسك أخرى .

-
- ٥٢ - الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، الطبعة السابقة ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ و ٣٥٨ -
٥٣ - سورة الجمعة ، الآية ١١ . والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، ج ١٨ ، ص ٥٤ - سورة التوبة ، الآية ٢٤ .
٥٥ - سورة التوبة ، الايتان ٣٤ و ٣٥ .

تصدق عثمان يوما فقال له اخوه فى الرضاعة ، عبدالله بن ابي سرح :
« ما هذا الذى تصنع ، يوشك أن لا يبقى لك شيئا ؟ » فقال عثمان : « ان
لى ذنوبا وخطايا ، وانى اطلب بما اصنع رضا الله سبحانه وتعالى وارجو
عفوہ » . فقال له عبدالله : « اعطنى ناقتك برحلتها ، وانا اتحمل عنك
ذنوبك كلها » . فأعطاه عثمان ناقته أمام شهود ، وامسك عن بعض ما كان
يصنع من الصدقة ، فأنزل الله تبارك وتعالى :

« أفرأيت الذى تولى . واعطى قليلا واكدى » - أى انقطع عطاؤه -
« أعنده علم الغيب فهى يرى . . لا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان
الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى . وأن الى ربك
المنتهى » (٥٦) .

كان رسول الله يطلب التنازل عن الثروة التجارية بأكملها ، لا يجتزىء
ببعضها ، ولا يكتفى بأكثرها .

فلما كانت غزوة تبوك ، جهز عثمان المسلمين بألف بعير وفرس ،
فنزلت الآية :

« الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا
اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٥٧) .

٦٥ - يتأكد موقف الرسول فى مطالبة التجار بالتنازل عن رأسمالهم ،
بما كان منه مع عبد الرحمن بن عوف ، كما ورد فى طبقات ابن سعد
والمستدرك للنيسابورى والمصادر الاخرى .

جاء عبد الرحمن بن عوف الى النبى عليه السلام بأربعة آلاف درهم
صدقة ، فقال : « كان عندى ثمانية آلاف درهم ، فأمسكت منها لنفسى
ولعيالى اربعة آلاف درهم ، وأربعة آلاف اقترضتها ربي » . فقال رسول
الله ﷺ : « بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت » (٥٨) .

ثم قال رسول الله لعبد الرحمن بن عوف : « يا ابن عوف انك من
الاغنياء ، ولن تدخل الجنة الا زحفا . فأقرض الله يطلق لك قدميك » .

٥٦ - سورة النجم ، الآيات ٣٢ - ٣٥ و ٣٨ - ٤٢ . اسباب النزول للنيسابورى ، ص ٢٩٨ .
الكشاف للزمخشري ، ط بولاق الثانية ١٣١٩ هـ ، ج ٣ ، ص ١٤٦ . الجامع
لاحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، ج ١٧ ، ص ١١١ .
٥٧ - سورة البقرة ، الآية ٢٦٢ . اسباب النزول للنيسابورى ، ص ٦١ . مفاتيح الغيب
للفخر الرازى ، ط ١٣٢٤ هـ ، الحسينية ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ . تفسير الخازن
وبهامشه البغوى ، ط التجارية ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٣٩ . الجامع لاحكام القرآن
للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ .
٥٨ - اسباب النزول للنيسابورى ، ص ٦١ .

قال ابن عوف : « وما الذى اقترض الله ، يا رسول الله » ؟ قال :
بما امسيت فيه . قال : « أمن كله اجمع يا رسول الله » ؟
« نعم » (٥٩) .

هكذا طلب رسول الله من عبد الرحمن بن عوف أن يتنازل عن
كلها للفقراء . ألم يرد فى كتاب الله فى السورات المدنية : « من ذا
يقترض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط
ترجعون » (٦٠) .

لكن الرسول لم يلح على ابن عوف أكثر من ذلك فى المرة الأولى
إذ جاء فى طبقات ابن سعد والمصادر الأخرى : « فخرج ابن عوف و
بذلك (أى بتوزيع أمواله على الفقراء) ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ
أن جبريل قال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط
ويبدأ بمن يعول فإنه إذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه » (٦١) .

ثم عاد الرسول يلح على ابن عوف مراراً ، كما هو واضح من
الرواية :

« قدمت غير لعبد الرحمن بن عوف . . . فكان لاهل المدينة
رجة . فقالت عائشة : « ما هذا ؟ » قيل لها : « هذه غير عبد الرحمن
عوف قدمت » . فقالت عائشة : « أما انى سمعت رسول الله ﷺ يقول
بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل به مرة ويستقيم أخرى حتى
ولم يكذ . . » . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف ، فقال : « هى وما
صدقة » . وما كان عليها افضل منها . . . وهى يومئذ خمر
راحلة » (٦٢) .

هكذا تنازل عبد الرحمن بن عوف عن رأسماله وفق طلب الرسول

٦٦ - النظرية العالمية الثالثة

تستمد النظرية العالمية الثالثة أسسها من شريعة القرآن الكريم

٥٩ - طبقات ابن سعد ، ط ليدن ، ج ١/٣ ، ص ٩٣ . المستدرك على الصحيح
فى الحديث للنيسابورى ، ط الرياض ، مكتبة النصر الحديثة ، ج ٣ ، ص ٣١١
الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم الأصبهاني ، ط بيروت ، ج ١ ، ص
٦٠ - سورة البقرة ، الآية ٢٤٥ .

٦١ - طبقات ابن سعد ، ط ليدن ، ج ١/٣ ، ص ٩٣ . المستدرك على الصحيح
الحديث للنيسابورى ، ج ٣ ، ص ٣١١ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني
ج ١ ، ص ٩٩ .

٦٢ - طبقات ابن سعد ، ط ليدن ، ج ١/٣ ، ص ٩٣ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
للأصبهاني ، ج ١ ، ص ٩٨ .

البضاعة يجب أن تكون ملكا للشعب ، يبيعها بنفس القيمة التي اشتراها بها ، دون أن يبحث عن الربح . ان ٤٥ الف تاجر لا ينتجون ، لكن هذا العدد يأكل ويشرب من أين ؟ يقولون نحن نأكل ونشرب من كسب متاجرنا . . . لا ، ان مكسب المتجر ليس هو الذى يؤكل التاجر ويشربه ، ان ما يأكله التاجر هو من انتاج المزارع ، وما يلبسه هو من انتاج الصانع ، ثم انه يخدمه اناس يعملون فى الكهرباء والمستشفيات وفى التعليم والطرق وفى كل مكان . . . الناس تعرق وتتعب ، والتاجر يأكل ويشرب . . . التاجر يكسب دون انتاج ، ويستهلك ما ينتجه الآخرون (٦٣) .

ان مشكلة الربح لن تعود . . . لن يكون هناك احد يبيع السلعة ويضاعف ثمنها ويستغل المستهلك من اجل الربح . . ان النظام الجماهيرى قصده اشباع الحاجات ، والتجارة الحرة فى حكم الملغاة . . (٦٤) .

ان ظاهرة التجارة ستختفى بقوانينها باعتبارها ظاهرة استغلالية افرزها النظام الرأسمالى ، وستحل محل تلك الظاهرة الجمعيات التعاونية والاسواق العامة (٦٥) .

انه يتعين تدمير مجتمع الاستغلال ، مجتمع الربح مجتمع الذهب والنقود ، مجتمع السادة والعبيد ، مجتمع الاجرة ، مجتمع الاجراء ، مجتمع الخدم ، المجتمع الطبقي الظالم . . .

لا بد من اقامة مجتمع جديد ، نظيف ، طاهر ، حر ، تقدمى ، اشتراكى (٦٦) .

-
- ٦٣ - المؤتمر الصحفى للاخ العقيد معمر القذافى حول جدول اعمال المؤتمرات الشعبية فى ٢٠ اكتوبر ١٩٧٧ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٢٥٥ ، عند ص ٢٦١ و ٢٦٥ و ٢٦٦ .
- ٦٤ - لقاء الاخ العقيد بأساتذة وطلبة كلية الاقتصاد بجامعة قاريونس فى يناير ١٩٧٩ ، الفجر الجديد ، العدد ١٩٨٨ ، السبت ١٣ يناير ١٩٧٩ ، ص ٢٤٨ .
- ٦٥ - لقاء الاخ العقيد معمر القذافى بأساتذة وطلبة كلية القانون جامعة قاريونس فى ديسمبر ١٩٧٨ ، الفجر الجديد عدد ١٩٦٢ ، ١٣ ديسمبر ١٩٧٨ ، ص ٢٤١ .
- ٦٦ - البيان الثورى للاخ العقيد معمر القذافى فى العيد التاسع للثورة اول سبتمبر ١٩٧٨ ، ط امانة الاعلام والثقافة ، ص ١٧ - ١٨ .

الفصل الثالث

اشكال الملكية فى الكتاب الاخضر

الاشتراكية القرآنية

٦٧ - فى الحاجة تكمن الحرية

ما اساس الصراع ؟

الحاجة اساس الصراع (١) . ان حرية الانسان ناقصة اذا تحسنت فى حاجته ، فالحاجة قد تؤدى الى استعباد انسان لانسان ، والاعتماد سببه الحاجة . . . ان الحاجة مشكل حقيقى ، والصراع ينشأ من تحسنت ما فى حاجات الانسان (٢) .

ان الانسان فى كل مكان ينشد الحرية ، يكافح من اجل الحرية يموت فى سبيل الحرية . . . الانسان يناضل عبر التاريخ من اجل الحرية لى يعيش سعيدا . . . ولا يمكن أن يكون الانسان سعيدا الا اذا كان ولا يمكن أن يكون حرا الا اذا تحرر من الغير . . (٣) .

ان حل هذه الجدلية هو هدف المجتمع الاشتراكى الجديد ، تكوين مجتمع سعيد ، لانه حر ، وهذا لا يتحقق الا باشباع الحاجات والمعنوية للانسان ، وذلك بتحرير هذه الحاجات من سيطرة الغير و فيها . ان اشباع الحاجات ينبغى أن يتم دون استغلال او استعباد الغير والا تناقض مع غاية المجتمع الاشتراكى الجديد (٤) .

ورب العمل يستعبد العامل من خلال نظام الاجرة . . من هنا الزحف المقدس للقضاء على نظام الاجرة (٥) .

ومن يكثر المال ويدخر فوق حاجته ، انما يسرق نصيب غيره

-
- ١ - لقاء الاخ العقيد معمر القذافى مع القيادات السياسية حول النظرية العالمية فى ٩ اغسطس ١٩٧٥ ، السجل القومى ، المجلد ٧ ، ص ٦٧ (٨٧) .
 - ٢ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (٧٨) ص ٢٨١ .
 - ٣ - الخطاب التاريخى للاخ العقيد معمر القذافى فى عيد العمال اول مايو ٨ السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٧٢٩ (٧٣٢) .
 - ٤ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢ .
 - ٥ - ما سبق ، النبذة ٤٦ و ٥٥ و ٥٩ .

مخزن التمويل الذى هو ثروة المجتمع (٦) . فلا بد من ايجاد طريقة لتوزيع ثروة المجتمع توزيعا عادلا (٧) .

ان الكتاب الاخضر يكشف عن سببين اساسيين للظلم فى المجتمع البشرى ، نظام الاجرة ، وسوء توزيع الثروة . . . وان الثورة الحقيقية تكتشف العلاقات الظالمة للانتاج ، وتدهام القواعد الاستغلالية وتدمرها (٨) .

وهى فى كل ذلك تستهدى بالقرآن الكريم شريعة المجتمع .
فما هى شريعة القرآن فى شأن الاستغلال ، واكتناز المال ، وملكية وسائل الانتاج ؟ ثم ما هى اشكال الملكية فى النظام الجماهيرى المستمدة من شريعة القرآن ؟

٦٨ - شريعة القرآن

فى الحاجة تكمن الحرية . لذا حظر القرآن الكريم استغلال حاجة الغير .

أعلن القرآن الكريم فى آياته المدنية الحرب على المرابين ، وهددهم بضرب الاعناق ومصادرة الاموال : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلکم رؤوس اموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » (٩) .

وحرم القرآن الكريم الميسر : « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينکم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدکم عن ذکر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » (١٠) .

ونهى الاسلام عن الاحتكار ، فأمر النبى باخراج الطعام المختزن

-
- ٦ - ما سبق ، نبذة ٤٦ .
 - ٧ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ١٦/٧ ، ص ٢٨٧ .
 - ٨ - ما سبق ، نبذتا ٤٦ و ٥٩ .
 - ٩ - سورة البقرة ، الايتان ٢٧٨ و ٢٧٩ . ايضا فى تحريم الربا : سورة آل عمران ، الايتان ١٣٠ - ١٣١ . كذلك : سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ والآية ٢٧٦ .
 - وانظر على الاخص : جامع البيان للطبرى ، ط الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ٣ ص ١٠٦ وما بعدها . السنن الكبرى للبيهقى ، ط حيدر اباد الهند ١٣٥٢ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ . اسباب النزول للنيسابورى ص ٦٥ . الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ١ ص ٣٣١ .
 - ١٠ - سورة المائدة ، الايتان ٩٠ و ٩١ .

وعرضه فى السوق للبيع ، وقال : من احتكر فهو خاطىء
على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس . . الجالب
والمحتكر ملعون (١١) . ويقول الامام مالك فى الموطأ : « أن
الخطاب قال لا حكرة فى سوقنا لا يعمد رجال بأيديهم فضول
الى رزق من رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا الى ان تغلو
وأن عثمان بن عفان كان ينهى عن الحكرة (١٢) .

٦٩ - واكتناز المال الزائد عن الحاجة هو تعد على نصيب
لذا يحظر القرآن الكريم اكتناز المال .

ورد هذا الحكم بالتدريج . ففى مرحلة اولى ، فى مكة ، كان
قريش متشبهين بالمال والبنين ، فذكرهم القرآن الكريم بأن
الصالحات خير من زينة الحياة الدنيا :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات
ربك ثوابا وخير أملا » (١٣) .

ونزلت عشرات الآيات تؤكد هذا المعنى ، وتتوعد اصحاب
الجحيم :

« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين
أفلا تعقلون » (١٤) .

« بل تؤثر الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى » (١٥) .
« فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم
المأوى » (١٦) .

« تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سب
نارا ذات لهب » (١٧) .

-
- ١١ - صحيح مسلم بشرح النووى ، طبعة محمود توفيق ، القاهرة ، ج ١١ ، ص
سنن الترمذى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة ، الناشر عبد
الكتبى ، ج ٢ ، رقم ١٢٨٥ ص ٣٦٩ . شرح الزرقانى على موطأ الامام مالك ،
طبعة عبد الحميد احمد حنفى ، ج ٣ ، فقرة ٤٤٤ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ فى الهامش .
١٢ - موطأ الامام مالك بشرح الزرقانى ، السابق ، ج ٣ ، فقرة ٤٤٤ ص ٢٩٩ ،
١٣٨٨ و ١٣٩٠ .
١٣ - سورة الكهف ، الآية ٤٦ .
١٤ - سورة الانعام ، الآية ٣٢ .
١٥ - سورة الاعلى ، الآيتان ١٦ و ١٧ .
١٦ - سورة النازعات ، الآيات ٣٧ - ٣٩ .
١٧ - سورة المسد ، الآيات ١ - ٣ .

« ويل لكل همزة لمزة • الذى جمع مالا وعدده • يحسب ان ماله
اخذه • كلا لينبذن فى الحطمة • وما ادراك ما الحطمة • نار الله الموقدة •
التي تطلع على الافئدة » (١٨) •

« ذرنى ومن خلقت وحيدا • وجعلت له مالا ممدودا • وبنين شهودا •
ومهدت له تمهيدا • ثم يطمع أن أزيد • كلا انه كان لأياتنا عنيدا • سأرهقه
صعودا • • • سأصليه سقر » (١٩) •

« وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه • ولم
أدر ما حسابيه • يا ليتها كانت القاضية • ما أغنى عنى ماله • هلك عنى
سلطانيه • خذوه فغلوه • ثم الجحيم صلوه • ثم فى سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه » (٢٠) •

« وتأكلون التراث اكلا لماً • وتحبون المال حبا جما • كلا اذا دكت
الارض دكاً دكاً • وجاء ربك والملك صفا صفا • وجىء يومئذ بجهنم يومئذ
يتذكر الانسان وانى له الذكرى • يقول يا ليتنى قدمت لحياتى • فيومئذ
لا يعذب عذابه أحد • ولا يوثق وثاقه أحد » (٢١) •

وفى مرحلة ثانية ، فى المدينة ، وجه القرآن الكريم آياته الى
المؤمنين ، وأوضح أن المال فتنة يتعين اجتنابه :

« اعلموا انما اموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم » (٢٢)

ونزلت آيات مدنية اخرى تؤكد هذا المعنى :
« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيول المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا
والله عنده حسن المآب • قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها » (٢٣) •

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فازوما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (٢٤) •
وفى مرحلة ثالثة جاء النهى عن اكتناز المال واضحا صارما قاطعا
لا مجال فيه للبس أو غموض أو تأويل :

-
- ١٨ - سورة الهمزة ، الآيات ١ - ٩ •
١٩ - سورة المدثر ، الآيات ١١ - ٢٦ •
٢٠ - سورة الحاقة ، الآيات ٢٥ - ٣٤ • ايضا : سورة المدثر ، الآيات ٤٢ - ٤٧ •
٢١ - سورة الفجر ، الآيات ١٩ - ٢٦ •
٢٢ - سورة الانفال ، الآية ٢٨ •
٢٣ - سورة آل عمران ، الآيتان ١٤ و ١٥ •
٢٤ - سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ •

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله
بعذاب اليم » (٢٥) .

جاء فى كتب الصحيح ، على لسان أبى ذر ، فى تفسير هذه
أن رسول الله قال : « ما أحب أن لى مثل أحد ذهباً انفقه كله الا
دنانير » (٢٦) .

أمر رسول الله بأن لا يحتجز من المال سوى ثلاثة دنانير للطوا

٧٠ - هذا وقد سبق ايضاح قرارات عمر ، واجماع الصحابة ،
اعتبار وسائل الانتاج ، وهى اذ ذاك الارض ، ملكاً لعامة المسلمين ،
للآية الكريمة : « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » . وقال عمر
رفض تقسيم الارض : فكيف ممن يأتى من المسلمين ، فيجدون
بعلوها قد اقتسمت وورثت عن الآباء ، وتلا سورة الحشر واضاف ان
استوعبت جميع المسلمين ، فما من واحد الا وله حق (٢٧) .

فشرعة القرآن الكريم تنهى عن استغلال الغير ، تحظر اكتناز
تقرر ملكية الشعب . ثم هى من جهة اخرى تكفل لكل انسان
المادية ، على ما يرد فى حينه .

٧١ - الكتاب الاخضر

من هنا اشكال الملكية فى النظام الجماهيرى . فالانسان فى المجتمع
الجديد ، اما أن يعمل لنفسه لضمان حاجاته المادية ، أو أن يعمل
اشتراكية يكون شريكاً فى انتاجها ، أو أن يقوم بخدمة عامة للمجتمع
ويضمن له المجتمع حاجاته المادية .

ان النشاط الاقتصادى فى المجتمع الاشتراكى الجديد هو

-
- ٢٥ - سورة التوبة ، الآية ٣٤ .
٢٦ - صحيح البخارى بشرح الكرمانى ، القاهرة ١٩٣٤ ، المطبعة المصرية ، ج
رقم ١٣٢٧ ص ١٧٩ - ١٨٠ . صحيح مسلم بشرح النووى ، ط محمود توفيق
القاهرة ، ج ٧ ، ص ٧٧ - ٧٨ . المسند للإمام احمد بن حنبل ، المكتب الاسلامى
صادر بيروت ، ج ٥ ، ص ١٤٩ و ١٦٠ - ١٦١ و ١٦٤ و ١٦٧ و ١٦٩ و ١٧٦ . حلية
وطبقات الاصفياء لآبى نعيم الاصبهانى ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٦٢ . مفاتيح
للفخر الرازى ، ط ١٣٢٤ هـ ، ج ٤ ، ص ٤٢٧ . مجمع البيان للطبرسى ، صيدا
مجلد ٣ ج ٥ ، ص ٢٦ . الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ، دار الكتب المصرية ، ج
ص ١٢٨ . تفسير الخازن وبهامشه البغوى ، ط التجارية ، ج ٣ ، ص ٧٢ - ٧٣ .
تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ط الحلبي ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .
٢٧ - ما سبق ، نبذة ٤٧ .

انتاجى من اجل اشباع الحاجات المادية ، وليس نشاطا غير انتاجى أو نشاطا يبحث عن الربح من اجل الادخار الزائد عن اشباع تلك الحاجات .
ان ذلك لا امكانية له بحكم القواعد الاشتراكية الجديدة .

ان المجتمع الاشتراكى الجديد هو نتيجة جدلية لا غير للعلاقات الظالمة السائدة فى العالم ، والتي ولدت الحل الطبيعى وهو ملكية خاصة لاشباع الحاجات دون استخدام الغير ، و ملكية اشتراكية المنتجون فيها شركاء فى انتاجها تحل محل الملكية الخاصة التى تقوم على انتاج الاجراء دون حق لهم فى الانتاج الذى ينتجونه فيها .

ثم ان هدف المجتمع الاشتراكى هو سعادة الانسان التى لا تكون الا فى ظل الحرية المادية والمعنوية ، وتحقيق الحرية يتوقف فى مدى امتلاك الانسان لحاجاته امتلاكا شخصيا ، ومضمونا ضمانا مقدسا . اى أن حاجتك ينبغى الا تكون ملكا لغيرك ، وان لا تكون عرضة للسلب منك من أى جهة فى المجتمع ، والا عشت فى قلق يذهب سعادتك ويجعلك غير حر لانك عايش فى ظل توقعات تدخل خارجى فى حاجاتك الضرورية (٢٨) .

اذن ، هناك اشكال ثلاثة للملكية طبقا للكتاب الاخضر : الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ... الملكية الشخصية للحاجات الضرورية ... الملكية الخاصة دون استخدام الغير ..

هذه هى ثورة الاسلام ... وهذا هو منهج الاسلام ... الملكية تعود للشعب ، حتى تتحقق مقولة الثروة بيد الشعب ويصبح الناس متساوين .. لا أحد منهم يخدم عند آخر ، ولا أحد عبد عند آخر ، ولا أحد محتاج للآخر ... فى ذلك الوقت يصبح الناس احرارا ، ويصيرون متساوين فى المؤتمرات الشعبية ، وفى اللجان الشعبية ، فى ذلك الوقت تستقيم سلطة الشعب بالفعل (٢٩) .

٢٨ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (١٩٧٨) ، ص ٢٨٢ و ٢٨٧ و ٢٨٨ .

٢٩ - خطاب الاخ العقيد معمر القذافى فى الاحتفال الدينى بمسجد مولاي محمد بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف ، ١٩ فبراير ١٩٧٨ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٤٥٩ (٤٩٤) .

١ - الملكية الاشتراكية

اعتبر الاسلام الاول وسائل الانتاج الاساسية ، وهى اذ ذاك السواد ، ملكا لعامة المسلمين . فهل فعلت ذلك القوانين العربية القديمة وماذا ادخلته من اصلاح الاشتراكية التقليدية ، ثم ماذا تقرره العالمية الثالثة ؟

٧٢ - القوانين العربية التقليدية

استقت القوانين العربية التقليدية احكامها من قانون نابليون عبورا بالقانون المصرى لسنة ١٩٤٨ . صدر هذا الاخير فى العصر فى ظل سيطرة الاقطاع والرأسمالية .

دافع القانون العربى التقليدى عن مصالح الاقطاع ، وكان امعانا فى هذا الاتجاه القانون المدنى العراقى لسنة ١٩٥١ ، عرف العينى ، واهم صورة له هى حق الملكية ، بأنه سلطة مباشرة على معين يعطيها القانون لشخص معين ، واضاف أن الملك التام من شئ يتصرف به المالك تصرفا مطلقا فيما يملكه (١) . وهذا يذكرنا بالنصوص الواردة فى القوانين الغربية الرأسمالية للملكية بأنها حق مطلق ، القانون المدنى الفرنسى لسنة ١٨٠٤ والقانون المدنى الالمانى ١٨٩٦ (٢) . كما أن القوانين العربية الاخرى اعتبرت الملكية حقا مطلقا فنصت على أن لملك الشئ وحدة . . . حق استعماله واستغلاله والتصرف فيه ، وذكرت أن الملكية تخضع لما يرد من حدود فى القانون (٣) ، القانون لم يقيد الملكية الا بقيود الجوار (٤) ، لصالح الملاك الاخرين

يكشف القانون التقليدى عن نفوذ الاقطاع ، ويشجع تكوين الملاك الكبيرة بشتى الطرق . فكل من زرع ارضا غير مزروعة أو غرسها أو عليها ، يملك فى الحال الجزء المزروع أو المغروس أو المبنى ، ولو لم يترخيص من الدولة (٥) . والارض التى تتكون من طمى يجلبه

١ - المادتان ٦٧ و ١٠٤٨ من القانون المدنى العراقى لسنة ١٩٥١ .

٢ - ما سبق ، نبذتا ٤ و ٦ .

٣ - المادة ٨٠٢ مدنى مصرى ، المادة ٨١١ مدنى لىبى .

٤ - المواد ٨٠٧ وما بعدها مدنى مصرى ، ٨١٥ وما بعدها مدنى لىبى .

٥ - المادة ٣/٨٧٤ مدنى مصرى . لكن اشترطت الحصول على ترخيص خاص للملك . ٨٧٨ مدنى لىبى . وقارن المادة ١١٠٥ مدنى عراقى .

بطريقة تدريجية غير محسوسة تكون ملكا للمالك المجاور (٦) . وللشريك في الشيوع اذا بيع شيء من العقار الشائع الى اجنبي أن يسترده من المشتري عن طريق الشفعة (٧) . وللجار المالك أن يحل محل المشتري لملك جاره بشروط معينة طبقا للشفعة (٨) . بل لاعضاء الاسرة الواحدة الذين تجمعهم وحدة العمل والمصلحة أن يتفقوا على انشاء ملكية الاسرة ، من تركة ورثوها أو من اى مال آخر يدخلونه فى هذه الملكية (٩) . وهكذا ييسر القانون المدنى المصرى والقوانين التى نقلت عنه كافة السبل أمام تضخم الاقطاع .

دارت مناقشات حامية فى مجلس النواب المصرى اذ ذاك ، بين قلة تحارب الشفعة وتسعى الى الحد من الملكيات الكبيرة ، وبين كثرة يقودها الاقطاع وتتمسك بأهداب مطية الشفعة (١٠) .

لعل سطو الاقطاع يتمثل ايضا فى ذلك الطريق لكسب الملكية الذى سمى الاستيلاء (١١) . والاسم ذاته يدل على شريعة الغاب التى سادت فى مصر قبل ١٩٥٢ بحجة تعمير الاراضى البور . كان اصحاب النفوذ من السياسيين وغيرهم يستولون على آلاف الافدنة دون مقابل ، « ولو بغير ترخيص من الدولة » ، ثم يتوجهون الى بنك التسليف العقارى فيرهنون هذه الارض التى ليست ملكا لهم ، ويحصلون على قدر من المال لاستصلاحها . وتمر السنون فاذا بهم من كبار الملاك . وهذا ما يفسر اهتمام القانون المدنى المصرى والقوانين التى نقلت عنه ، اهتماما بالغاً بنظام الرهن الرسمى ، الاداة الرئيسية للائتمان فى الاقتصاد الزراعى الاقطاعى الرأسمالى ، وتخصيص عشرات المواد لهذا النظام (١٢) . وعمد المشرع

٦ - المادة ٩١٨ مدنى مصرى . المادة ٧٧٨ مدنى جزائرى . واشترط القانون العراقى دفع بدل المثل : المادتان ١١١٥ و ١١١٦ مدنى . كما نقلت المادة ٩٢٢ مدنى لىيى حكم القانون المصرى ، بالرغم من عدم وجود انهار فى ليبيا تجلب الطمى كما هو الحال فى نهر النيل .

٧ - المادة ٩٣٦ ب مدنى مصرى . ويراعى ان كلا من القانون المدنى اللييى ١٩٥٣ والجزائرى ١٩٧٥ ، قصرا الشفعة على الشريك فى الشيوع ومالك الرقبة وصاحب حق الانتفاع . المادة ٩٤٠ لىيى و ٧٩٥ جزائرى .

٨ - المادة ٩٣٧ هـ مدنى مصرى . ونص القانون المدنى العراقى ١٩٥١ على الشفعة للشريك والخليط والجار : المواد ١١٢٨ وما بعدها ، واهتم بها اهتماما بالغاً ونظمها بتفصيل كبير .

٩ - المادة ٨٥١ مدنى مصرى ، المادة ٨٥٥ مدنى لىيى .

١٠ - مجموعة الاعمال التحضيرية للقانون المدنى المصرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ وما بعدها .

١١ - المادة ٣/٨٧٤ مدنى مصرى .

١٢ - المواد ١٠٣٠ - ١٠٨٤ مدنى مصرى ، ١٢٨٥ - ١٣٢٠ عراقى ، ١٠٣٤ وما بعدها لىيى ، ٨٨٢ - ٩٣٦ جزائرى .

الاقطاعى سنة ١٩٤٨ الى تمصير عملية القرصنة ، ومنع المرتزقة من مزاحمة الذئاب المحلية . ومثل ما حدث فى مصر حدث أيضا فى من قبل الامراء والسياسيين فى عصر الملكية . وهكذا عادت بنا عجا الى عصور الظلام فى القرون الوسطى ، حيث كان السطو على المجاورة وسيلة لتكوين الاقطاعات الكبرى . هكذا تحول بنك العقارى الى اداة لتكتل الملكيات ، بدلا من أن يكون جهازا لخدمة الفلاحين .

بل ان بعض هذه البنوك انشئ بالاككتاب العام ، اى الشعب ، أو مباشرة من قبل الدولة ، اى بالمال العام ، وقدم هذه قروضا للامراء والسياسيين ... جمعت النقود من الفقراء وللأغنياء ..

يعترف القانون التقليدى بشرعية اغتصاب الاراضى ، ويقرر للدعاوى ثلاثة تحمى ما قام به من سطو تسمى دعاوى الحيازة ، هى استرداد الحيازة اذا انتزعت الارض من المغتصب ، ودعوى منع للمغتصب فى حيازته ، ودعوى وقف اى اعمال جديدة تهدد المغتصب (١٣) . فالقانون يحمى هنا السيطرة الفعلية على الارض ما دامت هذه السيطرة تتم علنا بغير لبس (١٥) ، اى ما دام المتهمة متبجحا يجهر باغتصابه دون مواراة أو حياء . ومتى دامت الدعوى للمغتصب خمس عشرة سنة ، اكتسب ملكية الشئ (١٦) . هكذا يعترف القانون بشرعية اعمال السطو كما كانت الحال فى القرون الوسطى . كان سلب الاراضى هو الوسيلة العادية لتكوين الاقطاعات طبقا للغاب . فالحيازة هى فى البدء مجرد اغتصاب ، واذا قيل أن المتهمة بذل جهدا واحيا ارضا ، فان اكسابه الملكية يتنافى مع التخطيط ومع الثورة الزراعية .

ثم ان القانون التقليدى يكرس شرعية الحصول على دخل بغير

-
- ١٣ - المواد ٩٥٨ و ٩٦١ و ٩٦٢ مدنى مصرى ، ١١٥٠ و ١١٥٤ و ١١٥٥ مدنى عر
و ٩٦٢ و ٩٦٥ و ٩٦٦ مدنى ليبي ، ٨١٧ و ٨٢٠ و ٨٢١ جزائرى .
١٤ - المادة ٩٥٧ مصرى ، ١/١١٤٥ عراقى ، ٩٦٠ ليبي ، ٨١٥ جزائرى .
١٥ - المادة ٩٤٩ مصرى ، ١١٤٦ عراقى ، ٩٥٣ ليبي ، ٨٠٨ جزائرى .
١٦ - المادة ٩٦٨ مصرى ، ٩٧٢ ليبي ، ٨٠٨ وما بعدها و ٨٢٧ جزائرى ، وتق
المادة ١١٥٨ عراقى .
كذلك تكتسب الحقوق المتفرعة عن حق الملكية مثل حق الانتفاع . المادة
مصرى ، ١٢٥٠ عراقى ، ٨٤٤ جزائرى ، ٩٧٢ ليبي .

فمن أحرز بقصد التملك منقولاً مباحاً لا مالك له ، ملكه (١٧) . والكنز المدفون أو المخبوء يكون ملكاً للمالك العقار (١٨) . وللمالك الأرض تملك المنشآت المقامة على أرضه دون رضاه ، مقابل قيمتها مستحقة إزالة ، أى بمبلغ زهيد ، لا يتناسب البتة مع قيمة المنشآت (١٩) .

كذلك يجيز القانون التقليدى تحكّم الكبير فى الصغير . فالمال الشائع يدار على أساس من مساواة الملك فى الواجبات لا فى الحقوق . إذ أعمال الإدارة تتقرر طبقاً لرأى أصحاب القدر الأكبر من الحصص ، قراراتهم تكون ملزمة حتى للأقلية التى خالفت القرار (٢٠) . لكن هذا لا يمنع من التزام جميع الشركاء كل بقدر حصته ، بنفقات إدارة المال الشائع وحفظه والضرائب المفروضة عليه وسائر التكاليف الناتجة عن الشيوع أو المقررة على المال (٢١) . وبالمثل فى اتحاد ملاك الطبقات ، الإدارة لأغلبية الملاك محسوبة على أساس قيمة الانصباء (٢٢) .

كما أباح القانون التقليدى صوراً من استغلال الاقطاعى للفلاح مثل المزارعة (٢٣) .

واهتم المشرع إذ ذاك بكل ما يتعلق بالملكية الخاصة ، بينما لم يحظ المال العام سوى بنصين اثنين (٢٤) ، من مجموع مواد فى القانون المدنى تزيد على ألف مادة .

كانت هناك محاولة ذكية من قبل بعض المعتدلين ، يرون التماشى مع روح العصر ، وتهذيب النظام الرأسمالى بحيث يستطيع أن يستمر فى البقاء . فورد نص فى مشروع القانون المدنى المصرى لسنة ١٩٤٨ ، يقضى بأن لحق الملكية وظيفة اجتماعية . لكن الاقطاع الجالس فى مجلس الشيوخ إذ ذاك رفض التسليم بهذا النص ، لأن فيه « تصويراً لمذهب فلسفى » كان يخشاه الاقطاع ، وحذف هذا النص بمقولة أنه اشكل

١٧ - المادة ٨٧٠ مصرى ، ١/١٠٩٨ عراقى ، ٨٧٤ لیبى .

١٨ - المادة ٨٧٢ مصرى ، ١١٠١ عراقى . أو مناصفة مع من عثر عليه : المادة ٨٧٦ لیبى .

١٩ - المادة ٩٢٤ مصرى ، ٩٢٨ لیبى ، ٧٨٤ جزائرى .

٢٠ - المادة ٨٢٨ مصرى ، ٢/١٠٦٤ عراقى ، ٨٣٧ لیبى ، ٧١٦ جزائرى .

٢١ - المادة ٨٣١ مصرى ، ١٠٦٧ عراقى ، ٧١٩ جزائرى ، ٨٤٠ لیبى .

٢٢ - المادة ٨٦٤ مصرى ، ٨٦٨ لیبى .

٢٣ - المادة ٦١٩ مصرى ، ١٠١٣ لیبى .

٢٤ - المادتان ٨٧ و ٨٨ مصرى ، ٧١ و ٧٢ عراقى ، ٨٧ و ٨٨ لیبى ، ٦٨٨ و ٦٨٩ جزائرى (راجع أيضاً المواد ٨٥٨ - ٨٦٦ جزائرى) .

• بالايضاحات الفقهية (٢٥) •

وهكذا كشف تنظيم الملكية فى القانون التقليدى عن سيطرة الملك على جهاز السلطة •

تقول ورقة عمل اصلاح النظام القانونى فى العراق ، الصادر فى وصف القانون المدنى العراقى لسنة ١٩٥١ ، احد هذه التقلدية :

« كان منطلق القانون المدنى العراقى ، فى باب الحقوق الاصلية ، هو تمجيد الملكية الخاصة ، اذ اعتبر حق الملكية حقا مانعا دائما ، يبيح للمالك التصرف المطلق فيما يملكه عينا ومنفعة واستغلا يقيده الا بما يضر الجار ضررا فاحشا ، او ينطوى على استعمال غا للحق ، ولم يركز اهتمامه على ما يتعلق بالمصلحة العامة فى ذلك »
« وقد عنى بحماية وتثبيت الملكيات الكبيرة والنظام شبه الاقدم ولم يقيد حجم الملكية بأى قيد •

أما فى باب الحقوق العينية التبعية ، فقد كان فى مجمل من أحكام ينطلق من اتجاه واضح فى تفضيل مصلحة الدائن على المدين ، وفى تفضيل رأس المال على العمل » (٢٦) •

٧٣ - الاشتراكية الناصرية

صدرت اصلاحات مختلفة منذ ربع قرن ، انصبت بالاخص على الملكية الزراعية ، ابتداء من القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ فى مصر ثورة يوليو بقليل ، بموجبه تحرر حوالى مليون فلاح من عبودية الارض وانكسرت حواجز الظلم • التى جعلت الاصل فى ملكية الارض بذاتها (المذكرة التفسيرية لهذا القانون) • كما صدر القانون رقم لسنة ١٩٦٤ ، منع تملك الاراضى عن طريق الاستيلاء ، ووضع حدا للفوضى التى كانت سائدة فى مصر من قبل (٢٧) • وتعاقبت اصلاح الزراعى فى الاقطار العربية •

ثم قدم الزعيم جمال عبد الناصر فى ٢١ مايو ١٩٦٢ الميثاق

-
- ٢٥ - مجموعة الاعمال التحضيرية للقانون المدنى المصرى ، ج ٦ ، ص ١٣ وما ي
٢٦ - قانون اصلاح النظام القانونى رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٧ ، القسم الثانى ، الفصل
بند ١ ثانيا - الحقوق العينية ، طبعة دار الحرية ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٣٨ - ٣٩
٢٧ - انظر : عبد الرزاق احمد السنهورى ، الوسيط فى شرح القانون المدنى ،
اسباب كسب الملكية ، القاهرة ١٩٦٨ ، دار النهضة العربية ، نبذة ١٧ ص ٥٢ •

الوطنى للقوى الشعبية ، تضمن معالم الاشتراكية الناصرية •

يقول الميثاق : ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته • ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية ان تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات تتصادم مع حكمته الالهية السامية (٢٨) •

ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم • ان اى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود • والذين ينادون بترك الحرية لرأس المال ويتصورون أن ذلك طريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح • ان رأس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات • ان نمو الاحتكارات العالمية الضخم لم يترك الا سبيلين للرأسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة الى التقدم : اولهما - انها لم تعد تفدر على المنافسة الا من وراء اسوار الحماية الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير • وثانيهما - ان الامل الوحيد لها فى النمو هو أن تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية وتفتى أثرها وتتحول الى ذيل لها وتجر اوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة (٢٩)

وقد تحققت هذه النبوءة بعد عصر عبد الناصر •

٧٤ - فالاشتراكية الناصرية ترفض الطريق الرأسمالى • وهى ترى أن مواجهة التحدى لا يمكن أن تتم الا بثلاثة شروط : تجميع المدخرات الوطنية ، ووضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات ، ووضع تخطيط شامل لعملية الانتاج • من هنا ضرورة سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة • بيد أن سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لا تستلزم تأمين كل وسائل الانتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ، وانما يمكن الوصول اليها بطريقتين : أولهما - خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية • وثانيهما - وجود قطاع خاص يشارك

٢٨ - الميثاق ، ط الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٠٩ •

٢٩ - الميثاق ، ص ٧٢ - ٧٣ •

فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال . على رقابة الشعب شاملة للقطاعين ، ميطرة عليهما معا .

فى مجال الانتاج ، تكون الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العام نطاق الملكية العامة للشعب .

وفى مجال الصناعة ، تكون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية فى غالبيتها داخلية فى اطار الملكية العامة للشعب . واذ الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال ، فان هذه الملكية تكون تحت ميطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله .

وفى مجال التجارة ، تكون التجارة الخارجية تحت اشراف على أن يتحمل القطاع العام عبء ثلاثة ارباع الصادرات ، ويترك للقطاع الخاص لتشجيعه ، وعلى أن ينفرد القطاع العام بتجارة الاس كما يتحمل القطاع العام مسئولية ربع التجارة الداخلية على الاقل يفسح فى الجزء الاكبر مجالا واسعا للنشاط الخاص والتعاونى ، مفهوما بالطبع أن التجارة الداخلية خدمة وتوزيع مقابل ربح معقول الى حد الاستغلال تحت أى ظرف من الظروف .

وفى مجال المال تكون المصارف فى اطار الملكية العامة ، فوظيفته وطنية لا تترك للمضاربة أو المغامرة . كذلك تكون شركات فى نفس اطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليها .

وفى المجال العقارى ، يتعين التفرقة بوضوح بين نوعين من الخاصة : ملكية مستغلة أو تفتح الباب للاستغلال ، وملكىة غير مستغلة تؤدي دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة اصحابها . وفى مجال ملكية الارض الزراعية فان قوانين الاصلاح الزراعى قد بوضع حد أعلى لملكية الفرد ، وفى نطاق ملكية المبانى تكفلت قوانين الضرائب التصاعدية على المبانى وقوانين تخفيض الايجارات بوضع العقارية فى مكان يبتعد بها عن أوضاع الاستغلال (٣٠) .

أما العمال ، فانهم لم يعودوا سلعة فى عملية الانتاج ، وانما هم قوى العمل مالكة لعملية الانتاج ذاتها ، شريكة فى ادارتها ، شريكة

أرباحها تحت اوفر الاجور واحسن الشروط من ناحية تحديد ساعات العمل (٣١) .

هكذا تتضح معالم الاشتراكية الناصرية : ملكية الشعب لاهم وسائل الانتاج ، ثم الابقاء على الملكية الخاصة مع تحديدها ، واشراك العمال فى الادارة والارباح ، واخضاع القطاعين العام والخاص للتخطيط الاقتصادى .

ان التخطيط الاشتراكى الكفاء هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية ، المادية والطبيعية والبشرية ، بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكى تحقق الخير لجموع الشعب ، وتوفر لهم حياة الرفاهية .

انه الضمان لحسن استغلال الثروات الموجودة والكامنة والمحتملة ، ثم هو فى الوقت ذاته ضمان توزيع الخدمات الاساسية باستمرار ، ورفع مستوى ما يقدم منها بالفعل ، ومد هذه الخدمات الى المناطق التى افترسها الاهمال والعجز نتيجة لطول الحرمان الذى فرضته انانية الطبقات المتحكمة المستعلية على الشعب المناضل (٣٢) .

٧٥ - النظرية العالمية الثالثة

هذه المعالم الاساسية للاشتراكية الناصرية التقليدية ، تخطتها النظرية العالمية الثالثة . فمن جهة ، ان الاشتراكية التقليدية تتذبذب بين الرأسمالية وبين الشيوعية ، لانها تبقى على القطاع الخاص اى على الرأسمالية ، وهذه الرأسمالية تحمل نفس مساوئ النظام الرأسمالى . ان مصير الاشتراكية التقليدية أن تتحول اما الى رأسمالية أو الى شيوعية (٣٣) .

ومن جهة اخرى ، ما معنى مشاركة العمال فى الارباح فى قطاع خاص . . . ان كل العمال يأخذون ٢٥٪ من الربح ، بينما رأسمالى واحد يأخذ ٧٥٪ من الربح ، اى يستولى على مئات الاضعاف لما يحصل عليه كل عامل على حدة (٣٤) .

٣١ - الميثاق ، ص ٦٧ .

٣٢ - الميثاق ، ص ٧٥ .

٣٣ - لقاء الاخ العقيد معمر القذافى مع القيادات السياسية حول النظرية العالمية الثالثة ، ٩ أغسطس ١٩٧٥ ، السجل القومى ، المجلد ٧ ، ص ٦٧ (ص ٧٤ و ٧٩ - ٨٢) .

٣٤ - اللقاء السابق ، السجل القومى ، ج ٧ ، ص ٧٥ .

ان المحاولات التلفيقية الاصلاحية التى تجرى فى كل مكان من العالم ، لارضاء الشغيلة ، لارضاء الكادحين ، بأن تشركهم فى الربح أو أن تشركهم فى الربح ، هذه المحاولات من شأنها الضحك على الضحك على الانسان . ان الشغيلة هم الاغلبية الساحقة فى العالم لا بد أن ينعموا بالحرية ، لا بد أن يديروا كافة المؤسسات الانتاجية بدون شريك . ثم من هو صاحب الربح ؟ صاحب الربح هو الذى الربح . ومن الذى يحقق الربح فى اية منشآت انتاجية ؟ انهم العمال هم اصحاب الربح . . « ان الباطل كان زهوقا » . ان العامل هو الذى ينتج ، والقاعدة السليمة الذى ينتج هو الذى يستهلك انتاجه . كيف من أجل الغير ؟ ؟ اى استغلال بعد هذا الاستغلال ؟ وأى عبودية بعد العبودية ؟ وأى قهر بعد هذا القهر ، عندما نرى ملايين الشغيلة فى تنتج من اجل غيرها مقابل اجرة ؟ . . يستهلك انتاجهم الاخر القاعدون ، المستغلون ، الذين يتفضلون على العمال بجزء من الارزاق الذى ينتج هو الذى يستهلك (٣٥) .

ثم ما معنى اباحة الملكية الخاصة للارض والتستر على استغلال فى صورة المزارعة . . . واجازة التفاوت فى الدخول تحت ستار تفاوت الفوارق بين الطبقات . . . أيتفق كل ذلك مع القرآن الكريم ؟

أين أرض الله وحكم أرض السواد . . ؟

أين المساواة فى المال وحق الفقراء فى أموال الاغنياء . . ؟

أين حظر اكتناز المال . . ؟

٧٦ - ان الشعب العربى الليبى المجتمع فى الملتقى العام للمؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية والنقابات والاتحادات والروابط المهنية « من الشعب العام » انطلقا من البيان الاول للثورة : ومن خطاب التاريخى ، واهتداء بمقولات الكتاب الاخضر . . . يعلن تمسكه بالاشياء تحقيقا لملكية الشعب . . . ويؤكد . . . تثبيت مجتمع الشعب القائد والذى بيده السلطة وبيده الثروة وبيده السلاح . . .

ان الشعب العربى الليبى وقد استرد بالثورة زمام أمره ، ومقدرات يومه وغده ، مستعينا بالله متمسكا بكتابه الكريم ابدا مصرا للهداية وشريعة للمجتمع ، يصدر هذا الاعلان ايذانا بقيام سلطة الشعب

٣٥ - الخطاب التاريخى للاخ العقيد معمر القذافى فى عيد العمال أول مايو ١٩٧٨
السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٧٢٩ (٧٣٢ - ٧٣٤) .

ويبشر شعوب الارض بانبلاج فجر عصر الجماهير ...

(ثانيا) القرآن الكريم هو شريعة المجتمع فى الجماهيرية العربية
الليبية الشعبية الاشتراكية (٣٦) .

فالى ملكية الشعب ... طبقا للقرآن الكريم ...

٧٧ - ملكية الشعب

الثروة بيد الشعب ...

« كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (٣٧) .

الثروة فى مجال الانتاج والصناعة والتجارة والمال ... الثروة
من الخامات والمعادن والمياه والنفط .. وفى مقدمة كل ذلك ..

الارض ...

ان قرار عمر بن الخطاب بعدم تمليك الارض ، يدوى فى أفق
التاريخ ثلاثة عشر قرنا قبل مرسوم لينين الخاص بالارض (٣٨) .

« كيف ممن يأتى من المسلمين ، فيجدون الارض بعلوها قد اقتسمت
وورثت عن الآباء ؟ » هذه العبارة لعمر فيها كل فلسفة الملكية ... ما من
مسلم الا وله حق (٣٩) .

ويقول الكتاب الاخضر : الارض ليست ملكا لاحد ... انه لو جاز
امتلاك الارض لما وجد غير الحاضرين نصيبهم فيها ، وان الارض ثابتة
والمنتفعون بها يتغيرون بمرور الزمن مهنة وقدرة ووجودا .. (٤٠) .

والفلاح ... والراعى ؟

انه يحق لكل واحد استغلال الارض للانتفاع بها شغلا وزراعة ورعيا
مدى حياته وحياة ورثته فى حدود جهده الخاص دون استخدام غيره بأجر
أو بدونه ، وفى حدود اشباع حاجاته (٤١) .

٣٦ - اعلان قيام سلطة الشعب ، الجريدة الرسمية ، السنة ١/١٥ ، ١٥ مارس ١٩٧٧ ،
ص ٦٦ - ٦٧ .

٣٧ - سورة الحشر ، الآية ٧ .

٣٨ - راجع ما سبق ، نبذتى ٢٥ و ٤٧ .

٣٩ - ما سبق ، التمهيد .

٤٠ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (١٩٧٨) ،
ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

٤١ - الهامش السابق .

فالفلاح له حق انتفاع دائم ووراثى .

ها هو يستلم الارض ... هذه الارض التى حرم منها على
السنين حين كان يعمل اجيرا بلا اجر ، لقاء لقمة العيش ، فى عص
والسخرة ... ها هو الان فى ليبيا الثورة يستلم مزرعة كاملة مه
عشرات الهكتارات ، وجرار ومعدات ، وبيت من خمس حجرات ،
الماشية المنتجة ، وستون رأسا من الضأن ، ومئات من الدجاج و
وسلف كافية من النقد (٤٢) .

فالناس فى المال سواء ... والارض ارض الله ..

» فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون « (٤٣) .

» قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله
تذكرون « (٤٤) .

ان قدر الارض التى يمكن حيازتها للانتفاع بها يتحدد من نا
أن يعمل الفلاح بنفسه هو وأعضاء أسرته لا يستخدم غيره بأجر أو
وأن لا يشغل من الارض سوى ما يكفى لاشباع حاجاته .

٧٨ - بطلان المزارعة

فلا يجوز استغلال الغير .. لا اجرة ... لا مزارعة ... لا اج
ان المعاش حاجة ماسة جدا للانسان ، فلا يجوز أن يكون مع
انسان فى المجتمع الاشتراكى اجرة من أى جهة ، او صدقة من أحد
الاجراء مهما تحسنت أجورهم هم نوع من العبيد .. (٤٥) .

والمزارعة غير مشروعة وباطلة . ان الاغلبية الساحقة من الاح
الواردة فى كتب الصحيح تحرم المزارعة تحريما باتا ، لما تنطوى على
استغلال . فقد ذكرت كتب الحديث أن النبى نهى عن المزارعة (٤٦)

٤٢ - انظر شروط العقد المبرم بين المزارع وبين مجلس استصلاح وتعمير الار
طبقا للقانون رقم ١٢٣ لسنة ١٩٧٠ والقوانين المعدلة والمكملة له ، على سبيل الم
منطقة مشروع الجبل الاخضر .

٤٣ - سورة النحل ، الآية ٧١ . وراجع ما سبق ، نبذة ٢٨ .

٤٤ - سورة المؤمنون ، الايتان ٨٤ و ٨٥ . وراجع التمهيد .

٤٥ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (٧٨)
ص ٢٧٦ وص ٢٨١ .

٤٦ - صحيح مسلم ، اخراج محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسى البابى
القاهرة ١٩٥٥ ، ج ٣ ، ص ١١٧٧ بند ٩٣ وص ١١٧٩ بند ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨
وص ١١٨٠ بند ١١٠ وص ١١٨٤ بند ١١٨ . سنن ابن ماجة ، اخراج محمد فؤاد

وهدد اصحاب الاراضى بضرب الاعناق ، اذ قال : « من لم يذر المخابرة »
 - أى من لم يترك المزارعة - « فليأذن بحرب من الله ورسوله » (٤٧) .
 وأمر النبى كل صاحب أرض أن يزرعها بنفسه ، أو يتركها لغيره ، اذ قال :
 « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه » (٤٨) .

والنتيجة الحتمية لابطال المزارعة هى تحريم الاجارة ، وهذا ما
 قررته احاديث كثيرة واردة فى كتب الصحيح (٤٩) . ذلك أن الخطر
 على الفلاح واحد فى الحالىن ، المزارعة والاجارة ، اذا ما انتهى العام
 بهلاك المحصول أو ضعفه ، فيضيع عليه جهده . بل نهى رسول الله ﷺ
 عن تأجير الارض بالطعام (٥٠) ، لان هذا ضرب من السخرة .

طلب رسول الله من الاغنياء أن يهبوا أراضيهم للفقراء ، اذ قال :
 « من كانت له أرض فليهبها أو ليعرها » (٥١) ، وقال : « لان يمنح الرجل
 أخاه أرضه خير له من أن يأخذ عليها خرجا معلوما » (٥٢) ، وقال :
 « من استغنى عن أرضه فليمنحها أخاه أو ليدع » (٥٣) ، وقال : « من
 كانت له أرض أن يمنحها أخاه خير له » (٥٤) .

فلا عجب أن يرجح أئمة المذاهب هذه الاحاديث المبطله للمزارعة ،

الباقى ، طبعة عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ٢ ، ص ٨١٩ - ٨٢٠
 بند ٢٤٥٠ و ٢٤٥٣ .

٤٧ - سنن ابى داود ، طبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٥٢ ، ج ٢ ، ص ٢٣٥
 ٤٨ - صحيح البخارى ، طبعة الحلبي (مصطفى البابى) ، القاهرة ١٣٤٥ هـ ، ج ٣ ،
 ص ١٤١ . صحيح مسلم ، طبعة الحلبي (عيسى البابى) ، ج ٣ ، ص ١١٧٦ بند
 ٨٨ و ٨٩ ، ص ١١٧٧ بند ٩٢ و ٩٤ ص ١١٧٨ بند ١٠٢ ، ص ١١٨٢ بند ١١٤ ، أيضا
 ص ١١٧٦ بند ٩١ و ٩٦ ، حيث ذكر الحديث بروايات عدة . سنن ابى داود ، السابق ،
 ج ٢ ، ص ٢٣٣ . صحيح الترمذى بشرح ابن العربى ، ط المطبعة المصرية ، القاهرة
 ١٣٥٠ هـ ، ج ٦ ، ص ١٥٥ . سنن ابن ماجه ، السابق ، ج ٢ ، ص ٨١٩ بند ٢٤٥١
 وص ٨٢٠ بند ٢٤٥٢ .

٤٩ - صحيح البخارى ، السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٢ . صحيح مسلم ، السابق ، ج ٣ ،
 ص ١١٧٦ - ١١٨١ بند ٨٧ و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ ، وكذلك برواية
 اخرى : بند ٩٠ و ٩١ و ٩٦ ، أيضا بند ٩٢ و ٩٤ و ٩٨ . سنن ابى داود ، السابق ، ج ٢ ،
 ص ٢٣٢ - ٢٣٣ . سنن ابن ماجه ، السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦٢ ، بند ٢٢٦٦ ،
 و ٢٢٦٧ ، وص ٨٢٠ بند ٢٤٥٤ و ٢٤٥٥ .

٥٠ - صحيح مسلم ، السابق ، ج ٣ ، ص ١١٨١ بند ١١٣ . سنن ابى داود ، السابق ،
 ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

٥١ - صحيح مسلم ، السابق ، ج ٣ ، ص ١١٧٨ بند ٩٧ .

٥٢ - صحيح مسلم ، السابق ، ج ٣ ، ص ١١٨٤ - ١١٨٥ بند ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ .

٥٣ - سنن ابى داود ، السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

٥٤ - المسند للامام احمد بن حنبل ، شرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر
 ١٩٥٠ ، ط ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ بند ٢٥٩٨ .

ويقرروا عدم شرعيتها ، لما تنطوى عليه من استغلال . ها هو ذا
يتشبت بحديث : « ازرعها أو امنحها أخاك » (٥٥) . كما ذه
حنيفة ، ومعه زفر ، الى ان المزارعة فاسدة ، لانها استئجار بأجر
معدومة ، فى وجودها خطر ، فهي بمنزلة بيع بثمر مجهول . و
لاعمال العرف ، ما دام يوجد نص ، والحديث صريح فى
المزارعة (٥٦) .

ويقول الشافعى : « وتدل سنة رسول الله ﷺ على أن لا تجوز
على الثلث ولا الربع ولا جزء من اجزاء ، وذلك أن المزارع يقبض
بيضاء لا اصل فيها ولا زرع ، ثم يستحدث فيها زرعاً ، والزرع ليس
والذى هو فى معنى المزارعة الاجارة ، ولا يجوز أن يستأجر الرجل
على أن يعمل له شيئاً الا بأجر معلوم يعلمانه قبل أن يعمله » (٥٧)
وقد ورد فى المدونة الكبرى للامام مالك بن أنس : « رأيت أبا
أرضاً لى من رجل يزرعها . . فما أخرج الله تعالى منها شىء فذلك
وبينه نصفين أيجوز هذا أم لا . . قال مالك أن ذلك لا يجوز » (٥٨)
هكذا نظر أئمة المذاهب السنية الى الآثار الاجتماعية الظالمة
على المزارعة ، وهى استغلال عرق الفلاح ، وقد يتلف المحصول أو
فيخرج خاوى الوفاض .

أما الشيعة ، فقد اعتبروا ارض السواد ، وهى ارض العراق
ومصر ، اى الارض الزراعية فى المشرق العربى ، وهى التى كانت
الاقطاعات ، اعتبروها ملكاً لعامة المسلمين فلا يجوز التصرف فى
وجه من الوجوه الدالة على الملك ، ولا يجوز بيعها ولا تأجيرها (٥٩)

٥٥ - كتاب المبسوط ، لشمس الدين السرخسى ، طبعة السعادة ، القا
ص ١١ - ١٢ .

٥٦ - المبسوط للسرخسى ، ج ٢٣ ، ص ١٧ - ١٨ .

٥٧ - الام للشافعى ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ ، طبعة كتاب الشعب ، القاهرة .

٥٨ - المدونة الكبرى للامام مالك بن أنس ، طبعة الحلبي ، القاهرة ، بالاوف
طبعة ١٣٢٣ هـ ، ج ٤ ، ص ٥٥٢ .

٥٩ - كتاب المبسوط فى الفقه للشيخ ابي جعفر الطوسى (م ٤٦٠ هـ) ، مخط
٢٥٧٥ شرق بالمتحف البريطانى ، نسخة ترجع الى القرن الثانى عشر المي
ص ١٤٤ ظهر . مطابق للنسخة المطبوعة ، المبسوط فى فقه الامامية ، صححه
عليه السيد محمد تقى الكشفى ، المكتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعفرية ،
طهران ١٣٨٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٣ - ٣٤ . ايضاً : الطوسى ، النهاية فى مجر
والفتاوى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٩٤ .

نجم الدين ابو القاسم جعفر المعروف بالمحقق الحلى (م ٦٧٦ هـ) ، شرائع
فى مسائل الحلال والحرام ، مخطوط رقم ٤٣ بالمتحف العراقى ، ٧٢ هـ ١٩٨٠
ص ٧١ ظهر ، والنسخة المطبوعة تحقيق عبد الحسين محمد على ، ط ١ ، ١٩٨٠

ان الاجارة ، الصريحة أو المستترة فى شكل مزارعة ، هى من مظاهر الاستغلال ، لذا تحظرها النظرية العالمية الثالثة (٦٠) .

٧٩ - فالارض ليست ملكا لاحد .

وما دام لا يباح امتلاك الارض ، لان فى تقسيمها اخلاص بنصيب غير الحاضرين ، فلا يجوز أن ترد على الارض التصرفات الدالة على الملك . .
لا مزارعة ، لا مغارسة ، لا اجارة ، لا بيع ، لا رهن ، لا وقف ، لا ارث .

ان الرقبة ملك الشعب ، لا تورث ، وانما يورث حق الانتفاع .

لذا يشترط فيمن ينتقل اليه حق الانتفاع من بين الورثة شروط معينة تمكن من استمرارية استثمار الارض (٦١) .

هذه قواعد الدين والعرف ، وكل نص بغير ذلك يرد فى القانون الوضعى يعتبر مخالفا لشريعة المجتمع ويتعين نقضه .

من هنا ابطال كسب الملك عن طريق وضع اليد (م ١ من القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٧٧) .

من هنا أيضا تقرير ملكية الشعب للشريط الساحلى ، فالشاطىء ملك لكل الشعب ، ولجميع الافراد استعماله (٦٢) ، وهو ما قرره المؤتمرات

١٩٦٩ ، مطبعة الاداب ، ج ١ ، ص ٣٢٢ . ايضا : النافع مختصر الشرائع للمحقق الحلى ، مخطوط رقم ٤٠٢٨ شرق بالمتحف البريطانى ، يرجع فى الظاهر الى القرن السادس عشر ، ص ٧٢ وجه .

زين الدين بن على الملقب بالشهيد الثانى ، الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية ، سنة التأليف ٩٥٦ هـ ١٥٤٩ م ، مخطوط رقم ٢٦٤ بالمتحف العراقى ، ٩٥٧ هـ ١٥٥٠ م ، ص ٨٨ وجه . ايضا : اللعبة الدمشقية والروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية ، نسخة مطبوعة ، النجف ١٩٦٧ ، مطبعة الاداب ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ .

ابو جعفر محمد بن يعقوب اسحاق الكلينى الرازى (م ٣٢٩ هـ) ، الفروع من الكافى ، صححه على أكبر الغفارى ، طهران ١٣٧٨ هـ ، عنى بنشره الشيخ محمد الاخوندى ، كتاب الجهاد ، ج ٥ ، ص ٤٤ .

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى (م ١١٠٤ هـ) ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، حققه الشيخ عبد الرحيم الربانى الشيرازى ، المكتبة الاسلاميه بطهران ١٣٨٧ قمرى ، كتاب الجهاد ، ج ٦ ، ص ٨٥ .

٦٠ - البيان الثورى للاخ العقيد معمر القذافى فى العيد التاسع للثورة اول سبتمبر ١٩٧٨ ، ط أمانة الاعلام والثقافة ، ص ١٧ .

٦١ - يشترط فيمن تنتقل اليه المزرعة من بين الورثة أن تتوافر فيه الشروط المقررة قانونا للانتفاع بالتوزيع . راجع المادة ٢/٨ من شروط عقد المزرعة سالف الذكر .

٦٢ - خطاب الاخ العقيد معمر القذافى فى الاحتفال الشعبى بترهونة فى الذكرى السابعة لعيد الثار ٧ اكتوبر ١٩٧٧ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ١٩٩ (٢٣٩ - ٢٤١) .

الشعبية الاساسية كما تبلور قرارها من خلال مؤتمر الشعب العام في انعقاده العادى الرابع فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٨ .

٨٠ - شركاء لا أجراء

أما فى ميدان الصناعة ، حيث مشكلة الاجرة واستغلال العمال الحل الجذرى هو الغاء الاجور وتحول الاجراء الى شركاء (فالملكية الاشتراكية فى ميدان الصناعة المنتجون فيها شركاء فى انتاج تحل محل الملكية الخاصة التى تقوم على انتاج الاجراء دون حق لها الانتاج الذى ينتجونه (٦٤) .

ان الثورة هى استيلاء العمال على كافة المواقع الانتاجية فى وزحفهم لتحرير أنفسهم من كابوس الاجرة ، وقيد العبودية ، والغير . . . بأن يستولوا على المصانع والمنشآت الانتاجية ، ويزيحووا البيروقراطية التابعة للقطاع العام ، والادارة الاستغلالية التابعة الخاص ، وقيموا على أنقاضها الادارة الشعبية . . . ادارة العمال ادارة المنتجين . . . واذا كانت المنشآت المستولى عليها خاصة فيتم رقبتها للجماهير ، بدلا من صاحبها ، الذى عليه أن يتحول الى عامل العمال المنتجين ، وأن يكون شريكا مثلهم فى الانتاج ، متساويا وينتهى كونه رب عمل أو مالك لاداة الانتاج فى المجتمع (٦٥) .
فالرقبة ملك الشعب . . .

والمنتجون شركاء فى الانتاج . . .

والمنشآت الانتاجية تدار شعبيا . ان النظام الجماهيرى بمؤقت الشعبية ولجانه الشعبية (٦٦) يسرى ايضا على المصانع والمنشآت الانتاجية فتدار كافة المصانع التى كانت تابعة للقطاع العام وللقطاع الخاص شعبيا أى يكون فى كل منشأة مؤتمر شعبى للمنتجين ، ولجنة من هذا المؤتمر المنشأة الانتاجية . كما أن انتاج المنشأة يقسم بين رأس المال وبين المنتج فالشعب الذى يقدم رأس المال يأخذ حصته مقابل رأس المال الذى قدمه

٦٣ - كلمة الاخ القائد فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الشعب العام فى دور انعقاده الرابع ١٦ ديسمبر ١٩٧٨ ، ط أمانة الاعلام والثقافة ، ص ٢٠ .
٦٤ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ١٦/٧ ، ص ٦٥ .
٦٥ - البيان الثورى للاخ العقيد معمر القذافى فى العيد التاسع للثورة اول سبتمبر ١٩٧٨ ، ط أمانة الاعلام والثقافة ، ص ٢٤ .
٦٦ - ما سبق ، نبذة ٥٧ .

المصنع ولامداده بالمواد الخام ، والمنتجون ينالون حصتهم التى ترتبت عن عملية الانتاج (٦٧) .

ان الشعب يمارس السلطة بدون حكومة ... اختفت الحكومة وحلت محلها اللجان الشعبية تحت رقابة المؤتمرات الشعبية (٦٨) ..

٨١ - الاسواق العامة

وفى ميدان التجارة ، قررت المؤتمرات الشعبية الاساسية انشاء الاسواق العامة والجمعيات الاستهلاكية ، اى القضاء على ظاهرة التجارة الحرة باعتبارها ظاهرة استغلالية (٦٩) . هذا ليس ذنب الذين يعملون فى التجارة ، لكن ذنب التاريخ الاستغلالي للانسان حتى أوجدنا فى وضع غير نافع ، نمارس هذه التصرفات الاستغلالية دون أن نعرف انها استغلالية (٧٠) .

» ... وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ... والله لا يهدى القوم الفاسقين « (٧١) .

ان المستهلك يتجه الى المتجر ويشترى البضاعة بثمن غال ، ثم يئن من ارتفاع الاسعار ومن غلاء المعيشة ، ويظل غير قادر على معرفة السبب . السبب أنه مستغل من قبل التاجر ، السبب هو التجارة الحرة ... التجارة الحرة ظاهرة استغلالية ... والحل هو القضاء على التجارة والرهان ، كلها اشياء محرمة لان صاحبها يكسب على حساب غيره (٧٢) .

٨٢ - التخطيط الاقتصادى

تأخذ النظرية العالمية الثالثة بالتخطيط الاقتصادى .

فالثروة ملك الشعب ..

والتخطيط طريق التنمية ...

-
- ٦٧ - كلمة الاخ القائد فى دور الانعقاد الرابع لمؤتمر الشعب العام ١٩٧٨/١٢/١٦ ، ط أمانة الاعلام والثقافة ، ص ١٥ .
٦٨ - الكلمة السابقة ، ص ٢١ .
٦٩ - راجع ما سبق ، نبذة ٦١ وما بعدها .
٧٠ - كلمة الاخ القائد فى دور الانعقاد الرابع لمؤتمر الشعب العام ، السابق ، ص ١٩ .
٧١ - سورة التوبة ، الآية ٢٤ .
٧٢ - كلمة الاخ القائد فى دور الانعقاد الرابع لمؤتمر الشعب العام ، السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

ففى المرحلة الانتقالية ، مرحلة التحول الثورى ، يبدأ العادى . مثلاً ، فى ميدان الزراعة يكون التوسع الزراعى افقياً اصلاح واستصلاح كل شبر قابل للزراعة فى الارض الليبية ، يكون هذا انفاق ومصاريف وتكاليف وجهد وعرق وقسوة وعمل ليلاً نهاراً اتمام التحول الثورى يبدأ التطور الطبيعى للزراعة ، يبدأ النمو الرى وتحسين الانتاج ، وتنويع الانتاج ، وتصنيع الانتاج بعد الاكتفاء فى ميدان الاسكان ، فى مرحلة الانتقال ، يتركز العمل الاسكان على بناء مساكن لمن يسكن فى الكوخ والخيمة والكهف والمدن البائدة ، وبعدها يبدأ التطور العادى للاسكان ، اى الاسكان العادى الزيادة الطبيعية للسكان .

فى مرحلة الانتقال هذه يعاد بناء المدن اى توضع الاسس الاسكان للحياة المستقرة فيها . تقام شبكات المياه والغاز والكهرباء والمجارى والمصارف وترصف الطرق نهائياً ، بعدها يبدأ العمل العادى الصيانة .

فى ميدان الصناعة ، ينتهى خلال المرحلة الانتقالية اقامة الصناعة المدنية الضرورية ، وبعدها تبدأ الصناعة المستحدثة ، اى تطوير الكائنة واختراع الاشياء الجديدة .

فى ميدان الصحة ، تقام خلال المرحلة الانتقالية المصحات الصحية للشعب الليبى ، بحيث يبدأ بعد ذلك تطوير الطب ، اى اختراع وتطويرها ، والابداع فى العمليات الجراحية ، وتطوير البرامج الصحية

فى المواصلات ، يتم خلال مرحلة التحول الثورى ، تأسيس شبكات المواصلات السلكية واللاسلكية والطرق والمطارات والموانىء بصورة اساسية لتبدأ بعدها مرحلة الاصلاح والادامة والصيانة (٧٣) .

ان تقرير ملكية الشعب يمكن من تحقيق التنمية الشاملة ، ويغنى الجهود العفوية لفوضى اقتصاد السوق .

٧٣ - الخطاب التاريخى للاخ العقيد معمر القذافى فى العيد السادس للثورة
سبتمبر ١٩٧٥ ، ط الامانة العامة لمؤتمر الشعب العام ، ص ١٧ - ١٨ .

٢ - الملكية الشخصية والخاصة

٨٣ - تحرير الحاجات

فى الحاجة تكمن الحرية ، فلكى يبلغ الانسان الحرية ، لا بد من تحرير الحاجة .

ان الثائرين الحالمين لم يميزوا بدقة بين الاشياء والاشباح ، والحقيقة والخيال ، والثورة والاصلاح . هم من روسو الى القرن العشرين اكتفوا بتحديد الملكية البورجوازية ، لذا كان المصير المحتوم للثورة الفرنسية ، والحركة العربية ، بعد الصيحة الاولى ، هو الانتكاس والارتداد .

ان الملكية البورجوازية كالاخطبوط ، كلما قطعت ذراعا مد ذراعا اخرى ليمتص الدماء .

ان الحل الجذرى هو عودة الاموال الى مالكيها الحقيقي وهو الشعب .
هكذا يقضى على استغلال الانسان للانسان . . . هكذا تستأصل رأس الاخطبوط .

بيد أن إعادة الثروة الى الشعب ، يجب أن يستتبعها إعادة توزيع الثروة ، لتحرير الحاجة ، وبلوغ الحرية .
فلا يكفى أن يكون الشعب مالكا للثروة القومية ، بل يجب أن يكون الفرد مالكا لحاجته الشخصية .

هذا ما لم يفتن اليه الثائرون الحالمون .

ان الكتاب الاخضر لا يحل مشكلة الانتاج المادى فحسب ، بل يرسم طريق الحل الشامل لمشكلات المجتمع الانسانى ، ليتحرر الفرد ماديا ومعنويا تحررا نهائيا لتحقيق سعادته .

ان الذى يمتلك حاجتك يتحكم فيك أو يستغلك ، وقد يستعبدك رغم أى تشريع قد يحرم ذلك .

ان الذى يمتلك المسكن الذى تسكنه أو المركب الذى تركبه او المعاش الذى تعيش به ، يمتلك حريتك أو جزءا من حريتك ، والحرية لا تتجزأ ، ولكى يكون الانسان سعيدا لا بد أن يكون حرا ، ولكى يكون حرا لا بد أن يملك حاجاته بنفسه .

ان الحاجات المادية الضرورية الماسة والشخصية للانسان تبدأ من الملبس والطعام حتى المركوب والمسكن ، لا بد وأن يملكها الانسان ملكية

خاصة ومقدسة ، ولا يجوز أن تكون مؤجرة من أى جهة . ان الحصول مقابل اجرة تجعل مالكها الحقيقي يتدخل فى حياتك الخاصة ، ويتحاجاتك الماسة حتى ولو كان المجتمع بصورة عامة ، فيتحكم فى ويفقدك سعادتك ، كما يتدخل صاحب الملابس التى تؤجرها منه لخلعها ربما فى الشارع ليتركك عاريا ، يتدخل ايضا صاحب المركب ليتركك قارعة الطريق ، ويتدخل كذلك صاحب المسكن ليتركك بلا مأوى .

ان الحاجات الضرورية للانسان ، من السخرية معالجتها باج قانونية او ادارية او ما اليها . وانما يؤسس عليها المجتمع جذريا وفق طبيعية .

ان هدف المجتمع الاشتراكى هو سعادة الانسان ، وهذه لا تكون فى ظل الحرية المادية والمعنوية ، وتحقيق الحرية يتوقف على مدى الانسان لحاجاته امتلاك شخصيا ومضمونا ضمانا مقدسا . اى أن حاجته ينبغي الا تكون ملكا لغيرك ، وان لا تكون عرضة للسلب منك من أى فرد فى المجتمع ، والا عشت فى قلق يذهب سعادتك ويجعلك غير حر ، عائن فى ظل توقعات تدخل خارجى فى حاجاتك الضرورية (١) .

فالحاجات الشخصية هى ملكية شخصية مقدسة ، تضمن مقدسا ..

هى ملك لك ..

لا تسلب منك ..

٨٤ - البيت لساكنه

يأتى فى مقدمة الاشياء موضوع الملكية الشخصية المقدسة ، البيت البيت هو العش والمأوى والملاذ ، فكيف يكون فى قبضة الغير .

يقول الكتاب الاخضر : المسكن حاجة ضرورية للفرد والاسرة ، ينبغي أن يكون ملكا لغيره ، لا حرية لانسان يعيش فى مسكن غيره او بدونها . ان المحاولات التى تبذلها الدول من أجل معالجة مشكلة المسكن ليست حلا على الاطلاق لهذه المشكلة ، والسبب هو أن تلك المحاولات تستهدف الحل الجذرى والنهائى ، وهو ضرورة أن يملك الانسان مسكنا

١ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (١٩٧٨) ص ٢٨٥ و ٢٨٧ و ٢٨٨ .

بل استهدفت الاجرة من حيث خفضها او زيادتها وتقنينها سواء أكانت هذه الاجرة لحساب خاص ام عام . فلا يجوز فى المجتمع الاشتراكى ان تتحكم أى جهة فى حاجة الانسان بما فيها المجتمع نفسه ، فلا يحق لاحد أن يبنى مسكنا زائدا عن سكناه وسكن ورثته بغرض تأجيريه ، لان المسكن هو عبارة عن حاجة لانسان آخر ، وبناءؤه بقصد تأجيريه هو شروع فى التحكم فى حاجة ذلك الانسان ، وفى الحاجة تكمن الحرية (٢) .

من هنا القانون رقم ٤ لسنة ١٩٧٨ الخاص بالملكية العقارية :

• لكل مواطن الحق فى تملك مسكن (م ١) .

• يحظر على المواطن أن يملك اكثر من مسكن (م ٤) .

• تتول الى الشعب العقارات الزائدة عن الحاجة (م ٣ و ٧) .

• تملك المساكن الى المواطنين المستحقين (م ٧) .

• يحظر على أى شخص أن يؤجر ما يملكه من عقار (م ٩) .

تسدد اقساط الثمن على مدى عشرين سنة (م ١٨ من اللائحة التنفيذية) .

يعفى من سداد اقساط الثمن كل من يقل اجمالى دخله الشهرى عن مائة دينار (م ٢٠ من اللائحة التنفيذية) (٣) .

• ها هو السكن •• على سبيل الملك •• يعطى بلا ثمن ••

• حلم تحقق بعد طول الامد ••

• لكم من مسحوقين فى العالم الثالث •• يبيتون على قارعة الطريق ••

• عرضة للمطر والريح • يطردهم الملاك كما يطرد الكلاب ••

• لكم من اطفال ونساء ، من ربوع الهند الى افريقيا ، يتكومون اذا

أتى المساء ••• أجسادا متهالكة من الجوع والعذاب •• يتمددون حول

عمارة المترف •• بين صناديق القمامة والاساخ ••

٢ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢٨١ .
أنظر ايضا : خطاب الاخ العقيد معمر القذافى فى الاحتفال الدينى بمسجد مولاي محمد بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف فى ١٩ فبراير ١٩٧٨ ، السجل القومى ، ج ٩ ، ص ٥٧٥ وما بعدها .

٣ - انظر ايضا القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٧٦ فى ١٤ يولييه ١٩٧٦ ، فى شأن تمليك المساكن العمومية بالمجان والاعفاء من قروض المصرف الصناعى العقارى لذوى الدخل المحدود ، الجريدة الرسمية ، السنة ٥٢/١٤ ، ص ٢٦٥٠ .

ثوروا ... أفيقوا ... هاكم الكتاب الاخضر ...

هاكم الاسلام الاول ..

ها هو رسول الله يشرع فى توزيع الدور على الناس فى يعامل الكل سواء ... كل له الحق فى السكن ، الراعى مثل سائر قال حى من بنى زهرة ، وكان عبدالله بن مسعود فيما مضى حليفا تابعا يعمل راعيا ، « نكب عنا ابن ام عبد » (يقصدون عبدالله بن فقال رسول الله ﷺ : « فلم أبيعثنى الله اذن ، ان الله لا يقدر قوما الضعيف منهم حقه » (٤) .

٨٥ - ثم ماذا عن هذا المسكن ، هل يعود وكرا لاستغلال من رقيق العصر الحديث ... خدم المنازل ؟ ؟

« وما أدراك ما العقبة . فك رقبة » (٥) .

ان المجتمع الاشتراكى الجديد يقوم على اساس المشاركة وليس على الاجور ، ولذلك فان خدم المنازل لا تنطبق عليهم الاشتراكية الطبيعية ، لانهم يقومون بخدمات لا بانتاج - والخدم لها انتاج مادي يقبل القسمة الى حصص وفقا للقاعدة الاشتراكية ولهذا فليس لخدم المنازل الا العمل مقابل اجر او العمل بدونه فى السيئة . والاجراء هم نوع من العبيد ، عبوديتهم قائمة بقيام عملهم أجر ، وخدم المنازل هم فى درجة اسفل من الاجراء فى المنشآت والاقتصادية خارج المنازل ، فهم أولى بالانعتاق من عبودية مجتمع مجتمع العبيد .

ان ظاهرة خدم المنازل هى احدى الظواهر الاجتماعية المظاهرة الرقيق ، والنظرية العالمية الثالثة هى بشير للجماهير النهائى من كل قيود الظلم والاستبداد والاستغلال والهيمنة والاقتصادية بقصد قيام مجتمع كل الناس ... كل الناس فيه احرار يتساوون فى السلطة والثروة والسلاح ، لكى تنتصر الحرية الانتصار والكامل .

ان الكتاب الاخضر يرسم طريق الخلاص أمام الجماهير من وخدم منازل ، لتحقيق حرية الانسان . لا مناص من الكفاح لتحرير المنازل من وضعية الرق التى هم فيها ، وتحويلهم الى شركاء خارج

٤ - طبقات ابن سعد ، طليدن ، بريل ، ج ١/٣ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .

٥ - سورة البلد ، الآية ١٣ .

حيث الانتاج المادى القابل للقسمة الى حصص حسب عوامله . فالمنزل يخدمه اهله . أما حل الخدمة المنزلية الضرورية فلا تكون بخدم بأجر أو بدون أجر ، وانما تكون بموظفين قابلين للترقية اثناء اداء وظيفتهم المنزلية ، ولهم الضمانات الاجتماعية والمادية كأي موظف فى خدمة عامة (٦) .

لا بد من تدمير مجتمع الاستغلال ، مجتمع السادة والعبيد ، لا بد من قهر السادة بثورة الخدم (٧) .

٨٦ - الملكية الخاصة الحرفية

بقى الكادح الحرفى ... هل تقرر الملكية الخاصة فى نطاق الحرف ؟ فى الحاجة تكمن الحرية ، والمعاش حاجة ماسة جدا للانسان ، فلا يجوز أن يكون معاش اى انسان فى المجتمع الاشتراكى اجرة من أى جهة ، أو صدقة من أحد ، فلا اجراء فى المجتمع الاشتراكى بل شركاء ... فمعاشك هو ملكية خاصة لك تديرها بنفسك فى حدود اشباع حاجاتك ، أو يكون حصة فى انتاج انت احد عناصره الاساسية ، وليس اجرة مقابل انتاج لاى كان (٨) .

ان نظرية تحرير الحاجة توجب اقرار الملكية الخاصة للحرفى ... الى أن ينتعش الانتاج التعاونى ..

وما هى حدود الملكية الخاصة للحرفى ؟

ان اشباع الحاجات ينبغى أن يتم دون استغلال او استعباد الغير ، والا تناقض مع غاية المجتمع الاشتراكى الجديد .

فالانسان فى المجتمع الجديد ، اما أن يعمل لنفسه لضمان حاجاته المادية ، أو أن يعمل لمؤسسة اشتراكية يكون شريكا فى انتاجها ، أو أن يقوم بخدمة عامة للمجتمع ، ويضمن له المجتمع حاجاته المادية .

أما النشاط غير الانتاجى ، النشاط الذى يبحث عن الربح من أجل الادخار الزائد عن اشباع الحاجات ، فلا امكانية له بحكم القواعد الاشتراكية الجديدة .

٦ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ (١٩٧٨) ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ . ايضا : حوار صريح بين الاخ العقيد معمر القذافى وبعض علماء الدين فى ٣ يوليو ١٩٧٨ ، السجل القومى ، ج٩ ، ص ٩٩٧ (١٠٢١) .
٧ - البيان الثورى للعيد التاسع ، ط أمانة الاعلام والثقافة ، ص ١٧ - ١٨ .
٨ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ٧/١٦ ، ص ٢٨١ .

ان الغاية المشروعة للنشاط الاقتصادى للأفراد هى اشباع حاجته فقط ، اذ أن ثروة العالم محدودة على الاقل فى كل مرحلة ، وكذا كل مجتمع على حدة ، ولهذا لا يحق لاي فرد القيام بنشاط اقتصادى الاستحواذ على كمية من تلك الثروة اكثر من اشباع حاجاته ، لانه الزائد عن حاجاته هو حق للأفراد الآخرين . ولكن يحق له الادخار لحاجاته ، من انتاجه الذاتى وليس من جهد الغير ، ولا على حساب الغير ، لانه لو جاز القيام بنشاط اقتصادى اكثر من اشباع الحاجات انسان اكثر من حاجاته ، ولحرم غيره من الحصول على حاجاته .

ان الادخار الزائد عن الحاجة هو حاجة انسان آخر من المجتمع .

ان اباحة الانتاج الخاص للحصول على ادخار فوق اشباع الحاجات و اباحة استخدام الغير لاشباع حاجاتك او استخدامه للحصول على فوق حاجاتك - أى تسخير انسان لاشباع حاجات غيره وتحقيق لغيره على حساب حاجاته ، هو عين الاستغلال (٩) .

اذن ، حدود الملكية الخاصة للحرفى :

أن يعمل بنفسه . .

لاشباع حاجاته . . .

٨٧ - مفهوم الملكية الحرفية

كيف يمكن صياغة مفهوم الملكية الخاصة للحرفى فى ضوء المبادئ الاخضر ؟

تقدم أن الوضعية القانونية تتشبه بالنصوص البورجوازية ، و صفحا عن النتائج الاجتماعية ، لذا عرفت الملكية بأنها سلطة مطلقة على شىء ، حماية لمصالح الطبقة المالكة لوسائل الانتاج (١٠) .

ان الوضعية تتمسك بالنص ، وتظهر بالحياد . بيد أن النص يربطه بالمصلحة المستغلة ، لذا يراد من التظاهر بالحياد اخفاء الاستغلال .

فالمصالح هى دائماً اساس القواعد .

فى الديمقراطية الشعبية ، هى مصالح الشعب .

٩ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ١٦/٧ ص ٢٨٢ -
١٠ - ما سبق ، نبذة ٨ - ١٠ .

وفى هذا يقول الفقه الاسلامى : « ان وضع الشرائع انما هو لمصالح العباد » (١١) .

ان القانون طبقا للكتاب الاخضر يجب أن يحقق اشباع الحاجات المادية والمعنوية للانسان ، بتحرير هذه الحاجات ، اذ فى الحاجة تكمن الحرية . من أجل ذلك ينتقى الشعب بعض المصالح البشرية ، ويسبغ عليها الحماية القانونية فتصبح حقوقا . فالحق مصلحة يحميها القانون ، لكونها تشبع الحاجات المادية والمعنوية للانسان . ان المصلحة المراد حمايتها لا تكون جديرة بالاعتبار الا اذا ادت الى تحرير حاجات الانسان ، بينما فى النظم التقليدية قد يحمى القانون مصالح تؤدى الى استغلال الآخرين .

واذا كان الحق مصلحة يحميها القانون ، فالواجب سلوك ضرورى يحتمه القانون . فشرعية المجتمع تؤثر على مصالح الناس بأن تحد من بعضها ، بغية توفير مكنة تحقيق مصالح اخرى .

ان الملكية علاقة قانونية ، تحمى علاقة اجتماعية ، هى فى المجتمع الاستغلالى علاقة الاقطاعى بالفلاح ، والرأسمالى بالعامل . فتجريد هذه العلاقة من مضمونها الاجتماعى ، وتصوير الملكية بأنها سلطة لشخص على شىء ، انما يراد به اخفاء الطابع الاستغلالى للملكية فى المجتمع الطبقي ، حيث يستحوذ الاقطاعى والرأسمالى على المنتج ، ويحرم منه المنتج الحقيقى وهو الشعب الكادح .

الملكية ، فى ضوء الكتاب الاخضر ، هى علاقة قانونية بين اشخاص تتضمن حقوقا وواجبات ، تمكن مالك الشىء من حيازته والانتفاع به والتصرف فيه ، فى اطار شكل من اشكال الملكية المعترف بها فى المجتمع الجماهيرى (١٢) .

ومن ثم ، اذا اردنا صياغة فكرة الملكية بالنسبة الى الحرفى على أدوات حرفته ، نبدأ بفحص وضع المصالح البشرية ، فى ضوء اسس الكتاب الاخضر ، على الوجه التالى :

ما غاية الملكية المعترف بها للحرفى ؟ هى اشباع حاجاته (مصلحة) . اذن ، له حق استعمال أدوات الحرفة بغية ضمان معيشته (قاعدة) .

١١ - الشاطبى (م ٧٩٠هـ) ، الموافقات فى أصول الشريعة ، ط المكتبة التجارية ، القاهرة بلا تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦ . ايضا : ابن القيم (م ٧٥٠هـ) ، اعلام الموقعين ، ط المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج ٣ ، ص ١٤ .
١٢ - راجع : ثروت انيس الاسيوطى ، الملكية فى النظام الجماهيرى ، مطبوعات جامعة قاريونس ، بنغازى ١٩٧٩ ، على الرونيو ، النبذ ٥ و ٦ و ١٣ .

هل له استخدام الغير بأجر ؟ (مصلحته) فى ذلك .
(مصلحة) الاجير ؟ هذا يرجعنا الى عصر استغلال الاجراء
الاخضر) . اذن ، يجب على الحرفى أن يعمل بنفسه (قاعدة) .

هل له خدمة البعض دون البعض ؟ فأين يذهب من يرفض
(مصلحة عامة) . . . اذن ، الحرفى ملزم بتلبية كافة الطلبات دون
ما دامت فى حدود امكانياته (قاعدة) .

هل له المغالاة فى تقدير مقابل خدماته ؟ (مصلحته) فى ذلك
(المصلحة العامة) للجماهير تضار . وهذا يرجعنا الى عصر استغلال
للانسان (الكتاب الاخضر) . اذن هو ملزم بالمقابل العادل (قاعدة)

هل يباح للدائن الحجز على أدوات الحرفة ؟ ان المعاش
جدا للانسان (الكتاب الاخضر) ، فكيف يستمر الحرفى فى المعاش
الحجز على الادوات (مصلحة) ؟ اذن ، لا حجز على أدوات
(قاعدة) .

هكذا ننطلق من المصالح البشرية ، نقيمها فى ضوء الايدي
السائدة . فنستقرىء تباعا القواعد الملزمة .

ثم نجمع هذه القواعد فى فكرة ، هى فكرة ملكية الحرفى ،
» ملكية الحرفى هى علاقة قانونية بين الحرفى والشعب ، تمكن
من حيازة ادوات حرفته والانتفاع بها والتصرف فيها ، بغية اشباع
(حقوق) ، دون استخدام الغير ، وبهدف خدمة الجمهور ، لقاء
عادل (واجبات) ، وهذه الملكية مقدسة غير قابلة للحجز (ضمان)

هذا ومتى جرى ضم مجموعة من الحرفيين فى تعاونية انت
انتقل شكل الملكية من ملكية خاصة للحرفى الى ملكية تعاونية ،
اشكال الملكية الاشتراكية .

٨٨ - الثروة بقدر العمل والحاجة

هل يجوز التفاوت فى الثروات بين الافراد ؟

ان الكتاب الاخضر يكشف عن سببين للظلم فى المجتمعات
الاجرة ، وعلاجه بتحويل الاجراء الى شركاء ، ثم سوء توزيع
وعلاجه باقامة المساواة فى المال ، لا فضل لانسان على انسان
لمعايير محددة .

فما هى هذه المعايير ؟

حظر القرآن الكريم اكتناز المال ، وأمر رسول الله بأن لا يحتجز من المال الا ما يكفى للطوارئ (١٣) .
أورد القرآن الكريم مبادئ أساسيين ، أولهما : الجزاء بحسب العمل ...

« ولكل درجات مما عملوا » (١٤) .

ثانيهما : حق المحتاج فى المال ، كما تدل على ذلك آيات عديدة (١٥) ، نذكر منها هذه الآية بالغة السمو فى تثقيف الانسان ، واقامة العدل :

« للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا .. » (١٦) .

أيضا : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » (١٧) .
فلكل بحسب العمل والحاجة .

قدر عمر بن الخطاب نصيبه الشخصى حسب العمل والحاجة بأن قال : « يحل لى حلتان ، حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ ، وما أحج عليه واعتمر من الظهر ، وقرتى وقوت اهلى كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبنى ما أصابهم » (١٨) .

وكان عمر يقيم المساواة التامة بين البشر ، لا فضل لامرئ على آخر الا بالعمل والحاجة ، وكان يقول : « الرجل وبلاؤه فى الاسلام ، الرجل وقدمه فى الاسلام ، الرجل وغناؤه فى الاسلام ، الرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لياتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه » (١٩)

١٣ - ما سبق ، نبذة ٦٩ .

١٤ - سورة الانعام ، الآية ١٣٢ . سورة الاحقاف ، الآية ١٩ .

١٥ - سورة البقرة ، الايتان ٢١٥ و ٢٧٣ . سورة الذاريات ، الآية ١٩ . سورة الحشر ،

الآية ٧ . سورة المعارج ، الايتان ٢٤ و ٢٥ .

١٦ - سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

١٧ - سورة الذاريات ، الآية ١٩ .

١٨ - طبقات ابن سعد ، طبعة لندن ، ج ١/٣ ، ص ١٩٧ .

١٩ - كتاب الخراج لابی يوسف ، الطبعة السلفية الثانية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ص ٤٦ .

طبقات ابن سعد ، طبعة ليدن ، ج ١/٣ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ . تاريخ الطبرى ، طبعة

دار المعارف بمصر ، ج ٤ ، ص ٢١١ .

ورأى عمر أن يأخذ فضول الاموال من الاغنياء ويرد
الفقراء (٢٠) .

٨٩ - هذان المعياران الاسلاميان ، العمل والحاجة ، يبرزهم
الاخضر . ان اساس التفاوت فى الثروة هو العمل ، وان الثروة
الا فى حدود الحاجة .

فيقول الكتاب الاخضر عن معيار العمل : لا يجوز التفاوت فى
الافراد فى المجتمع الاشتراكى الجديد ، الا للذين يقومون بخدمته
ويخصص لهم المجتمع نصيبا معيناً من الثروة مساوياً لتلك الخدم
ان نصيب الافراد لا يتفاوت الا بمقدار ما يقدم كل منهم من خدمه
اكثر من غيره .

ويقول عن معيار الحاجة : ان ما وراء اشباع الحاجات يبقى
ملكا لكل افراد المجتمع ، اما الافراد فلهم أن يدخروا ما يشاء
حاجاتهم فقط ، اذ ان الاكتناز فوق الحاجات هو تعد على ثروة عامه
ان المجدين والحقاق ليس لهم حق فى الاستيلاء على نصيب
نتيجة جدهم وحقهم ، ولكنهم يستطيعون ان يستفيدوا من تلك
اشباع حاجاتهم والادخار من تلك الحاجات ، كما أن العاجزين و
المعتوهين لا يعنى حالهم هذا أن ليس لهم نفس النصيب الذى للاص
ثروة المجتمع (٢١) .

من هذين المعيارين يمكن استخلاص مفهوم الملكية الشخصية و
الاساسية .

٩٠ - مفهوم الملكية الشخصية

تقدم أن الدخل الناجم عن العمل يتخذ فى المجتمع الج
اشكالا ثلاثة : عمل حرفى فى حدود اشباع الحاجة ، حصة انتاج فى
اشتراكية ، خدمة عامة يقوم بها الشخص ويضمن له المجتمع
المادية .

أما العاجز عن العمل ، فيضمن له المجتمع حاجاته طبقا
الضمان الاجتماعى (٢٢) .

٢٠ - تاريخ الطبرى ، طبعة دار المعارف بمصر ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ . ايضا :
لابن حزم الاندلسى ، تصحيح محمد خليل هراس ، القاهرة ، مطبعة الامام
الثالث ، ج ٦ ، ص ٤٥٥ .

٢١ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ١٦/٧ ، ص

ما الذى يترتب من احكام على كون مصدر الدخل هو العمل ، وفى حدود الحاجة ، انطلاقا من مصالح العباد ؟

ان كل دخل آت من حصة الشخص فى الثروة القومية هو دخل مشروع ، وله أن يتصرف فيه ، فى اطار القانون . للمرء أن ينفقه فى شراء الحاجات ... المسكن ... المأكل ... الملابس ... المركوب ... كما له أن يدخره للايام العجاف (قاعدة) .

لكن هل يجوز للانسان أن يستخدم هذا الدخل استخداما يناقض شريعة المجتمع ؟ هل يجوز ، مثلا ، ادارة المسكن للدعارة او القمار أو الحشيش ، واستعمال النقود فى شراء السلع واختزانها ثم اعادة بيعها بأثمان باهظة ؟ هل يجوز تأجير المسكن لانسان آخر ، او تشغيل المركوب سرا فى النقل بأجر ؟ لا ... هذا عين الاستغلال . لا بورصات ، لا مضاربة لا قمار ، لا رهان ، لا دعارة ، لا اجارة (الكتاب الاخضر) . يجب فى هذه الحالة سحب المال ، فتصادر السلع المخترنة ، والارباح الآتية من المضاربة والمبالغ المتحصلة من الاجارة (قاعدة) . اما المسكن ، فيجب التحرز عن سحبه الا فى الحالات القصوى ، حماية للأسرة من التشريد ، حتى لا يؤخذ الاولاد بذنوب الآباء ، فقد ينجم عن التشريد ضرر يفوق الضرر المترتب على الانحراف .

« الا تزر وازرة وزر اخرى » (٢٣) .

واذا صار الانسان مدينا ، نتيجة لعلاقات قانونية مشروعة ، هل يجوز للدائن الحجز على المسكن والمأكل والملبس والمركوب ؟ (مصلحة) الدائن فى ذلك . لكن كيف يعيش الانسان بغير هذه الحاجات ؟ هل يلقى هو واسرته على قارعة الطريق بلا طعام ولا رداء ؟ هذه الحاجات ملكية مقدسة (الكتاب الاخضر) . اذن ، لا يجوز الحجز عليها (قاعدة) (٢٤) .

٢٢ - أنظر قانون الضمان الاجتماعى رقم ٧٢ لسنة ١٩٧٣ ، المادة الاولى : « يشمل الضمان الاجتماعى .. حالات المرض واصابات العمل والولادة والوفاة والعجز والشيخوخة والبطالة والكوارث ، ورعايته (اى الفرد) فى تحمل الاعباء العائلية وعند الجنوح والانحراف وفى الطفولة والشيخوخة » . وراجع الندوة الاذاعية للرائد عبد السلام جلود فى شرح قانون الضمان الاجتماعى ، مطابع الثورة العربية ، طرابلس ١٩٧٤ ، ص ٤ : هذا القانون هو تجسيد للاشتراكية الاسلامية .

٢٣ - سورة النجم ، الآية ٣٨ .

٢٤ - قارن المادة ٢٤ من اللائحة التنفيذية للقانون رقم ٤ لسنة ١٩٧٨ ، وهى لا تجيز رهن المسكن الا بعد سداد كامل الثمن ، وهذا يعنى بمفهوم المخالفة أنه يجوز الرهن بعد ذلك ، والرهن توطئة للحجز والبيع ، وهذا يتنافى مع اعتبار المسكن ملكية مقدسة .

هل يباح الحجز على المدخرات فى المصارف ؟ الفرض ان آتية من دخل العمل ، وفى حدود الحاجة ، اى من نصيب الانسان له من الثروة القومية ، له أن ينفقه أو يدخره . (مصلحة) الدائم الحجز . لكن (المصلحة العامة) المتمثلة فى ضرورة التنمية ، والمدخرات ، والحد من الاستهلاك ، تتطلب تشجيع الايداع فى المصارف . ثم ان الانسان اذا ادخر فلانه فضل اشباع حاجة مقبلة على حاجة حالّة والحاجات يمتلكها الانسان ملكية مقدسة (الكتاب الاخضر) . اذن الحجز على المدخرات النابعة من داخل النصيب المخصص لكل انسان من الثروة القومية (قاعدة) .

أما المدخرات الآتية من خارج الحصة المخصصة للشخص من الثروة القومية ، فهذه تصدر وفقا لاحكام الكسب غير المشروع (قاعدة) من جهة اخرى ، ما الحل اذا تعهد انسان بأن يدفع اقساط سلع ، من الحصة المخصصة له من الثروة القومية ، هل يجوز أن تعهد به ، من حصته ؟ (مصلحة) الطرف الممول فى ذلك . بل (مصلحة) من تعهد هو نفسه وغيره من الناس ، حتى تستمر الثقة فى العهود واستكمال نظام التقسيط المريح ، واضطر الناس الى نظام الوفاء الاذن ، يجب على من تعهد أن يوفى التزامه ، وتخضع الاقساط من عند المنبع ومن المدخرات فى المصارف (قاعدة) .

« يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » (٢٦) .

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها

» وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » (٢٨) .

ثم ماذا عن أسباب كسب الملكية ؟ ان الطبقات الغالبة فى كل توضع فى القانون ما يناسبها من أحكام ، وتعد لنفسها اسلحة جديدة

وبما أن الكتاب الاخضر هو بمثابة القانون الاعلى ، وينص على أن ملكية مقدسة ، وهذا ما فعلته ايضا المادة ١ من القانون رقم ٤ نفسه ، فاعتبرت ملكية مقدسة لا يجوز المساس بها ، فالنتيجة هى اعتبار اللائحة ، فى شأن رهون مخالفة للقانون ولا يعتد بحكمها .

٢٥ - قارن المادة ٤ من القانون رقم ٣ لسنة ١٩٧٠ بشأن الكسب الحرام (الرسومية ، السنة ٣/٨) ، حيث أوردت معيار عدم التناسب مع الموارد المالية . ويحل محله معيار آخر هو كون الدخل غير نابع من داخل الحصة المخصصة للشخص من الثروة القومية .

٢٦ - سورة المائدة ، الآية ١ .

٢٧ - سورة النحل ، الآية ٩١ .

٢٨ - سورة الاسراء ، الآية ٣٤ .

على مزيد من قهر الطبقات المغلوبة . يبرز ذلك على الاخص فى اسباب كسب الملكية المقررة فى النظم الاقطاعية والرأسمالية ، مثل الاستيلاء ، والتملك بالتقادم ، والشفعة ، والكنز (٢٩) .

كل ذلك لا محل له فى المجتمع الجماهيرى . من هنا ابطال الحيازات المغتصبة والاقطاعات البائدة (٣٠) ، وضرورة الحاق الكنوز والمخطوطات وسائر الاشياء الاثرية والتاريخية والاشياء ذات القيمة الثقافية ، الحاقها بملكية الشعب ، لقاء مكافأة للمكتشف (٣١) .

بتجميع هذه القواعد فى فكرة نصل الى ما يلى : « الملكية الشخصية المقدسة هى علاقة قانونية بين المالك والشعب ، تمكن المالك من حيازة أمواله والانتفاع بها والتصرف فيها فى اطار القانون (حقوق) ، دون تحويل هذه الاموال الى مصدر للاستغلال ولاستدرار دخل غير مكتسب بالعمل (واجبات) . وهذه الاموال هى المسكن والمأكل والملبس والمركوب ، وسائر الحاجيات الشخصية وكذلك المدخرات ، الاتية من داخل حصة الشخص فى الثروة القومية (موضوع) ، طبقا لاسباب كسب الملكية المعترف بها فى النظام الجماهيرى . وهذه الملكية مقدسة غير قابلة للسلب (ضمان) » .



٩١ - هكذا انتجت التجارب التاريخية الرائعة تجربة جديدة كتنويع نهائى لكفاح الانسان من اجل استكمال حريته وتحقيق سعادته ، باشباع حاجاته ودفع استغلال غيره له ، ووضع حد نهائى للطغيان وايجاد طريقة لتوزيع ثروة المجتمع توزيعا عادلا حيث تعمل بنفسك لاشباع حاجاتك ، لا أن تسخر الغير ليعمل لحسابك لتشبع على حسابه حاجاتك ، أو أن تعمل من أجل سلب حاجات الآخرين .

انها نظرية تحرير الحاجات ليتحرر الانسان (٣٢) .

٢٩ - ما سبق ، نبذة ٧٢ .

٣٠ - المادتان ١ و ٢ من القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٧٧ .

٣١ - وهناك احكام تفصيلية لا يسعنا التعرض لها الان . فمثلا ، اذا كانت المخطوطات مملوكة لشخص من شراء أو ميراث ، فيجدر النص على تعويض عادل يدفع عند الحاقها بملكية الشعب ، لحفز من لديه مخطوط على تسليمه الى دار المخطوطات القومية .

كذلك يتعين أن يتضمن القانون تنظيما دقيقا لاجراءات سحب الملكية المخالفة لشرعية المجتمع ، بما يوفر ضمانات كافية للمواطنين من احتمال السحب التعسفى .

٣٢ - الكتاب الاخضر ، الفصل الثانى ، الجريدة الرسمية ، السنة ٧/١٦ ، ص ٢٨٦/٢٨٧ .

تعقيب

٩٢ - قضى الاسلام على الظلم والقهر والبطش ، ورفع راية
الاجتماعية ثابتة عالية خفاقة ، تقيم مجتمع المساواة الفعلية بلا
عبيد ، ولا متخمين ولا معدمين ، ولا مستغلين ومستغلين .

• حقق الاسلام ذلك بالنضال والجهاد .

• لا طريق أمام المحرومين سوى النضال والثورة ...

• من اجل الثورة ... كانت الهجرة ...

« ان طريق الرسالات الخالدة والتحولات التاريخية العظيم
بدء الخليقة وحتى يوم القيامة ... تعبد جثث الضحايا وتغسله الد

« ان الطريق بين المدينة ومكة ، عبده اجساد الضحايا من
والكافرين ... ان الاسلام لى يصل مكة ويحولها من الوثنية الى
شق طريقه من المدينة بحد السيف ... ان الزحف المقدس للدين الا
سواء من المدينة الى مكة أو من الجزيرة الى خارجها كانت تظلمه الس
وتعومه الدماء ، وتعبد دربه الجثث ... انه الحق ، ولكن هناك
بالحق فى كل مكان وزمان .. انه الهداية ، ولكن هناك ضالون فى كل
وزمان .. انه التقدم ، ولكن هناك رجعيون فى كل مكان وزمان » ()
كان الاسلام الاول ثورة على عبادة الاوثان .. ثورة على
الاثرياء ...

يا شعوب الاسلام .. ثوروا على الطغيان ..

سوف تتهاوى العروش ... ويتساقط الطغاة ... وكل مجرم
من مزيفى الاديان ... كل هلوع جزوع من تجار العقيدة ..

لقد « أهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين » (٣٤) . انه

٣٣ - الخطاب التاريخى للاخ العقيد معمر القذافى فى العيد السادس للشو
سبتمبر ١٩٧٥ ، ط الامانة العامة لمؤتمر الشعب العام ، ص ٢٥ .
٣٤ - سورة الزخرف ، الآية ٨ .

عادا الاولى . وثمودا فما أبقي . وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم
واطغى (٣٥) .

سوف تنتصر الشعوب ...

حاملة رسالة الحق ...

رسالة الكتاب الاخضر ...

رسالة الاسلام الاول ...

٣٥ - سورة النجم ، الآيات ٥٠ - ٥٢ .